

ابراهيم عبد العزيز

سائل طه حسين

تقديم: نجيب محفوظ

ميريت للنشر والمعلومات

إبراهيم عبد العزيز

رسائل طه حسين

تقديم

نجيب محفوظ

ميريت للنشر والمعلومات

القاهرة ٢٠٠٠

مكتبة الاسكندرية

إبراهيم عبد العزيز

رسائل طه حسين

تقديم

نجيب محفوظ

ميريت للنشر والمعلومات

٦ب ش قصر النيل

القاهرة

تليفون وفاكس:

(٠٢)٥٧٥١٥٠٠

merit56@hotmail.com

المدير العام: محمد هاشم

الطبعة الأولى

القاهرة ٢٠٠٠

الغلاف للفنان:

أحمد اللباد

رقم الإيداع:

٩٩/١٧٦١٩

الإهداء

إلى زوجتي خالص الشكر
وإلى أبنائي حسن الذكر

المؤلف

الفهرس

- ٧ . تقديم نجيب محفوظ
- ١٣ . مقدمة
- ١٥ . مقدمة بقلم طه حسين .. أنا
- ١٦ . أنا المصرى
- ١٩ . ابنى طه بك حسين
- ٢٣ . مراسلات النحاس باشا.. طه حسين
- ٤٧ . مراسلات طه حسين .. نجيب الهلالى
- ٦٧ . خاص جدا من سهر القلماوى إلى طه حسين
- ٨٩ . جامعة طه حسين
- ٩٠ - أحمد أمين صاحب موسوعة فجر الإسلام
- ١٠١ - عبد الحميد العبادى مؤسس المدرسة العلمية فى التاريخ الإسلامى
- ١١٠ - من أمين الخولى إلى طه حسين: لن يختلسونى!
- ١١٢ - عبد الوهاب عزام خادم الإسلام
- ١١٨ - الإسلام وأصول الحكم بين على عبد الرازق وطه حسين
- ١٢٣ - الشيخ مصطفى عبد الرازق.. أول عمامة فى مجلس الوزراء
- ١٢٨ - مؤامرات السنهورى وتناقضات طه حسين
- ١٢٤ - عبد الحميد بدوى.. أول دكتوراه مصرية فى القانون

- ١٤٥ - سليم حسن و"الردح" فى بيان رسمى
- ١٥٢ - أحمد بدوى فى بلاد العجائب
- ١٥٨ - من حسين مؤنس إلى طه حسين: عن معركة والت ديزنى ٩٩
فى مدريد ٥٤
- ١٦٣ - سعد زغلول ينقذ مصطفى مشرفة من لطفى السيد
- ١٦٨ - محمد عوض محمد .. كن طه حسين
- ١٤٧ - جن طه حسين
- ١٨٠ - أزمات طه حسين فى الجامعة
- من محمد فريد أبو حديد رائد الرواية التاريخية إلى طه وزير
الفلاحين
- ٢٠١
- محمد كامل حسين صاحب الكتاب الذى لم يرح صاحبه
وقارته
- ٢٠٧
- إحسان عبد القدوس أمام النيابة
- ٢١١
- من أمين يوسف غراب موباسان الشرق إلى أبى طه حسين
- ٢١٧
- من العقاد إلى طه حسين : أنت تحتاج إلى شجاعة للكف عن
الشجاعة!
- ٢٢٧
- طه يقنع عبد الوهاب بالغناء فى أزمته!
- ٢٣٥
- الشعراوى وطه حسين فى الأراضى المقدسة
- ٢٣٧
- إصدارات أدبية للمؤلف
- ٢٥٠
- ملحق الوثائق
- ٢٥١

تقديم نجيب محفوظ (*)

لا أتذكر بداية محددة لتعرفى على طه حسين، ولكننى أذكر أننى كنت أعرفه طوال عمري، ولا أدري متى وكيف وأين سمعت عنه، ولكننى عرفت طه حسين الأديب وطه حسين الأستاذ وطه حسين العميد.

ولاشك أننى قرأت الأيام لطفه حسين بمتعة لا مزيد عليها، وأنا لا أزال أتمرن على الكتابة، ولعلنى كنت فى أوائل المرحلة الثانوية، فحاولت تقليدها فى كراسة أو كشكول وأسميتها "الأعوام" على نفس الوزن محاولاً أن أقلد نفس الأسلوب ونفس الطريقة، وأحكى فيها عن نشأتى كما حكى طه حسين عن نشأته. وقد أعطانا طه حسين فى رواياته المعروفة كل نماذج الرواية تقريباً، من رواية السيرة الذاتية فى "الأيام"، إلى الرواية الموضوعية كما فى "دعاء الكروان" إلى رواية الأجيال كما فى "شجرة البؤس" التى هى أول رواية فى اللغة العربية من روايات الأجيال التى لا يخلو منها أدب أمة فى أوربا، وقد تأثرت تأثراً كبيراً "بشجرة البؤس" وظل هذا التأثير ينمو حتى كتبت "الثلاثية".

وقد ارتبط طه حسين الأديب، فى أذهاننا "بالحرية" والبحث العقلى الموضوعى كمفكر كبير.

ويعتبر طه حسين أحد الرواد مع العقاد والمازنى، وحسين هيكل وسلامة موسى الذين قامت عليهم حياتنا الأدبية فى مطلع القرن العشرين.

فالعقاد شخصية لا تتكرر، والمازنى كان أديباً عظيماً جداً لم يأخذ حقه فى حياته ولا

(*) من حوار لنجيب محفوظ مع المؤلف عن طه حسين كما أكد هو بخطه فى نهايته.

في موته رغم أنه كان من أدق الناس في الترجمة، وله أسلوب من أجمل الأساليب العربية الأدبية يرشحه لأن يكون الروائي الأول، ولكن كان في المازني شئ من الاستهانة، الله هو الأعلم بأسبابها ، مما لم يجعله يتخصص في شئ ويعطيه حياته .

فقد كان طه حسين والعقاد والمازني ود. محمد حسين هيكل ، وسلامة موسى، من الرواد الذين لا يقل تقديري لأحدهم عن الآخر في مجال الأدب.

أما طه حسين الأستاذ فقد كان عميدا عندما دخلت كلية الآداب، ولم يكن بالنسبة لي أستاذا مباشراً للأسف - ولكن في بعض الأحيان بعد الظهر، تكون لنا محاضرة، في الوقت الذي كانت لطفه حسين محاضرة قبلها أو بعدها، فأحضرها ، وكنت أرى من تلاميذه في ذلك الوقت، سهر القلماوى، وكان طه حسين في محاضرتة يقرأ القصيدة ثم يترك الطلبة يشرحونها، ثم يسألهم في دقائقها:

لماذا قال الشاعر ما قال ، ولماذا لم يقل شئنا غير ذلك الذي قال ؟ أو أسئلة من هذا النوع، فكانت الدراسة على يدى طه حسين متعة وتربوية وفتية وجمالية جمالاً يفوق الوصف.

أما طه حسين العميد فقد راح يربينا تربية جامعية عظيمة، فبينه على الأساتذة ألا يسمحوا لنا بكتابة المحاضرات ، ولا يجوز لنا أن نقيد في أوراقنا إلا اسم مرجع، أو سؤال نريد أن نسأله ، أما أن أقيد ما يقوله الأستاذ وأحفظه، فهذا ما كان يرفضه طه حسين، وكان يقول لنا: أكتبوا المحاضرات مما استوعبته عقولكم ، ولديكم المراجع فى مكتبة الجامعة. فكانت تربيته الجامعية لنا تربية عالية جداً. ولذلك اعتبرنا قرار إخراجه من الجامعة، كارثة، وقمنا بإضراب فى كلية الآداب شاركتنا فيه بقية الكليات والمدارس العليا.

ولكن طه حسين الذى تظاهرننا من أجله فى الثلاثينات غضبنا منه فى الستينات حينما قام بأول هجوم عنلى على العقاد بعد وفاته من خلال ندوة تليفزيونية حضرتها، وقال فيها إنه لم يفهم "عبقرية عمر"، ولم نكن نعلم سوى أن العلاقة بين الأدبيين الكبيرين هى علاقة مودة وإعجاب متبادل ، فالعقاد يقدم لنا "دعاء الكروان شعراً، وطه حسين ينقده نقداً جميلاً فى "الرسالة"، ويهديه "دعاء الكروان" نثراً ياهداء مطبوع:

إلى صديقي الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد.

سيدي الأستاذ

أنت أقيمت للكروان ديوانا فخما في الشعر العربي الحديث، فهل تأذن لي أن
أخذ له عشا متواضعا في النثر العربي الحديث، وأن أهدى إليك هذه القصة تحية
خالصة من صديق مخلص".

وفي مسرح الأزيكية اجتمعنا جميعا، وجاء طه حسين وتوج العقاد "أميراً للشعراء"، بعد
وفاة شوقي، وكتب مقالا حزنا جميعا من الأعماق، مقدما فيه حيثيات تتويجه للعقاد أميرا
للشعراء "لأن العقاد ليس مقلدا ولا يستطيع أن يقلد ولو حاول التقليد لفسدت
شخصيته، وشخصية العقاد فوق الفساد" كما قال طه حسين، فالعلاقة بين الاثنين كما
رأيناها وسمعناها وقرأناها علاقة ممتازة، فماذا حدث حتى يهاجم طه حسين، العقاد بعد
وفاته؟ لقد كان العقاد شخصية قوية مهيبة مخيفة في حياته.

وقد اهتزت صورة طه حسين قليلا بعد هذا الهجوم، فنحن نحب طه ونحب العقاد،
وقد هزنا ما قاله طه في حق العقاد.

وفي الوقت الذي كان فيه العقاد كاتب الوفد الأول، وعلمت أن طه حسين كان
عدواً لسعد زغلول، حزنت وغضبت، وقلت لنفسي يعني يا دكتور طه بشعبتك وعلو
فكرة الحرية عندك وأنت رجل من صميم الشعب، فأنت مرشح لكى تكون كاتباً لسعد
زغلول، فكيف تكون كاتب الأرسقراطية المصرية؟ هذه لم أفهمها، وربما كان مبعث ذلك
علاقته الشخصية والفكرية بجذب الأحرار الدستوريين.

ولكن بعد إخراج طه حسين من الجامعة، تلقفه "الوفد" وبدأ يكتب فى صحفه
ومجلاته، فبدأت أقرأ له ككاتب سياسى، رغم أنه كان كاتباً سياسياً من قبل، ولكننى لم
أكن أقرأ له حينذاك حيث لم تكن بعد قد تعلمنا قراءة الصحف، حتى بدأت أقرؤه
ككاتب من كتاب "الوفد" الكبار، ثم تتبعناه حتى صار مديراً لجامعة الإسكندرية، ثم
وزيراً للمعارف فى وزارة "الوفد" الأخيرة، وكان هو الذى قرر مجانية التعليم فى المرحلتين
الابتدائية والثانوية، وقال: إن التعليم ضرورة كالماء والهواء.

لكل هذا أرى أن طه حسين شخصية كبيرة متعددة الجوانب، تجد فيها الوزير

المصلح، والمفكر الثائر، والأديب المتنوع الممتع، وله أسلوب خاص به مميز، لم تعرف "العربية" أيامنا أساليب مميزة بمثل هذه القوة سوى أسلوب طه حسين والمنفلوطي.

ورغم أنني أحببت طه حسين إلا أن طبيعتي كرجل منزو، تجعلني أحب من بعيد، يعنى مثلاً أنا أحب العقاد حباً يفوق كل وصف، وكنت أذهب إلى مكتبة "الأنجلو" لشراء الكتب وكنت أجده جالساً يقلب في الكتب، ولكنني لم أجرؤ أبداً على الاقتراب منه والتسليم عليه، مقدراً انهماكه فيما هو فيه، فلم أضع يدي في يده طوال عمره رغم إكباري العظيم له واعتبار نفسي واحداً من تلامذته. كذلك كان طه حسين، ولكن بعد الثورة وإنشاء "نادى القصة" دعاه المرحوم يوسف السباعي بعد أن اختاره رئيس شرف للنادي، وقدمنا جميعاً له، فسلمت على "طه" وبدأت معرفتي به، ولم يكن قد قرأ لي شيئاً أبداً، ولكن المرحوم "أنور المعداوي" الناقد المعروف، قال له: أنت كتبت عن يوسف السباعي، وأمين يوسف غراب، وغيرهم ممن قرأت لهم، فاقراً لتجيب محفوظ أيضاً، فقبلها طه حسين، كنوع من الإحراج، فالرجل لديه قراءاته ومستوليته، وقد كنت أهديه رواياتي كما أهديها لكبار أساتذتي ممن تتلمذت عليهم وأحببتهم وتأثرت بهم، وربما يكون طه حسين لم يهتم برواياتي في البداية، ربما لأنه لم يكن يعرفني، ومن غير المعقول أن يقرأ طه حسين كل رواية جديدة تأتي إليه، فلما تعرفت عليه في "نادى القصة" وقدمت له "المعداوي" ورجاه أن يقرأ لي، كان من حسن حظي أنه كان راضياً عما كتبت، فقد قرأ لي أول ما قرأ "زقاق المدق" وكتب عنها مقالة رائعة، ثم كتب مقالةً آخر لا ينسى عن "بين القصرين"، فقد عرض للرواية الأولى وقام بتحليلها وقال: إنها رواية تصل لمستوى الأدب العالمي، وكتب عن الرواية الثانية مشيداً بما هو أكثر من ذلك.

لقد رفع طه حسين، روي المعنوية لدرجة لم أكن أتصورها، خاصة أن ذلك قد جاء بعد حرمان طويل من النقد منذ أن تناول أعماله "سيد قطب" و"أنور المعداوي"، فمرت سنوات طويلة حتى كتب عن طه حسين.

ثم حدث اتصال بيننا، ودعاني لمقابلته في بيته، فكنت أتردد عليه، أحياناً أذهب إليه وحدي، وأحياناً أذهب بصحبة ثروت أباطة، وفي هذه اللقاءات كان يدور حديث في الأدب وفي السياسة، وكان يتبسط معنا، ولكن شخصيته كانت تفرض الأستاذية التي ربما

لم يكن يجب أن يظهرها كي لا يضايق الناس بها ، ولكنه رغم تبسطه معنا إلا أننا كنا نشعر بأستاذيته وهو يتحدث إلينا.

لقد كان رجلا عظيما مضيئا في شخصيته، وفي إبداعاته ككاتب متعدد المواهب، وفي ترجمته لأدب الإغريق، ومؤلفاته الأدبية والعلمية، فمن ذا الذى يستطيع أن يجمع بين الفن والعلم ويجيد فيهما كما فعل طه حسين إلا أن يكون رجلا عظيما.

وهذا الكتاب لإبراهيم عبد العزيز الذى يضع فيه بين أيدينا وثائق وأوراق ومراسلات طه حسين مع نجوم عصره فى الأدب والفن والسياسة والقانون وغيرها من مجالات الحياة، هو كتاب يساهم بشكل كبير فى إضاءة شخصية طه حسين وتقريبها إلينا فى جميع صورها الإنسانية والنفسية، ويجعلنا نعيش مع رجل ملأ عصره ولا يزال يثير الجدل بعد رحيله، فنراه فى حالات القوة وحالات الضعف، ونشاهده فى حالات التوافق وحالات التناقض، وكل ذلك وغيره مما تكشفه رسائله ورسائل الآخرين إليه، مما يجعلنا نحبه أحيانا، ونغضب منه أحيانا أخرى، نقرب منه بعض الوقت، ونبتعد عنه بعض الوقت، ولكننا فى كل الأحوال نعجب بطه حسين ونعجب له، ونحبه ونقدره باعتباره رمزاً من أبرز رموز النهضة الأدبية والفكرية فى القرن العشرين.

نجيب محفوظ

مقدمة

لعله من سوء الحظ أو يؤسه ألا أعيش عصر طه حسين وأسعد بلقائه واحتفظ له بأحاديث وذكريات كنتك التي تشعرنى بالحياة وحسن الحظ كلما تذكرت أساتذتي توفيق الحكيم ويحيى حقي ، ونجيب محفوظ بارك الله في عمره.

وظل إحساسى بشئ ينقصنى كلما تذكرت أننى لم أكن من تلاميذ عميد الأدب العربى الذى شغل عصره والناس ولا يزال، غير أننى حاولت أن أعرض هذا الشعور بالنقص بما فاتنى من حظ عظيم بلقاء طه حسين، بان أقابل تلاميذه وأحفاده، ففيهم منه بعض صفاته وهم قادرون على أن يصوروه لى فى أحواله كما عاشوها وشاهدوها ، وكان اهتمامى الأكبر يقوم على استجلاء الوجه الإنسانى للعميد، ثم مضيت فى مسعاى لأعثر على كنوز طه حسين وهى أوراقه ومراسلاته ووثائقه والتي عكفت على الحصول عليها بمعرفة السيدة الفاضلة منى الزيات حفيدة طه حسين التى أتاحت لى الإطلاع على كل ما ترك طه حسين من تراث ظللت أتابعه بضعة أسابيع بمنزل الحفيدة حتى استطعت أن أحوز هذا الكنز لأتيح للقارئ المصرى والعربى متعة الإطلاع عليه فى هذا الكتاب وكتب أخرى بدأت بكتاب "أوراق مجهولة لطله حسين، و"أيام العمر" رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم" ثم هذا الكتاب الذى بين يديك ، يتلوه آخر- إن شاء الله - لنكتشف الكثير من عالم طه حسين كأننا نعيش معه ونتحرك معه ونفاعل معه، ونضحك معه.. ونحزن معه.. إلخ.. إنها حياة كاملة نعيشها مع طه حسين كأنه لا يزال حيا يتحرك بيننا وقد بعث الحياة فى نجوم عصره، منهم من نعرفهم ومنهم من صاروا مجهولين بالنسبة لهذا الجيل والأجيال القادمة، فحرصت على ألا أفصل طه حسين عنهم أو أفصلهم عنه، فهو النجم الذى تدور حوله كل النجوم لا يخفيهم ضوءه الساطع، أو يطفى عليهم ، بل يضيئهم ويعرفنا بهم وبحياتهم وبجهودهم وبريادتهم وأفضالهم على العلم والثقافة والأدب والتاريخ والآثار والقانون.. وغيرها من المجالات التى أنشأت بها مصر نهضتها الحديثة والمعاصرة ووضعها فى طريق عصر التنوير الذى

نحن بحاجة إلى العودة إلى رموزه نستلهم منهم العون والقُدوة والإرادة والعزيمة، وروح المشابرة والتغلب على الصعاب وتجاوز كل المعوقات مهما كانت وأيا كانت ، ولنا في طه حسين وصحبه المثل والقُدوة ، وتلك هي رسالة هذا الكتاب أن تمثل طه وصحبه في أحوال قوتهم وانتصارهم، وأن نعذرهم في أحوال ضعفهم ، ونعزّمهم في أحوال انكسارهم، لأنهم في النهاية بشر وإن تميزوا ، وعلينا أن نستفيد من هذا الامتياز بتكراره إن أمكن، واستكمال ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وإحيائه بما أتيج لنا من ظروف التقدم المعاصرة ، فلاشك أن ظروفنا أفضل منهم، لأنهم هم الذين بدأوا وزرعوا ، وكم تكون البدايات صعبة ، ونرجو أن نكون قد استفدنا من غرسهم فلا نهمله ، واستفدنا من إنجازاتهم فحاولنا أن نضيف إليها.. إن طه وصحبه ليسوا مجرد أشخاص بل إنهم يمثلون عصراً جديداً بدأوه وعلينا أن نستكملة بروح عصرنا نحن لكسى نلحق بالمتقدمين بين الأمم. فلطه وصحبه الشكر على ما أنجزوه لنا ، ولأسرة طه حسين والسيدة الفاضلة منى الزيات كل الشكر والتقدير والعرفان.

كما أشكر تلك الصحبة الجميلة من الأصدقاء الأعزاء الذين تعاونوا على ظهور هذا الكتاب إلى النور بداية من العظيم الأستاذ نجيب محفوظ صاحب نوبل الذي لم يخجل بثنائه على ما قدمت من كتب ولم يتردد في التعاون لتقديم هذا الكتاب الذي خصه بذكرياته عن طه حسين، فله منى ما يعجز الشكر عن الوفاء به لهذا الرجل الذي يمتد نسبه إلى أصول الشجرة المباركة للرواد الكبار، ولزيملي في مهنة البحث عن المتاعب الأستاذ حلمي النمنم الشكر على متابعته لميلاد هذا الكتاب منذ أن كان فكرة حتى صار حقيقة واقعة وهكذا دائما يكون الموهوبون الذين يسعون لنجاح غيرهم بقدر سعيهم لأنفسهم ، أما الناشر الأستاذ محمد هاشم المتحمس دائما للشباب يعمل وينجح بهم ، فله منى بكل حروف الكتاب التي سابق بها الزمن فسبقته، كل ما يمكن من الشكر وكل ما أستطيع من تحية، وإلى القارئ العزيز نرجو أن يكون ما بذلنا من جهد على مستوى الأمل الذي من أجله سعى إلى هذا الكتاب وقضى وقتنا بين صفحاته.

إبراهيم عبد العزيز

مقدمة بقلم طه حسين

أنا (*)

إن كان حقا أن بعض الناس يعرفون أنفسهم معرفة تتيح لهم أن يتحدثوا فيسرفوا أو يوجزوا في الحديث عن أنفسهم تلك التي يعرفونها أو يزعمون أنهم يعرفونها، فإني لا يضيرني أن أعترف بأنني لست أعرف نفسي.

ولكني أعرف في نفسي إلى ذلك خلافا قد يعرفها بعض الناس وقد ينكرونها، أعرف فيها أنها نفس مؤمنة لا يزها عن إيمانها أن تكون على رأى والناس جميعا على رأى، لأن إيمانها إيمان القلب والعقل جميعا.. وأعرف فيها التصميم حين تريد ، لا يتحرف بها عن الغاية التي تريدها أن تتكأدها عقبة من العقاب ، لأنها لا تريد حين تريد إلا مؤمنة إيمان القلب والعقل والضمير، وأعرف فيها الصبر على بأساء الحياة ونعماتها جميعا، فما تعرف اليأس حين يدهم الخطب، ولا البطر حين تنبسط ظلال النعمة، لأن بؤس الحياة ونعماءها أعراض تزول.

على هذا الإيمان ، وهذا التصميم، وهذا الصبر، مضيت في الحياة منذ كنت فما أنكرت مرة عاقبة من عواقب أمر مضيتُ فيه .. وأغلب الظن أنني سأمضي على ذلك ما بقى من حياتي، حتى يتحقق لى أو يتحقق للذين يشهدون عاقبة أمرنا كله بعد أن نصير ذكرى فى ضمائر الأجيال المستقبلية ، أن الإيمان ، والتصميم، والصبر، هى الحياة، الحياة التى تحقق معنى وجود الإنسان الحى الممتد بآثاره فى الإنسانية الباقية..

طه حسين

(*) تحت هذا العنوان أملى طه حسين هذه السطور عن نفسه وهى كما نراها فى صورتها بها كثير من الشطب والتعديل وكان طه حسين أراد أن يعرفنا بنفسه فى سطور قليلة مركزة مضبوطة العبارة والمعنى.

أنا المصري (*)

قيل لنا ذات يوم حين كنا طلابا للعلم في باريس أثناء الحرب الكبرى أن الحكومة الفرنسية قد رأت لأمر من أمور الحرب أن تخضع الأجانب في فرنسا لملاحظة دقيقة، ومراقبة شديدة ، وأن تعلم من أمرهم ما ظهر وما بطن، وأنها من أجل ذلك قد فرضت على كل أجنبي أن تكون له تذكرة شخصية يستخرجها من إدارة الشرطة.. في البلد الذي يقيم فيه ، وأن هذا الأجنبي ملزم أن يظهر هذه التذكرة كلما طلبت إليه أثناء إقامته وسفره، وأثناء استقراره واضطرابه ، وحين يكون عاكفا على الدروس في داره ، أو جالسا إلى السمر مع أصحابه في ناد من الأندية.

وما هي إلا أيام حتى تلقى كل واحد منا دعوة إلى إدارة الشرطة في الحى الذى كان يقيم فيه، وكلف أن يصطحب الأوراق التى تثبت شخصيته.

فذهبت صباح يوم من أيام الجمعة إلى إدارة الشرطة في ناحية من أنحاء الحى اللاتينى، وهناك دخلت على رجل فرنسى شيخ ، ما أرى إلا أنه كان خليقا أن يحال إلى المعاش لولا أن الحرب كانت تصرف الشبان والكهول إلى الميادين، وتضطر الدولة إلى استبقاء الشيوخ، وأشباه الشيوخ في أعمالهم.

وكان هذا الرجل موظفاً فرنسياً بأدق ماهايتين الكلمتين من معنى، فبان للموظفين الفرنسيين خصالا يمتازون بها عن الموظفين في البلاد الأخرى. هم أحرار العقول، ولكنهم محافظون أشد المحافظة في أعمالهم الفنية، وهم من أجل هذا يمتازون بشئنين متناقضين أشد التناقض: عنف ظاهر، ورقة مستترة. فأما عنفهم فيفجأ الأجنبي ويغيظه ويملأ قلبه اضطرابا وهلعا، وأما رقتهم فتسحر الأجنبي وتملأ قلبه اطمئنانا وأمنا، ولكنها كما قلت خفية مستترة لا تستكشف إلا بالصبر والبحث وطول المزاولة والاختبار.

أدخلت على هذا الموظف الفرنسى فلقينى في هذه الغلظة العنيفة التى أشرت إليها، والتى كنت أعرفها حق المعرفة، فلم أكن أحفل بها ولا أشفق منها، وجعل يسألنى عن اسمى، واسم أبوى، وعن تاريخ مولدى، وتاريخ رحلتى إلى فرنسا. وأسباب هذه الرحلة.

(*) الراديو المصرى ٥ يونيو ١٩٣٧ - العدد ١١٦.

وكان يلقي علىّ هذه الأسئلة كأنه قاضى التحقيق حين يسأل منهما مخوفاً ، ولكنى كنت أسمع منه وأرد عليه مبتسماً راضياً، كأنما كنت أسمع منه مداعبة ومزاحاً. ثم انتهى السؤال والجواب إلى جنسيتى، وكنت قد سافرت من وطنى مصرى خاضعاً لسيادة الترك العثمانيين ، ثم أعلن أصدقاؤنا الإنجليز حمايتهم بعد ذلك، ولكنى لم أحفل ولم أفكر فيها ولم يخطر لى أنها ستكون ذابال فى يوم من الأيام ولم أفكر على أى حال فى أن هذه الحماية ستمسنى من قريب أو بعيد. فلما سألتنى هذا الموظف الفرنسى عن جنسيتى؟ أجبتة : بأنى مصرى.

فاستعاد الجواب ، ثم قال مبتسماً مغيظاً فى وقت واحد: ولكن هذه ليست جنسية. قلت : لا أعرف إلا أنى مصرى.

فضحك فى شىء من السخرية، ثم ظهرت ناحية من نواحي الخلق الفرنسى الذى يمتاز به الموظفون الفرنسيون ناحية الحاجة إلى البحث والفهم والاستقصاء ، يكون ذلك أشد الحب ويقدمون عليه مع ذلك كارهين متناقلين، لا يخفون ضجرهم وتبرمهم.

نهض هذا الموظف إلى كتب ودفاتر، فاحتملها ووضعها أمامه، وجعل يقلب أوراقها، ويطلع النظر فيها ، وكأنه قد نسينى نسياناً تاماً، وانصرف إلى بحث علمى شغل به ساعة على أقل تقدير، ثم التفت إلىّ مشرقاً، وقد بعث من حلقة آهة المنتصر المظفر، وضرب بيده على المائدة كأنه قد تخفف من عبء ثقيل وقال:

لقد عرفت الآن صفتك السياسية فأنت رعية عثمانية ومحمى بريطانى!
قلت مغيظاً: فإنى لا أعرف إلا أنى مصرى.

قال ضاحكاً: أنت مصرى ما فى ذلك شك ، ولدت فى قرية من قرى مصر، ولكن هذا لا يمنحك جنسية سياسية لأن هذه الجنسية المصرية غير موجودة، وقد كنت قبل إعلان الحرب رعية عثمانيا ، فلما أعلنت الحماية أصبحت محمياً بريطانيا، وسنرى بعد انتهاء الحرب واستقرار الأمور، ماذا تكون ، وإلى أى حال يصير أمرك وأمر مواطنيك.

ثم أتم عمله وأعطانى هذه التذكرة الشخصية التى سجل فيها أنى رعية عثمانى ومحمى بريطانى، وافترقنا ، وإنه سعيد سعيد مغتبط لأنه قد ظفر من نفسه بحل مشكلة من مشكلات القانون الدولى، وإبنى لمغيظ محقق أشعر بالإهانة فى أعماق نفسى لأنى أحصل جنسية لا أعرفها، وحماية لا أريدها، فلست من الترك ولا من الإنجليز فى شىء ، وإنما أنا مصرى ، ومصرى ليس غير. .. وكنت أحس كلما ذكرت هذه القصة فى ظرف من الظروف التى أشرت إليها كأن عبثاً ينحط عنى، وكأنى أخلص من بعض الحرج، وكأنى أسترد من الحرية حظاً لم أكد أملكه، حتى إذا

كان يوم صيف (حين حصلت مصر على استقلالها وصارت عضواً بعصبة الأمم ومعزفاً بجنسيتها المصرية طبقاً لمعاهدة ١٩٣٦) أحسست نفسى حراً طلقاً وأحسست هذه الحرية عذبة سائغة، تشيع فى القلب فتملؤه سرورا وغبطة، وتشيع فى النفس فتملؤها إباء وكبرياء.

وتظهر آثار هذا كله على وجهى الذى كانت تلقى عليه مشقة العمل فى العام الجامعى غشاءً مظلماً قائماً، فإذا هو يشرق ويشيع فيه الابتهاج، وعلى لسانى الذى كان يثقله الجهد والعناء، فإذا هو ينطلق بألوان من الحديد إلى كل من لقيت فى هذه الأغلال النقال التى حُطمت عن مصر فى أقل من عام..".

".. إنى لا أكتب هذا لأحدث فى شأن من شئون السياسة، بل أكتبه لأعرب عن شعور من حقى الطبيعى أن أعرب عنه، وهو شعور الابتهاج بالاستقلال^(*) وأسأل نفسى، ويسأل المصريون عما يمكن أن تكون عليه سيرتنا بعد الاستقلال"^(**).

طه حسين

(*) رغم أن معاهدة ١٩٣٦ حققت استقلالاً ناقصاً لأن الاحتلال كان لا يزال قائماً، إلا أن ما حققته من مكاسب لا يمكن التقليل من أهميتها بالنسبة للظروف التى تمت فيها، ويكفى للدلالة على ذلك تلك القصة التى رواها طه حسين وما فيها من شعور بالمهانة لأنه ليس له ولل مصريين جنسية مصرية، فاستردوها بتلك المعاهدة مما يمثل اسزاداً لشخصيتهم.

(**) أجاب طه حسين عن هذا السؤال فى كتابه "مستقبل الثقافة فى مصر" وكان مدرسياً أن ما كسبته مصر هو "بعض الحقوق".

ابنى طه بك حسين

لم يكن الكاتب الأمريكى "رونالد روبينسون" فى كتابه "أهم مائة شخصية فى العالم" مبالغا حين وضع اسم طه حسين "لا بين الشخصيات المائة المختارة فحسب بل ضمن التصنيف الأضيق: بين الرجال العشرة الذين طبعوا عصرهم أيضا: مع برتراند راسل وتشرشل وأينشتين.." وغيرهم، ولم تكن الفتاة الفرنسية "سوزان" تعلم وهى تقبل الزواج من الفتى المصرى الكفيف طه حسين أنه سيحوز مثل هذا المجد ، وإن كانت تعلم يقينا أن عليها أن تأخذ نصيبتها من كل الخن التى اختصت بها الحياة، الرجل الذى أحبته، وبقدر فرحتها بالنجاح الباهر الذى حققه طه حسين فى الحصول على الدكتوراة التى كانت خير عون له فى اجتياز امتحاناتها، بقدر قلقها الذى ساورها وهى فى الطريق مع طه حسين لزيارة والديه فى صعيد مصر بكوم أمبو حيث كانا يعيشان آنذاك فكيف استقبلها الشيخ حسين على سلامة. والده، وكيف استقبلتها والدته، إن سوزان نفسها تحكى قصة هذه اللحظات بما حملته إليها من مفاجآت غير متوقعة.

فتقول : استقبلانى بجمرة..

قال عمى لابنه: سأخرج مع زوجتك، فلا تشغل بنا.

تناول ذراعى وقمنا معا بجولة فى البلدة. لن يبدو أمرا خارقا لشباب اليوم أن يتنزه شيخ وقور معمم مع امرأة شابة سافرة، أجنبية ومسيحية تعتمر القبعة لكنه كان كذلك فى تلك الحقبة. ولم أنس هذه اللقطة على الإطلاق عندما يتحدثون عن التعصب الإسلامى لا أملك نفسى عن الابتسام أو الغضب.. هذا الرجل الذى كان ذا مهنة بسيطة ولاشك ، لكنها تتيح للأسرة حياة كريمة، والذى كان يحب القراءة والحوار مع الوجهاء، وكان يتميز بميزة طبيعية أدهشتنى : فقد كانت عيناه الزرقاوان تتألقان بدهاء محبب، ولم أدهش للاحترام الذى كان يلقيه فى القرية. أما حماتى ، فقد انصرفت بكليتها لتأمين راحتى وراحة طفلى الصغيرة . كانت الحوالة المالية التى أرسلها والد طه هى التى سمحت لنا بشراء عربة للطفلة. كان يحدثنى عن أبويه بخنان".

وعندما سألت الراحل محقق التراث المعروف إبراهيم الإيبارى الذى عمل سكرتيرا لطفه حسين على مدى ربع قرن ، عن صلة العميد بوالديه ، حدثنى قائلا: كان يحب والديه. وعندما توفيت والدته وهو وزير للمعارف، كنت من الذين ذهبوا معه لدفنها، وقد رأيتها للمرة الأولى ييكى، فقد كان حزينا جدا لفقده والدته التى كان يرها كثيرا فى حياتها، وأذكر حين زارته فى

القاهرة، أن قام باصطحابها لزيارة أولياء الله الصالحين كسيدنا الحسين ، وكنا نستقل لذلك سيارة، وحين نصل إلى أحد الأولياء يطلب مني طه اصطحاب والدته للزيارة، فلما سألته فى المرة الأولى أن يكون هو فى صحبتها، أفنعتنى بأن سهولة تعرف الناس عليه سوف يفسد الزيارة".

وعند ماتت والدته كان طه حسين "مفطور القلب مفجوع الفؤاد على فقد أمه الغالية"^(١) وهكذا كان طه حسين يلقى الحب من والديه، ويتلقون هم البر منه، وكان قلقهم الشديد عليه إبان الأزمات التى عاناها، ولعل من أخطرها أزمة "فى الشعر الجاهلى" التى رغم براءته مما نسب إليه فيها إلا أن لعنة هذا الكتاب ظلت تطارده حتى يومنا هذا، وكان من الطبيعى أن يقلق عليه والده أشد القلق وهو يرى ابنه عرضة للاتهامات "والحملات القاسية فى الصحافة، والشتائم، والتهديد بالموت الذى كان وراء إقامة حراسة على مدخل بيتنا أمام باب الحديقة خلال عدة أشهر" كما تقول سوزان.

وكان والد طه يحاول الاطمئنان عليه من خلال الخطابات، وكان طه يطمئنه قائلا:
"أبى أنت أوصيتنى بألا أصدق كل ما أسمع وأنا أوصيك بألا تصدق كل ما تقرأ".

معذور جدا

ولم يكن طه حسين فى مواقفه وكتاباتة باحثا عن الشهرة أو المال، بل باحثا عن قيم التنوير والتحضر والرقي والإنسانية، تحكى لى حفيدته منى الزيات فى حوار معها قبل خمس سنوات ، وقبل رحيلها للاستقرار بأمریکا، إن طه حسين "كان يحب العدل ويكره أن يجيد أحد عنه، وكان له أخ تزوج اثنتين، فقاطعه طه حسين طوال عمره ، ولما سأله أبوه الشيخ حسين على سلامة: ولماذا تقاطع أخاك بسبب زواجه من اثنتين؟

فقال طه حسين: إنه لا يكره فكرة الزواج بأكثر من واحدة إلا لشيء هو تجنب العدل، لأن الله رغم أنه أحل تعدد الزوجات فقد ورد فى محكم آياته "ولن تعدلوا".

ومع الحوار الأبوى القائم بين طه حسين ووالده، فقد كانت الخطابات وسيلة أخرى من وسائل الاتصال بين الابن وأبيه.

(١) محمد رفعت المستشار الفنى لوزارة المعارف - الهلال يناير ١٩٥١.

بين أيدينا رسالة كتبها والد طه إلى ابنه في الرابع من أكتوبر ١٩٣٨، وكان طه يشغل منصب عميد كلية الآداب، وفي الخطاب النادر يتوسط الشيخ حسين لنجل ابن عم طه الذي طرد من المدرسة لعدم قدرته على دفع المصروفات. ولعل مثل تلك المواقف. هي التي دفعت طه حسين ليطالب بمجانبة التعليم للجميع بحيث يصبح في متناولهم كالماء والهواء، ولنقرأ هذا الخطاب النادر بخط والد طه حسين، وسوف نجد فيه قطعة من الأدب الأبوي الرفيع تدل عليه هذه العبارات التي جاءت في هذا الخطاب، فهو يخاطبه بقوله:

"نجلى حضرة صاحب العزة الدكتور طه بك حسين" وهو يحرص على ألا يثقل على ابنه لولا الضرورة فيقول له: "فاضطرت لتكرار رجائي" ثم يؤكد "وأخ في الرجاء" ثم يبرر ذلك بقوله "ووالدك معذور جدا في هذا الإلحاح" ويبدو أن ضغط أسرة ابن عم طه حسين كان شديدا على والده لاعتقادهم أن قريتهم عميد الأدب العربي يمكنه بنفوذه أن يخدمهم ويحل مشكلتهم.

لنقرأ نص الرسالة وما يهمنا فيها هو هذا الاحترام من الوالد لولده وأى ولد هو؟

يقول الشيخ في : ١٩٣٨/١٠/٤

نجلى حضرة صاحب العزة الدكتور طه بك حسين

أقبلك ألف قبلة وأدعو لك بدوام الرفاهية وكمال الصحة وأرجو أن يكون أفراد الأسرة الغالية بخير: (وبعد) لم يصلني ما يطمئني على مسعاكم في مسألة حفيدنا "محمد ربيع" نجل عبد الحميد ابن عمكم خالد وقد حضر بطرفي مسرورا ومتأثرا جدا إثر محادثتكم له تليفونيا ومستبشرا بقبول رجائه.

وقد عرفني بأن ابنه طرد من المدرسة لعدم دفع المصاريف. وجميع أفراد عائلته في زعل شديد مخافة ضياع مستقبل ولدهم، ولما لاحظت حالته تستدعي الشفقة هالتي ذلك فاضطرت لتكرار رجائي، وأملى عظيم في أن تجعلوا هذه المسألة المكانة الأولى من هممكم، وأنا موقن تماما بل أضعاف هذه المسألة ميسورة لديكم، ونظرة بسيطة من السهل جدا تقريرها، فأرجو وأخ في الرجاء، ووالدك معذور جدا في هذا الإلحاح لأهمية ذلك لدى خصوصا وأن في استطاعتكم تنفيذ هذه الرغبة.

والسلام عليكم ورحمة الله

والدكم

حسين علي سلامة

ولم يكن غريبا بعد ذلك أن ينتقد طه حسين نظام التعليم والمستولين عنه فى المجلس الأعلى للتعليم الذى "ليس بين أعضائه من يعرف لذع الجوع، وليس بين أعضائه من يعرف انكسار النفس حين يرد ابنه عن المدرسة لأنه لم يدفع المصروفات فيعود إليه باكيا تغسل الدموع الغزار وجهه الصغير".

ويؤكد طه حسين أن التعليم حق للناس جميعا، وأن على الدولة أن تيسره لهم بلا تكلفة لهم وأن تزيل من طريقهم العقبات، وأن مصر هى البلد الوحيد فى هذا العصر بين بلاد العالم الذى يشقى الشعب فيه بنفقات التعليم".

بل يطالب طه حسين "الحكومة" أن تعفى المصريين لا من نفقات التعليم وحده ولكن من نفقات الغذاء أيضا". ولا يترك لها عذرا لأنها مسئولة وإن لم تفعل فهى مقصرة "والحكومة التى تحتفل هذا التقصير ليست خليقة للبقاء فى مناصب الحكم" ويذهب طه حسين إلى رؤيته الأبعد فى مجانية التعليم لمحاربة الجهل والفقر والمرض ويرى أن "الخطوة الأولى فى سبيل محاربة هؤلاء الأعداء الثلاثة إنما هى أن نعلم الصبية والفتية، ونكفل لهم طعاما مريئا، ولعبا هنيئا، وصحة موفورة، دون أن نتقاضى أباءهم على ذلك أجرا يعجز أكثرهم عن أدائه".

مراسلات

النحاس باشا - طه حسين

فى الوقت الذى كان فى طه حسين يفكر فى الانتحار بعد أن ضيقت عليه ديكتاتورية رئيس الوزراء إسماعيل صدقى ، سبل العيش والحياة لرفضه رئاسة تحرير جريدة "الشعب" المتحدثة باسم حزب الديكتاتور، تقدم مصطفى النحاس باشا ليعرض عليه المشاركة بقلمه فى تحرير صحيفة "كوكب الشرق" إحدى الصحف الناطقة بلسان حال "الوفد" ، ويستقبله النحاس باشا مرحبا به على صفحات "كوكب الشرق" حين كتب بخط يده "وإنى لمغتبط باشتراك النابغة الكبير الدكتور طه حسين فى تحريره على المبدأ الوفدى" ويعاهد طه حسين قراءه على "الإخلاص فى القول والعمل، والصدق فى الرأى" ، لتبدأ بذلك رحلة من الصداقة بين زعيم الفكر طه حسين ، وزعيم الأمة مصطفى النحاس توجت باشتراك طه فى الوزارة الأخيرة للنحاس كوزير للمعارف . وقد جرت بين الرجلين الصديقين حوارات ومراسلات .

ومن الطريف أن نعرف كيف كان موقف طه حسين من زعيم الوفد الأول سعد زغلول وحملته عليه بسبب عدم احتفاء سعد به حين التقيا وموقفه منه أثناء أزمة الشعر الجاهلى، ثم كيف كان موقف طه من زعيم الوفد الثانى النحاس باشا إلى درجة أن يصفه بأنه "زعيم المؤمنين" مما قدره له النحاس، ويظهر ذلك واضحا فى التلغراف الذى أرسله فى إحدى المناسبات من الإسكندرية: إلى حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك ... الزمالك .

لعميد الأدب العربى شكر وتقدير وتحية وتهنئة، أبقى الله لى إخلاصك المكين ووفاءك المتين، وبارك فىك لهذا الوطن الأمين.

مصطفى النحاس

فى طريقنا إلى لندرة

وأثناء الوزارة الثالثة للنحاس يكتب النحاس خطابا فيما يبدو أنه رد على خطاب لطله حسين الذى يبدو أنه كان يعتذر له عن الإطالة فى الكتابة إليه ، ويشير النحاس فى خطابه إلى أثر معاهدة ١٩٣٦ والفرح بها، وهى المعاهدة نفسها التى ألغاهها النحاس بنفسه بعد أن استنفدت أغراضها. يقول النحاس فى رسالته:

رئاسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

الإسكندرية في ٦ أغسطس ١٩٣٦

عزيزى الدكتور طه حسين

لقد كنت على العكس أحب أن تطيل فى الكتابة إلى لأن مثل هذه العواطف الخالصة التى بلغت الغاية فى التعبير عنها هى راحة لنفس المكذود وعون على أشق الجهود وزاد فى مواقع الجهاد أى زاد .

أما المحادثات فقد علمت من غير شك أنها آتت ثمرتها ووقعنا بحمد الله الاتفاق يوم الأربعاء الماضى والجميع مغتبط راض بهذا الاتفاق ، والأمة فى فرح منه عظيم .

نرح مصر ياذن الله يوم الاثنين المقبل ١٧ أغسطس ١٩٣٦ فنصل باريس يوم السبت صباحا فى طريقنا إلى لندرة . (هكذا كتب النحاس باريس ، ولندن).

أطيب الأمنى لزوجك الفاضلة ونجليك ، وصادق حبي لك.

المخلص

مصطفى النحاس

فى الربيع

ولأن طه حسين كان يهدى كتبه إلى النحاس فإن النحاس بدوره كان يرد على تلك الرسائل بآرائه وملاحظاته النقدية التى ترينا وجهها آخر للزعيم المهتم بالفكر والأدب، ولنقرأ معا رده على طه حسين بعد أن أهده "الأيام" فى جزئها الثانى.

يقول النحاس فى رسالته:

مصر الجديدة فى ٥ إبريل ١٩٤٠ .

عزيزى حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك.

قرأت هديتك الجزء الثانى من كتابك "الأيام" فراقنى فيه سلاسة التعبير ودقة التصوير. ولقد اجتذب إعجابى أوله حتى أتيت آخره وخرجت منه بأشياء فيها الكثير من الطرافة والعجيب من الوقائع.

رأيت فيه وصفا صادقا لحياة الشظف والضيق التى عانيتها . حياة كنت أمينا جد

الأمانة على وصف كل ما فيها فذكرت شرها وخيرها وأنصفت من شاركهم فيها أو أشركوك هم فيها، في غير تجن ولا إنكار لحسنات من أحسن منهم. وإن كنت قد تفاضيت عن سوءات من أساء منهم فلم تشأ أن تذكر أشخاص المسيئين ، شأن رجل الخلق والعفة وسعة الصدر.

ولقد استطعت ببراعتك الوصفية وسيرك فيما كتبت مع الطبيعة والحقيقة أن تنتقل بقرائك إلى الحياة التي حيتها حتى يحسون كأنهم شاهدوا عيشتك في "الربيع" ورأوا ما ذقت من المر، وحتى لتأخذهم الشفقة ، بل والغضب لذلك الفتى المسكين الذى قضى بعض سنى حياته مهملاً فى ركن من حجرة يأكل وحده ويفكر وحده ويتعلم وحده، ويهمل فى كثير من الأوقات حتى من أخيه الشيخ، ثم ليأخذهم الإعجاب بالفتى والغبطة له والانتصار لرأيه حتى يصلون إلى أنه استطاع بذكائه وحرية فكره واقتناعه بما يدافع عنه أن يكون شيئاً مذكوراً ينظر إليه ويؤبه له ويهتم به .

وكذلك العقيدة إذا خالطت قلباً مؤمناً بها تغلبت على كل عقبة وتخطت كل خطر وقضت على كل ما يقف دون إبرازها وانتفاع الناس بها.

وهكذا حرية الفكر إذا صادفت نفساً أعدها الله للذود عنها كتب لها النجاح الذى كتب لك وصادفها التوفيق الذى صادفك.

ولا أكنمك أن كتابك زاخر بالصور الفنية الطريفة ، والوقائع الحقيقية الرائعة ، فهو جدير بأن يقرأ ويقتنى .

على أننى لا أحتم كلمتى هذه إليك قبل أن أشكرك وأثنى عليك بصالح أنت له أهل. نفع الله بك العلم وطلابه وأجزل لك جزاءه وثوابه .
المخلص

مصطفى النحاس

لغة القرآن

ويعلق النحاس باشا على كتاب آخر لطفه حسين أهدها له بعنوان "على هامش السيرة" فيكتب إليه هذه المرة بخط مطبوع على الآلة الكاتبة أثناء وزارته الخامسة فيقول :

عزيزى حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك

تحية مباركة طيبة وبعد، فلقد تلقيت هديتكم الكريمة "على هامش السيرة"، بما هى أهل له من التقدير وحس القبول، وشكرت لكم كلمة الإهداء الرقيقة التى وجهتموها إلى . والحق أن القارئ ليجد فى كتابك من إمتاع الخيال والعاطفة مالا يجده فى غيره، فيمضى فى قرائته إلى نهايته مأخوذاً بما فيه، لا يملك عنه انصرافاً، ولا يجد عنه حولا .

لقد أضفيت فيه من فنك ما جعل له جاذبية ينشط معها الخيال نشاطا يذهب بفوارق الزمان، وحدود المكان، فيعيش القارئ مع أشخاص كتابه فى وقتهم وبيئتهم حتى وكأنه يبصر ما يعملون، ويستمتع إلى ما يقولون. رأينا فى كتابك "الوليد بن المغيرة" فى هيئته وفخامته وضخامته، وفى وجهه الجهم الغليظ، وسمعنا صوته العميق الذى يخيل إلى السامع أنه يخرج من غار بعيد القاع. ورأينا ابن أخيه "أبا جهل" عمرو بن هشام فتى قويا نحيفا، شديد النشاط، كثير الحركة، بعيد الأمل، ثم لمسنا النار التى تضطرم فى قلبه كراهية للأمين وحقدا عليه. ورأينا كثيراً غيرهم ممن ارتبطت بهم حوادث السيرة كأنهم يعيشون بيننا، لأنك استطعت بفنك أن تردهم أحياء ينفضون عنهم غبار القرون، وأن تحملهم على أن يعيدوا نفس المواقف التى وقفوها فى تلك العصور .

كل هذا أو غيره مما يشابهه دقة وروعة، كان فى كتابك مثلاً فنيا بارزاً من أمثلة القوة والبراعة التى اختصك الله بها. ولا ريب أنك أحدثت فى الأدب العربى ألواناً من الفن القوى تجدد الإيمان بأن لغة القرآن لا تزال مستعدة للصور الأدبية الرائعة، وأن فى تاريخها مادة غزيرة تنسج منها أحسن القصص وأمتعها .

فبارك الله قلمك، وصان أدبك وأعزبك لغة العرب، ونفع بمؤلفك طلابك ومريدك ومحبيك.

والسلام عليكم ورحمة الله.

القاهرة فى ٧ صفر ١٣٦٣

المخلص
مصطفى النحاس

٢ فبراير سنة ١٩٤٤.

شكوى زوج مندور

وفى رسالة أخرى من النحاس إلى طه حسين يرد فيها على ما نقله إليه الأخير من شكوى "السيدة حرم الدكتور مندور من تراخى كبار المحامين الوفدين فى العناية بأمره، وذلك على إثر

اعتقال صدقي له بتهمة الشيوعية مع مائتين من الكتاب والمفكرين المعارضين إرهابا لهم، وقد اتصلت بالسيدة "ملك عبد العزيز" زوج الناقد الكبير المعروف د. محمد مندور لأقف على حقيقة شكواها لطله حسين فذكرت لي أن طه حسين قد زارها زيارة مجاملة أثناء اعتقال الدكتور مندور ولم تشكو إليه إطلاقا من تراخي كبار المحامين الوفديين في العناية بأمره "وتؤكد أنهم قد قاموا بواجبهم كما يجب أن يكون، فهل نفهم من كلام طه حسين للنحاس بهذا الشأن أنه ادعى هذه الشكوى لكي يثير اهتمام النحاس بتلميذه صاحب الفضل عليه حين أرسله في بعثه، والذي يعجب منه بـ"وفاءه وحسن تقديره لأساتذته وأدبه معهم في الجدل والنقاش"، أم نتهم ذاكرة زوج د. مندور خاصة وأن وقائع ما حدث مرت عليها أكثر من خمسين سنة؟ على أية حال لنقرأ رسالة النحاس باشا:

عزيزي حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك .

تحية صادقة كريمة لك وللسيدة المحترمة حرمك والأبنجال الأعزاء وبعد.. فقد تلقيت رسالتك الخاصة بما تشكو به السيدة حرم الدكتور مندور من تراخي كبار المحامين الوفديين في العناية بأمره وإني أؤكد لك أني لم أتوان لحظة واحدة عن تتبع هذه المسألة والاهتمام بها، ولما تسلمت كتابك اتصلت بحضرة الأستاذ محمود سليمان غنام وسيكون في مقدمة حضرات المحامين عند نظر المعارضة القادمة، وثق أنهم لن يتوانوا عن تأدية واجبهم نحو الدكتور مندور.

هذا وإني أنتهز هذه القرصة فأحييك تحية ممتزجة بصادق التهنية على ما تدبجه يراعتك من مقالات رائعة جمعت بين سلاسة اللفظ ودقة المعنى وسرعة البديهة في الكشف عن الحقائق وتبصير الرأي العام بما وراء الستار.

وليس يجديد على عميد الأدب العربي أن نرى له كل يوم هذه التفثات وتلك الآيات البينات .

حيا الله قلمك وبارك عزمك ومتعك بما تحبه وترضاه . وتقبل وافر تحياتي

المخلص

٢٢ أغسطس ١٩٤٦.

مصطفى النحاس

البريد المتباطئ

وفي رسالة جديدة يشكر النحاس لطفه حسين وفاءه رغم شعور طه بالتقصير في حق صداقته للنحاس مما يتبين من خلال سطور خطاب النحاس الذي يقول فيه :

سیدی بشر فی ٤ سبتمبر ١٩٤٨ .

عزيزى حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك

السلام عليك والشوق إليك من معترف بفضلك ، مقر بعلمك وأدبك .

أما بعد، فقد تسلمت كتابك الرقيق ، فلمست بين سطورهِ صدق الأخوة ، ووفاء الرجولة، وحذب الخدب، وعاطفة المخلص المكين . وإن من كان مثلك فى فضله وعلمه ، ورجولته وخلقه ، وكمال أدبه وحسن عشرته ، لا يمكن أن يقصر أو يهمل أو يتغاضى ، فإننى لمقدر لك ظرف انشغالك بمختلف الأعمال، ولا أحس أننا تفارقنا إلا بالجسم ، فإننى أراك كل يوم فيما أقرأه لك وعنك ، وفيما أسمع من حركتك المباركة ، وتنقلك فى بلاد فرنسا من مكان إلى مكان ، لا لتقطع الوقت سائحا أو متزها أو مستزوحا ، ولكن لتقدم للعلم والحضارة والثقافة أجل الخدمات وأخطرها، ولتضرب لفرنسا الأمثال على أن فى مصر علماء أمثال لا يقولون عن علماء الغرب فى شتى ضروب الثقافة والإطلاع إن لم يزيدوا .

ولا أكتفك أنى لم أكن أنتظر منك - وأنت فى مشاغلك المتلاحقة أن تجد من وقتك فسحة. تكتب فيها إلى إخوانك وأصدقائك وكلهم يلمسون عذرك . ويكتفون بمتابعة ما تكتب وما ينشر عنك. ولكنك أبيت - وأبرز ما فىك الوفاء - إلا أن تكون ذاكرة لى بقلمك كما تذكرنى بلسانك وقلبك، وإلا أن تختلس وقتا - قد تكون اقتطعته من طعامك أو من راحتك - لتكتب إلى كتابا كله خلق وكله رجوله وكله وفاء ، فأدخلت على قلبى السرور والانسراح ، فى وقت المحى فيه كل سرور وبهجة ، مما نراه من أحداث وتصرفات آخذ بعضها بتلابيب بعض ، بل فى وقت تكاثرت فيه الحزن التى تنوء تحت ثقلها العزمات ، والنسى تلقيناها ونقلهاها بإيمان لا يضعف وصبر لا ينفذ، وتوكل على الله لا يفارقنا فى فينة من الفينات .

ولقد جاء كتابك وما فيه من تذكير بآيات الله ، وما وعد الصابرين والمجاهدين ، حين يتلون ويصبرون ، فى وقت أشد ما نكون حاجة إليه، لا ليذكرنا شينا نسيناه ، ولكن ليشد من عزمنا ويقوى من يقيننا ، ويزيدنا إيمانا بالله وبفضائه وقدره فوق إيماننا .. ومن غير طه

حسين يستطيع أن يتغلغل في الأعماق ويصل إلى شغاف القلب، فتبعث رسالته الروح والريحان ، وتملؤها الهدوء والاطمئنان ..

حيك الله وبارك في أخوتك ، ومتعك بما ترجوه ويحبك لك أصدقاؤك - وما أكثرهم - وحيك من الصحة والعافية ما تؤدي به رسالتك لهذا الجيل والأجيال المقبلة ، ومنحك من التوفيق ونجاح القصد ما أنت أحق به وأولى .

واقبل من السيدة حرمى تحيتها وشكرها وتقديرها.

وأرجو أن تبلغ السيدة المصونة حرمك تحياتنا جميعا وأصدق تمنياتنا . ولا أنسى تحية النجل العزيز ..

وإلى اللقاء فى أسعد الفرص وأجمل الأوقات والسلام عليك ورحمة الله

المخلص على الدوام

مصطفى النحاس

تأخر خطابك أياما من وقت صدوره بين البريد الجوى المتباطى وبين الرقابة فأرجو ألا ينال كتابى هذا فى وصوله إليك ما ناله كتابك الكريم من تباطؤ وتأخير والسلام .

مصطفى

أما فى الوزارة التى ارتبطت باسم طه حسين فتعرض للرسائل المتبادلة بين طه حسين ، والنحاس، ولكن قبل ذلك علينا أن نكشف عن بعض الحقائق الغائبة .

الفضل فى المجانية

نبداً من مجانية التعليم التى ارتبطت بطه حسين منذ رفع شعاره الشهير "العلم حق للجميع كالماء والهواء" وإن كان البعض يحاول نسبة هذه المقولة إلى نجيب الهلالي" (الوفد ١٨ ديسمبر ١٩٩٨) غير أن المدهش أن طه حسين نفسه يؤكد أن دعوته للمجانية لم تكن مجرد دعوة أطلقها مفكر لنفع بنى وطنه لانتشالهم من الجهالة التى يعيشون فيها ، ولكن هذه الدعوة كانت باتفاق مع النحاس باشا حتى يضمن لها التنفيذ ، ولتقرأ اعترافات طه حسين فى إحدى خطبه الجهولة أثناء

إحدى جولاته بالأقاليم لحث الأغنياء على التبرع لإنشاء المدارس تحقيقاً لشعاره ، ففى خطبته بالدقهلية يقول بالنص موجها حديثه إلى مستمعيه:

"أؤكد لكم أنى ما دعوت إلى نشر العلم وتيسيره ومجانيته وإنشاء المدارس الكثيرة قبل أن أكون وزيراً إلا بعد أن اتفقت مع النحاس باشا على أن أدعو إلى هذا ونحن بعيدون عن الحكم ، بحيث إذا عاد إلى الحكم كان جزءاً أساسياً من برنامجه. إنما كنت أدعو إلى نشر العلم بوحى منه واتفاق معه، كنت أعبر عن نفسه وقلبه وأمله ، وأقسم صادقاً وأشهد والشهداء الوزراء جميعاً أنه هو الذى وضع فى خطبة العرش الأولى مجانية التعليم فوراً" (أهرام ١٩٥١/٣/٣).

آخر من يعلم

أما دخول طه حسين الوزارة كوزير للمعارف فلها قصة مختلفة غير تلك القصة الشهيرة التى ذاعت وانتشرت وأكدها د. محمد حسن الزيات زوج ابنة طه حسين ، فى الحلقات التى نشرها "بالمصور" قبل أن يجمعها فى كتاب "مابعد الأيام" والذى ذكر فيه "ويحضر النحاس باشا إلى منزل طه حسين دون موعد .. فيفاجئه بأن يطلب منه أن يتولى منصب وزير المعارف فى وزارته التى يجرى تأليفها وطه حسين يشكره . ولكنه يرجو معاودة التفكير لأسباب منها أنه ليس عضواً فى الوفد ، وأعضاء الوفد الذين شاركوا رئيسهم جهاده أحق بالاشتراك معه فى الحكم، كما أن السراى غاضبة عليه منذ زمن بعيد ولا ينتظر أن توافق على تعيينه ، وسبب آخر هو أنه ملتزم أمام نفسه وأمام الشباب ببرنامج للتعليم سبق أن شرحه عام ١٩٣٧ فى كتابه "مستقبل الثقافة فى مصر" الذى كان يعده فى الأصل ليقدمه تقريراً إلى النحاس باشا نفسه، وهو لا يعرف رأى وزارة الوفد عندما تتولى الحكم فى تطبيق هذا البرنامج الذى يؤكد ضرورة إعلان مجانية التعليم الابتدائى والثانوى ، وراح النحاس يفند هذه الأسباب محاولاً إقناع طه حسين" إلى أن يصل بنا الزيات فى كتابه المشار إليه إلى قول طه حسين للنحاس "وإذا أصبحت أنا وزيراً للمعارف فإن رفعتكم ستحبون قطعاً إعلان مجانية التعليم فى أول خطاب للعرش تلقونه أمام البرلمان . ويسأل النحاس باشا : هذا شرط؟ ويرد طه حسين : لا، معاذ الله، ليس شرطاً ولكنه توقع" إلخ. وهذه القصة ليست دقيقة سواء فيما يتعلق بالمجانبة أو دخول طه حسين الوزارة ، أما المجانبة فقد اتفق طه حسين عليها مع النحاس خارج الحكم منذ وقت مبكر كما أشار فى خطبته بالدقهلية كما سبق أن ذكرنا. أما قصة دخوله الوزارة فهو يرويها بنفسه عقب خروجه من الوزارة فى مقال مجهول أيضاً

نشره بأهرام ١٩٥٢/٥/٣ ، ويؤكد فيه أنه أدخل الوزارة فجأة دون أن يستشار كما أخرج منها فجأة دون سابق إنذار، ويقسم على ذلك قائلاً:

"فأله يشهد ما عرفت هذا الترشيح إلا بعد أن أرسل مشروع المرسوم بتأليف الوزارة إلى القصر ودعيت لا يعرض على هذا الترشيح ولا لسمع رأيي فيه ، ولكن لانتظر في دار الرئيس النبأ بتوقيع المرسوم ، ولأذهب بعد ذلك مع الزملاء إلى القصر لحلف اليمين القانونية.

ولقد أراني مغرقاً في الاستماع لقصة من قصص شكسبير حين أثبتت بأن الرئيس يدعوني في التليفون فلما استجبت له، طلب إلى أن أزوره في داره فوراً ، فقطعت القراءة حيث قطعها التليفون، وأسرعت إليه أظنه سيستشيرني في بعض الأمر كما يتفضل بذلك بين حين وحين، فلم أكد ألقاه حتى أنبأني بأنه اختارني وزيراً للمعارف ، ولم أكد أرد عليه تحيته واختياره حتى أنبأني بأن المرسوم قد رفع إلى القصر، وبأن المناقشة لا تفيد، فلم أزد على أن شكرت وانتظرت واستقبلت الوزارة أحسبها أمراً هيناً. وما أكثر ما يستقبل الناس من الأمور الهينة . ولكن لم أكد أمارس بعض أمرها حتى جعلت تستأثر بي قليلاً. قليلاً، ولم تمض أيام حتى رأيتني قد غرقت فيها إلى أذني "... .. وإذا أنا أصرف..". عن أهلي وشئون أهلي ، وأنسى كل شيء إلا أن هناك شعبا يريد أن يتعلم وإنى موكل بتعليمه ، وأن الوسائل إلى تعليمه محدودة لا تسعف، وقصيرة لا تؤدي إلى الغاية، وأن على أن أبدل خير ما عندي لأصل إلى خير ما يمكن الوصول إليه".

ويضيف طه حسين "ثم أراني ذات ليلة وقد أنبأني رئيس الوزراء بأنني قد خرجت من الوزارة كما دخلتها ، لم أختار أن أكون وزيراً ، ولم أختار أن أخرج من الوزارة ، كما أني لم أختار أن آتي إلى هذه الدنيا من أعماق الغيب ، ولن أختار أن أخرج من هذه الدنيا إلى أعماق الغيب ، وإنما هو قضاء الله يجري على الناس بما لا يريدون قبل أن يجري عليهم بما يريدون".

وتؤكد صحف تلك الفترة ما رواه طه حسين، فلم يكن الرجل مطروحاً بالمرّة في آخر تشكيل وزارى للنحاس ١٩٥٠، وأن ترشيحه جاء في اللحظات الأخيرة قبل صدور الأمر الملكي في ١٢ يناير ١٩٥٠ بتشكيل الوزارة السابعة للنحاس باشا، إلى درجة أن الصحف الصادرة في اليوم السابق لم تكن تذكر إلا "نجيب الهلالي" كمرشح لوزارة المعارف، فتقول صحيفة "المصرى ١١ يناير ١٩٥٠م":

"وأقبلت على دار رفعة النحاس باشا وفود الجامعة وطلاب المعاهد العليا وكان قدموها مصادفة أثناء اجتماع رفعته برجال الوفد، وظل الطلبة يهتفون مطالبين بالهلالي رجل المعارف

ونصير العلم وصاحب السياسة الصائبة في العلم، وقد دفع الطلبة إلى ذلك ما ترامى إلى أسماعهم من أن سعادة الهلالي باشا يصبر على اعتذاره عن الاشتراك في الحكم لأسباب صحية بحتة".

وظهر اسم طه حسين كمرشح للوزارة بعد أن رشحه نجيب الهلالي للنحاس باشا، وقد كان الهلالي وزيراً للمعارف في وزارة توفيق نسيم ١٩٣٤ والتي كان يؤيدها النحاس ، وقد أعاد الهلالي باشا ، طه حسين إلى الجامعة بعد أن كان قد فصله صدقي باشا منها، وعندما اشترك الهلالي باشا في الوزارة النحاسية ١٩٤٢ كان طه حسين مستشاراً في ذات الوزارة ، ويؤكد طه حسين "أن الهلالي هو أول من جعل التعليم الابتدائي بالإنجليزية ولم يكن قبله كذلك".

ورغم أن ترشيح طه حسين للوزارة في اللحظات الأخيرة ولم يكن يدور اسمه في ذهن النحاس لولا ترشيح الهلالي له ، وتنبهه إليه، فإن النحاس لدهشتنا كان متمسكا بطه حسين إلى أبعد حدود التمسك أمام معارضة الملك بحجة أن أفكار طه حسين يسارية ، ولكن النحاس تشدد أمام الملك باعتبار أن طه حسين هو أهم وزرائه المرشحين للوزارة بل إنه قال إنه مستعد "أن يتنازل عن كل الوزراء إلا طه حسين".

ويبدو أن تشدد النحاس بالنسبة لطله حسين لم يكن له علاقة بطه حسين ذاته بقدر ما كان ذلك فصلا من فصول التحدى بين النحاس والملك .

أرضيت المواطنين

وكما فهمنا من حديث طه حسين حول قصة دخوله الوزارة ، فقد كان بينه وبين النحاس حوار مستمر يصل إلى درجة استشارة النحاس لطله حسين "في بعض الأمر كما يتفضل بذلك بين حين وحين" ومن تلك الاستشارات التي أخذ بها النحاس بناء على اقتراح لطله حسين تهديده للملك بتقديم استقالة وزارته إذا أصر على إلغاء مجلس الدولة تخلصا من السنهورى رئيس مجلس الدولة والذي كان يرفض دائما أى رغبات ملكية لتقييد الحريات بقوانين ، وإلى جانب الحوار بين زعيم الفكر وزعيم الأمة فقد كانت بينهما رسائل قبل أن يلى طه حسين الوزارة، كما عرضناها سابقا، ثم كانت بينهما رسائل أثناء الوزارة لارتباط ذلك بأزمة سياسية نشبت بين طه حسين كوزير للمعارف وبين وزارة الخارجية التي يرأسها محمد صلاح الدين.

ونترك طه حسين يتحدث بنفسه عن تلك الأزمة المجهولة التي انفرد بنشرها للمرة الأولى من

خلال خطاب أو تقرير بعث به إلى النحاس باشا وقد حرص على أن يطلب منه إلى حد الرجاء أن "هذا التقرير الموجز خاص أرجو ألا يطلع عليه أحد غير مقامكم الرفيع" وقد ظل سر هذه الأزمة مجهولا حتى كتابة هذه السطور، وقد بلغت صفحات هذا الخطاب الذى كتبه طه على شكل تقرير عن نتائج رئاسته لوفد مصر فى الأونسكو بباريس ١٩٥١ أثناء وزارته للمعارف، بلغت حوالى عشر صفحات كتبها أو أملاها طه حسين فى حوالى ثلاثة عشر يوما كما يبدو من تأريخه للرسالة التى حملت تاريخين حين بدأ الرسالة فى باريس فى ٧ يوليو وأتمها فى مدينة بولزانو الإيطالية فى ١٩ يوليو .

ومن الجدير بالذكر أن هذه لم تكن هى المرة الأولى التى يرأس فيها طه حسين وفدا مصريا فى مؤتمر دولى ، بل سبق أن رأس طه حسين وفد مصر إلى اليونسكو فى السنة السابقة ١٩٥٠ بفلورنسا أثناء الوزارة غير أنه اضطر إلى العودة قبل استكمال أعمال المؤتمر نظراً لانتهاى العام الدراسى وضرورة عودة وزير المعارف طه حسين للاستعداد للعام الجديد، وقبل أن ندخل إلى الخطاب الأزمة ، لابد أن نقرأ خطاب النحاس الذى أرسله لطه حسين احتفاء بتشريفه لمصر فى محفل دولى كاليونسكو، وفى هذا الخطاب يعترف النحاس ضمنا دون أن يصرح أنه تأخر فى تقدير طه حسين التقدير اللائق به ، وإن أرجع ذلك إلى حكومات غير حكومته حيث "لست أخفى عليك أننى كنت منذ زمن بعيد آسف الأسف كله إذ أرى الأجانب يقدرونك قبدرك ، والحكومات الأجنبية تعرف لك منزلتك ، وحكومات مصر - سبحانه الله - تتحداك" ، ولهذا حين صار طه حسين وزيرا فى حكومة النحاس فإن الأخير يرى أنه بذلك "أرضيت نفسى وأرضيت المواطنين".

يقول النحاس باشا بتاريخ : الجمعة ١٢ مايو ١٩٥٠ .

عزيزى حضرة صاحب المعالى الدكتور طه بك حسين

صنع الله لك أجمل ما يصنع لرجل أخلص الإخلاص كله لوطنه، ووفى الوفاء كله لإخوانه وزملائه وأصدقائه ، وأحسن السفارة عن بلده فى كل مكان حل فيه ، أو قوم التقى بهم .

لقد طالعت كتابك فطلعتنى هجة صادقة عرفتها دائما فى رسائلك ، وعبارة طبيعية لا تكلف فيها ولا تطيع، ألفتها فيما تكتبه أو تتحدث به.. ولقد تتبعت أنباء رحلتك الموفقة ، وخطواتك المباركة، الخالصة لوجه الله والعلم . وكنت كلما سمعت عنك نبأ سارا ، أو قرأت خيرا طيبا ، أحس الغبطة تسرى فى نفسى وتشيع فى جوانحى، لأنك لقيت ما أنت له أهل وبه خليق ، أو على الأصح لقيت مصر فى شخص رجلها العالمى تكريما يرفع من ذكرها

ويضعها في المكان الجدير بها، وإذا كنت تشرف بوزارة على رأسها شخصي الضعيف فإني ليسعدني أن وفقني الله إلى ضمك إلى إخوان صدق ووفاء اخترتهم لمعاونتي على حمل العبء وأداء الرسالة، والنهوض بمستوى البلاد السياسي والعلمي والخلقي .. نعم يسعدني أن تكون بين زملائي وإخواني الوزراء تحمل رسالة التعليم - وإياها من رسالة - وتنتشر آراءك وتعاليمك في النشء فتنتشر الخلق الفاضل، والوفاء المقيم، والشجاعة التي لا تقيدتها الرسميات، ولا تحد منها الظروف والملابسات.. ولست أخفي عليك أنني كنت منذ زمن بعيد آسف الأسف كله إذ أرى الأجنب يقدرونك قدرك، والحكومات الأجنبية تعرف لك منزلتك، وحكومات مصر - سامحها الله - تتحداك وتقف في طريقك، وتحارب العلم والأخلاق والوفاء في شخصك.. حتى إذا أذن الله أن تزاح الغمة وأن أوفق لاختيارك زميلا رسميا لي كما اتخذتك من أمد طويل أخا وصديقا - كانت غبطني بمعاونتك وسروري بمشاركتك لنا في حمل العبء، بمقدار تقديري لك، وإعجابي بفضائلك الغر، ووفائك الثابت، ونباتك الباقي على الزمان.

وكان منطقي أن أوثرك بمودتي، وأخصك بتقديري - وأختارك بين زملائي بعد ما عرفته فيك، ولمسته عن كتب من خلالك التي لم تبدها الحوادث، ولم تنل منها صروف الأيام، وإني لأحمد الله وأحمد الوفاء والخلق إذ أرضيت نفسي وأرضيت المواطنين، وقدمت عارفة للعلم إذ أهديت إلى أبنائه الدكتور طه حسين بك ليشرف على نشره، ويتولى أمره، ويفيض على أهله من قوة نفسه، وسعة أفقه، ما يعث فيهم حياة جديدة تشبع رغبة محبي العلم وطلابه، وتحبب لهم الإقبال عليه، والاعتراف من منهله، ولست في قولي هذا أقرضك ثناء بثناء ولكنه تقرير للحق والواقع الذي لا مغالاة فيه والذي يقوم الدليل عليه كل يوم بما نراه من جهدك الدائب - وحركتك التي لا تنقطع والتي كان من آثارها رحلتك الموفقة التي افتتحت فيها كرسي محمد على أمام جمهرة من رجال العلم والأدب في معهد البحر الأبيض المتوسط من مدينة نيس، فكان هذا العمل الذي نسبت إلى فضله خير دعاية لمصر والمليكةا وحكومتها مع أن لك نصيب الأسد فيه، وفضل السبق إلى التفكير في إبرازه - وإني لمسرور من تكريم الحكومة الفرنسية إياك وحفاوتها بك فأنت كما قلت لك وأكرر: مصرى وهبتك مصر للثقافة والأدب والعلم في بلاد الله جميعا.. والله يجعل التوفيق حليفك في سعيك لتدير ما تحتاج إليه جامعاتنا ومدارسنا من الأساتذة والمعلمين، وما تبدله من جهد في إنشاء معهد ثقافي مصري يكون مقره مدينة طنجة كما شرحتة لي قبل سفرك إلى فرنسا.

وأختم كتابي هذا بأن أحملك تحيتي وشكري إلى زميلك مسيو "ايغون ولبوس" وزير

المعارف الفرنسية على ما أبداه نحوى من عواطف رقيقة كريمة - وشكر الحكومة الفرنسية على ما أظهرته نحوك من نبل الشعور وكرم الضيافة وحسن الاستقبال.

وآمل أن أراك فى آخر الشهر الحالى بيننا ناعما بالصحة سعيداً بالتوفيق فيما شخصت إليه ، وحتى ألقاك أرجو أن تقبل أصدق ما أكنه لك من تقدير وإعجاب ووفاء. وللسيدة المحترمة قرينتك العزيزة منى ومن حرمى أصدق التحيات وأطيب أمنانى الصحة والتوفيق والعودة إلى مصر سالمين معافين. والسلام عليكم ورحمة الله

المخلص

مصطفى النحاس

إسرائيل تتدخل

نصل الآن إلى الفصل الأخير المثير الذى تكشفه رسالة طه حسين فى شبه تقرير عن نتائج ترأسه لوفد مصر إلى "الأونسكو" ١٩٥١. وهو ما طلب طه أن يبقى سراً، وهو ما وعده النحاس بكتمانه حين رد عليه برسالة مؤكداً توصية طه فى تقريره "على أن يكون ما احتواه سراً خاصاً بينك وبينى". وسوف نفاجأ فى رسالة أو تقرير طه حسين بأكثر من مفاجأة ، أولها خلافه الحاد كوزير للتعليم مع وزير الخارجية محمد صلاح الدين ، وإن ظل ذلك الخلاف مكتوماً لا يصرح به طه إلا لرئيس الوزراء ويحرص على أن يظل بعيداً عن مشاعر وزير الخارجية "فلست أريد أن أسوء زميلي صلاح الدين باشاً" كما يقول طه حسين ، كما نعرف لأول مرة كيف أن إسرائيل لم تكن تحارب مصر فقط فى ميدان القتال كما حدث فى ١٩٤٨ ، بل كانت تحارب مصر فى المحافل العلمية أيضاً لاستبعادها من أى إسهامات دولية.

ندخل الآن بسرعة (بعد أن طالت المقدمات) إلى أطول رسالة لطف حسين، وهذا هو نصها:

سيدى صاحب المقام الرفيع.

كان من أوجب الواجبات أن أكتب لمقامكم الرفيع إثر وصولى إلى باريس مهدياً أصدق تحياتى وشاكراً ما تفضلون به علىّ دائماً من عناية دقيقة وعطف كريم. ولم يكن شئ أحب إلىّ من هذه الكتابة ، ولكننا نحب أشياء وتحول الظروف بيننا وبينها حتى كأن الدهر موكل بصرفنا عما نحب إلى ما لا نحب .

فلم أكد أصل إلى باريس حتى تلقفتنى منظمة "الأونسكو" وإذا أنا أغرق فى أعمالها إلى

أذنى نجتمع كل يوم فى الساعة التاسعة والنصف إلى ما بعد الساعة الأولى ثم ننصرف لتناول الغداء على عجل ونعود فى الساعة الثالثة والنصف فلا ننصرف إلا بعد تمام الساعة السابعة ، فإذا خرجنا لم نعد إلى فنادقنا لنستريح، وإنما نمضى إلى الحفلات الاجتماعية التى تقيمها الوفود والننى ليست أقل إجهاداً من الاجتماعات العامة، وكذلك أنفقنا هذه الأسابيع الثلاثة عناء حين نصبح وعناء حين نمسى، واشتغال عن أنفسنا وعن كل مايلذها ويرضيها. والحمد لله على كل حال. وإبنى لأرجو أن يكون الله قد هيا لمقامكم الرفيع ما تتمنى لكم مصر كلها من راحة النفس والجسم ومن فراغ البال ورضى الضمير، وإن كنت أعلم أن أعباءكم تزداد من يوم إلى يوم ، وأن سفر الوزراء للأعمال أو للراحة فى الخارج يضاعف هذه الأعباء ويزيدها ثقلاً إلى ثقل، والله يكفلكم بعنايته ويشملكم برعايته ويمدكم بروح منه ويتم لكم التوفيق فى كل ما تحاولون فى خدمة الشعب المصرى الذى لا يثق إلا بكم ولا يعتمد إلا عليكم ولا ينتظر الخير إلا على يديكم.

أما بعد.. فقد شغلنا فى اجتماعات الأونسكو مسألتان خطيرتان إحداهما مسألة ترشيح مصر لعضوية المجلس التنفيذى، وقد فوجئنا فى باريس بتعليمات جاءتنا من وزارة الخارجية تكلفنا أن نرشح سوريا مكان مصر وقد ضقت بهذا الأمر أشد الضيق ، وكلفت سفيرنا ثروت بك أن يتصل بمعالى زميلى وزير الخارجية ويبلغه رأيتى فى هذا الموضوع ، فاتصل به ثم أخبرنى بأن معالى الزميل يرى أن الخير فى ترشيح سوريا لأنها وعدت بتأييد مصر فى منظمات أخرى. وقد قبلت أن أنفذ هذه التعليمات أسفاً، واتفقت مع وزير سوريا المفوض ومع الوفود العربية الأخرى على ترشيح سوريا وأسعى فى نجاح هذا الترشيح. وفى أثناء هذا سافر حسنى باشا (عبد الوهاب باشا حسنى من الخاصة الملكية) إلى إيطاليا ليشهد مثول معالى عبد الفتاح حسن باشا بين يدى جلالة الملك لخلق اليمين القانونية (كوزير للشئون الاجتماعية). ويظهر أن حسنى باشا تحدث فى هذا كله إلى جلالة الملك فأمره بالمحافظة على أن تحتفظ مصر بهذا المكان فى الأونسكو وكلفه أن يكتب إلى رئيس الديوان بالنيابة ليتصل بمقامكم الرفيع فى هذا الشأن. وعاد حسنى باشا إلى باريس فأخبرنى بذلك ، وقد تضايقت لهذا التصرف جداً ولكننى لم أقل له شيئاً. ثم وصلت برقية من صلاح الدين باشا تشتمل على صورة ما أبرق به إلى رئيس الوزارة السورية متصلاً بهذا الموضوع، ولم أكد أقرؤها حتى هممت أن استقيل من الوزارة ثم ملكت نفسى وأكرهتها على الاعتدال . ذلك أن فى هذه البرقية كشفاً خطيراً لولد مصر فى "الأونسكو" فهى تبى رئيس وزارة سوريا بأن الوفد المصرى قد أرسل إلى القاهرة أخباراً تدل على أن أمل سوريا فى النجاح

ضئيل جداً وهى تطلب إلى رئيس وزارة سوريا أن يكلف وزيره فى باريس الاتصال بالوفود العربية والوفد المصرى للتحقق من صحة هذه الأخبار، فإذا ظهرت صحتها كان من الخير أن تؤيد الوفود العربية مصر لترشيحها لهذا المكان. وما كنت أظن أن مثل هذه البرقية يمكن أن تصدر من وزارة الخارجية.

فالوفد المصرى فى الأونسكو مؤلف من مصريين لا ينبغي أن يكشفوا حتى لو أخطأوا. ورئيس هذا الوفد وزير مسئول وزميل لوزير الخارجية فلا ينبغي أن يكشف على هذا النحو ولا أن يكون هو وزملاؤه موضوعاً للتحقيق أمام وفود أخرى مهما تكن عربية فإنها أجنبية. ولولا أن نجاح مصر كان موقوفاً على أن أرشح نفسى لهذا الكرسي خالفت تعليمات وزارة الخارجية مؤقتاً ولرشت مصر وظفرت لها بهذا المكان. ولكن الهيئات الأجنبية فى الأونسكو كانت ترشحنى شخصياً لهذا الكرسي، وقد أُلح علىّ فى ذلك ممثلو بريطانيا العظمى وفرنسا وبلجيكا وهولندا وأمريكا. ويوجسلافيا. فأبيت كل الإساءة وألححت على هؤلاء الممثلين فى تأييد ترشيح سوريا لأنى لم أرد أن يظن ظان أو يقول قائل أنى أثرت نفسى على مرشح الجامعة العربية ومرشح وزارة الخارجية المصرية، وهو المندوب السورى، ولو قبلت الترشيح لانتخبت بإجماع الأصوات. لكنسى بذلت وبذل زملائى جهداً شديداً حتى ظفرتنا لسوريا بأغلبية ضئيلة وقد نجت والحمد لله. هذه مسألة.

أما المسألة الثانية فهى مسألة إنشاء مركز للتعليم الأساسى فى مصر وهو مركز يتعلم فيه المعلمون على أن يعلموا الأطفال والشباب ما ليس منه بد ليكونوا أعضاء منتجين فى البيئة الاجتماعية التى يعيشون فيها. وقد أعلنت فى الخطبة التى ألقيتها فى الاجتماع العام "لالأونسكو" أن حكومة مصر مستعدة لإنشاء هذا المركز ليتمرن فيه المعلمون من الأقطار العربية والإفريقية. وسُرت الوفود بهذا التصريح وشفقت له تصفيقاً شديداً. ولكن فوجئت بعد ذلك ببرقية من وزارة الخارجية المصرية تبيننى فيها بأن حكومة لبنان تريد أن تنشئ هذا المركز فى بيروت وتطلب إلى التفاهم مع الوفد اللبنانى على هذا الموضوع وتأييده إن احتاج إلى التأييد، فألقى فى روعى أنى إنما شهدت اجتماع "الأونسكو" لأصطفى مركز مصر فيه ولأؤيد الوفود العربية الأخرى على حساب وطننا الذى بلغ من الكرم أن يعطى كل شئ ولا يستبقى لنفسه شيئاً.

وقد حاولت أن أقنع الوفد اللبنانى بالأى ننازعنا فى هذا المركز ولكنه لم يقتنع وطلب إلى "الأونسكو" إنشاء المركز فى بيروت. وهناك قام ممثل إسرائيل فطلب ألا ينشأ المركز فى مصر ولا فى لبنان وأن ينشئ فى تركيا. وأراد الوفد البريطانى أن يؤيدنا دون أن يسوء أحداً

فطلب أن يؤجل البت في هذا الموضوع وأن يترك اختيار البلد الذى ينشأ فيه هذا المركز للمجلس التنفيذى والمدير العام. ووافقت هيئة "الأونسكو" على هذا الاقتراح، ولولا تقدم لبنان بطلبها لتم إنشاء المركز في مصر.

ولست يائسا من أن ينشأ المركز في مصر وإن كان لبنان ممثلا في المركز التنفيذى ومصر ليست ممثلة فيه. وكل ذلك العناء مصدره شئ واحد هو أن وزارة الخارجية لا تستشير وزارة المعارف في علاقاتنا الثقافية مع البلاد الأخرى ، على حين أن وزارة المعارف تستشير وزارة الخارجية في الصغير والكبير من شئوننا الثقافية التى تتصل بالبلاد الأجنبية على اختلافها.

ولست أقول هذا شاكيا ولا لائما وإنما أقرر الحقائق الواقعة آسفا لها، وأرجو مخلصا أن يأمر معالى صلاح الدين باشا أعوانه في وزارة الخارجية بأن يستشيروا وزارة المعارف في كل ما يتصل بالثقافة ، كما هي في البلاد الأخرى التى سبقتنا في مثل هذه الشئون.

ولست أخفى على مقامكم الرفيع أنى عملت في "الأونسكو" هذه الأسابيع الثلاثة ضيق النفس معرج الصدر، مجاملا مع ذلك للوفود العربية ما وسعتنى الجمالة . وكان يمكن أن نجتنب هذا كله لو مضت الأمور بين وزارة الخارجية ووزارة المعارف كما كان ينبغى أن تمضى .

أما فيما عدا ذلك فقد نجح الوفد المصرى نجاحا حسنا ملحوظا. فكانت له وكالة "الأونسكو" وكان رئيسه عضوا في المجلس الذى يدير أعمال المنظمة أثناء الاجتماع . وكان أعضاؤه حاضرين فى جميع اللجان الكبيرة والصغيرة مشاركين مشاركة قيمة فى جميع الأعمال يرجع إليهم فى المشكلات الحادة .

وليس من الغرور أن أقول أن تدخلى فى مناقشات الميزانية هو الذى جمع الآراء على الرقم الذى كان يريده المجلس التنفيذى والمدير العام رغم الجهود التى بذها وفد بريطانيا العظمى ووفد الولايات المتحدة لإنقاذه نحو مليون من الدولارات . ويمكن أن أقول واثقا مطمئنا أن مصر قد كسبت لنفسها فى هذا المؤتمر الدولى الخطير مركزا مرموقا ممتازا ، وكثيرا ما كانت هى الحكم فيما كان يثار من المشكلات بين وفود الدول الكبرى . فعسى أن تحتفظ مصر بهذا المركز . ولست أشك فى أننا إذا أحسنا الاتفاق والتضامن والتعاون فيما بيننا، رجحنا كثيرا، وما أشد حاجتنا إلى ذلك فى هذا الموقف العالمى المضطرب . وقد أطلت على مقامكم الرفيع ولكنى حرصت على أن أرفع إليكم تقريرا موجزا عن نشاطنا فى "الأونسكو" لتكونوا على علم بالمهم منه إلى أن يعرض التقرير المفصل على مقامكم الرفيع

بعد عودتى إلى مصر إن شاء الله.

وهذا التقرير الموجز خاص أرجو ألا يطلع عليه أحد غير مقامكم الرفيع : فلست أريد أن أسوء زميلى صلاح الدين باشا ، ولكنى مؤمن بأن من الحق على أن أظهر مقامكم الرفيع على كل شئ لأكون وفيًا لشخصكم أولاً ولليمين التى أقسمتها والعهد الذى أعطيته على نفسى بأن أكون مخلصاً لكم فى كل ما أعمل وفى كل ما أقول.

إلى جانب "الأونسكو" كان لى نشاط آخر شخصى مع وزارة الخارجية ووزارة المعارف فى فرنسا بشأن مسألتين . إحداهما مسألة مدرسة الحقوق الفرنسية التى أطلب بالغانها منذ عام . وقد نجحت فى هذه المسألة وقررت جامعة باريس تصفية هذه المدرسة بحيث لا تقبل طلاباً جدداً فى السنة المقبلة وإنما تتم تخريج الذين يتعلمون فيها الآن وينشأ مكانها معهد للدراسات القانونية الحرة لا يعقد امتحانات عامة ولا يمنح درجات ولا دبلومات . وكذلك يصبح تعليم القانون فى مصر مقصوراً على كليات الحقوق المصرية.

المسألة الثانية مسألة معهد فاروق للدراسات العربية فى أفريقيا الشمالية، وقد طلبت كما يعلم مقامكم الرفيع أن ينشأ هذا المعهد فى مدينة من مدن أفريقيا الشمالية غير طنجة، واقتنع وزير الخارجية الفرنسية بوجهة نظرنا ووافق على أن ينشأ المعهد ويفتتح فى أول العام الدراسى المقبل أى فى نوفمبر من هذا العام. ولكنه طلب مهلة إلى منتصف أغسطس لاختيار المدينة التى ينشأ فيها هذا المعهد. وهذه المدينة يجب أن تكون إحدى ثلاث : إما الرباط وإما الجزائر وإما تونس.

لهذا قررت أن أعود إلى باريس فى آخر أغسطس إن شاء الله لأعلم آخر ما وصلت إليه وزارة الخارجية فى اختيار إحدى هذه المدن. ومازلت عند الرأى الذى تفضل مقامكم الرفيع فقبله وأيده وهو أن إنشاء هذا المعهد يجب أن يتم فى هذا العام فإن تلكا الفرنسيون أغلقنا معهدهم فى القاهرة ومنعنا هيئاتهم العلمية من البحث عن الآثار فى مصر. وهم يعلمون ذلك حق العلم ويشفقون منه كل الإشفاق .

وما دام مقامكم الرفيع يمنحنى مودته وعطفه وثقته فأنا مطمئن إلى النجاح إن شاء الله.

هذا تاريخ الأسابيع التى قضيتها فى باريس، ولعل مقامكم الرفيع يرى أنى لم أضع الوقت وأنى لم أكن مسرفاً ولا كسلاً حين طلبت الأجازة . ولست أجد من الألفاظ ما أشكر به مقامكم الرفيع على الإذن لى بأن استريح بعد العناء المتصل . فلأكل كل هذا الشكر إلى الله عز وجل فهو القادر على ما لا نقدر عليه، وهو القادر على أن يمنحكم ما أنتم أهل له من السعادة الدائمة وانهاء المتصل والنجاح فى كل ما تسعون إليه، والظفر بكل ما تطمعون فيه،

وهو القادر على أن يديم عليكم نعمته ويشملكم بالعافية الكاملة، ويحفظ عليكم ما تحبون من رضاه عن أعمالكم وأقوالكم ، ويرضى الشعب عن نصحكم له وعنايتكم به ، وتضحيتكم في سبيله بأغلى ما تملكون .

وأنا أرجو بعد هذا الكتاب الذى بدأت فى باريس وأتمه الآن فى مدينة بولزانو "الإيطالية" أن تفضلوا فزفوا "أصدق" إجلالى لخصرة صاحبة العصمة السيدة الكريمة وتقبلوا أصدق تحياتى وأخلص حبى وأعمق وفائى.

باريس ٧ يوليو - بولزانو ١٩ يوليو

فصل من التحدى مع الملك

والرسالة ليست فى حاجة إلى تعليق.. ولكنها تثير التساؤل عن موقف النحاس من تلك الأزمة بين وزيرين من وزرائه التى تدل على وجود انقسامات أو عدم انسجام بين بعض الوزراء، فبعضهم وفدى ويعتبر تلميذا للنحاس وتدرّب فى مكتبه للمحاماه وصعد السلم حتى صار وزيراً كمحمد صلاح الدين، وبعضهم لم يكن وفديا وجاءت به إلى الوزارة شهرته وسمعته الأدبية والفكرية كطه حسين الذى كان مؤيدا لسياسة الوفد وإن لم يكن وفديا وهو ما حدا إلى إصابة أعضاء الحزب بالمفاجأة لاختياره وآخر ، وزيرين من خارج أعضاء الحزب، وهو ما عبر عنه النحاس بأنه لم يختّر بعض وزرائه اختياراً حزبيا بل اختياراً قام على أساس أنهم خبراء فى المجال الذى اختارهم من أجله كوزراء .

نعود إلى موقف النحاس من أزمة وزيرين فى حكومته ، نستطيع أن نؤكد أن محمد صلاح الدين وزير الخارجية لم يتصرف من نفسه بشأن الإصرار على ترشيح المندوب السورى فى "الأونسكو" فمن المؤكد أنه تشاور مع النحاس بهذا الشأن باعتبار مصر هى زعيمة العرب فهى التى جمعهم فى شخص النحاس باشا، رؤساء وملوك لتأسيس الجامعة العربية ، فيكون النحاس من هذا المنطلق قد وافق على ترشيح المندوب السورى ، رغم اعتراض الملك كما رأينا فى الرسالة السابقة وإصراره على ترشيح المندوب المصرى ، وهذا يوضح فصلا آخر من فصول الصراع والتحدى بين النحاس والملك ، ومن الواضح هذه المرة أيضاً أن النحاس قد كسب الجولة من الملك لأن الدارس لشخصية النحاس وعناده يعلم أنه لم يكن يسمح للملك بأن يفعل ما يريد، فما بالك بوزرائه الذين لا يمكن لأحد منهم أن يفعل شيئا أو يتخذ قرراً بعيداً عنه خاصة إذا كان متصلا بالعلاقات العربية التى يعمل على دعمها، ويبدو أن طه حسين كان بعيدا وهو وزير

للمعارف عن مركز صناعة القرار ولذا بدا غضبه حاداً وإن لم يسمح لذلك الغضب بأن يدفعه للاستقالة واكتفى بشكواه الخاصة لرئيس الوزراء وأوصاه أن يتكتم الأمر ولا يفضى به إلى أحد، ويبدو أن ذلك كان يرضى النحاس أيضاً لأن طه لم يقدّم بتصعيد الأزمة إلى أبعد من مجرد الشكوى. والنحاس حريص على إرضاء طه حسين وإن رأى أنه لم تكن هناك ضرورة لإخباره بأنه كان متفقاً مع وزير خارجيته على كل ما حدث في مؤتمر "الأونسكو" لصالح البلاد العربية الشقيقة حتى وإن جاء ذلك على حساب مصر وتنازلها وتضحيتها من أجلهم، وتلك رؤية سياسية تقدم قيمة التضامن العربي الذي تقوده مصر على قيمة أن تفوز مصر بمنصب دولي هنا أو هناك.

تنكر زميلنا

ويبدو أن طه حسين لم يكذبته من خطابه "الأزمة" ويرسله إلى النحاس ، حتى أنه الصحف تحمل خبران أحدهما استوجب التعزية لفقيد عزيز صديق للرجلين "إسماعيل باشا رمزي وزير الأوقاف" ، وأحدهما استوجب المواساة لتنكر وزير قدم استقالته (أحمد حسين وزير الشؤون الاجتماعية الذي اختاره النحاس رغم صغر سنه) دون مراعاة لحاظ النحاس، وهذا الخبران رأى طه حسين أنهما يستوجبان سرعة التعليق عليهما بالتعزية والمواساة للنحاس باشا الذي وصلته الرسائلان في وقت واحد وبتاريخ واحد، مما اقتضى من النحاس أن يرد عليهما برسالة واحدة. ولتقرأ أولاً رسالة طه حسين الجديدة بنفس التاريخ السابق للرسالة الأولى في:

٢٩ يوليو ٥١

سيدي صاحب المقام الرفيع

سلام الله ورحمته وبركاته على مقامك الرفيع وشخصك الحبيب إلى الأثير عندي. أما بعد، فقد حملت إلى الصحف التي ترد من مصر خبران أثرا في نفسي تأثيراً متناقضاً أشد التناقض متباعدان أعظم التباعد، أحدهما وفاة زميلنا وصديقنا إسماعيل رمزي باشا رحمه الله. وأنا أعرف قلبك الرحيم، ونفسك الشقيقة ، وضميرك المؤثر للود، والحفيظ على العهد، الوفي للأصدقاء، فخالط الأسف على الراحل الكريم إشفاق عليك من وقع المصاب ونزول الخطب ، وتصورت كيف تأثرت نفسك في هذه الفاجعة . فرحتك حبالك، وأشفتك عليك ضناً بك، وابتهلت إلى الله أن يجنبك كل مكروه ، ويعصمك من كل سوء ، ويسبغ عليك العافية ، وينزل على قلبك السكينة، ويمنحك من المعونة والتأييد ما يكون لك فيه بعض

العزاء .

الثانى ما كان من تنكر زميلنا أحمد حسين باشا الذى رفع إلى مقامك الرفيع استقالته وأبى فيما تقول الصحف أن يعدل عنها مع إلحاح مقامك الرفيع عليه فى ذلك.

ولست أعرف حقيقة ما دفعه إلى الاستقالة، ولا حقيقة عذره فى الإصرار عليها والاستمساك بها، ولكنى أجد فى هذا الاستمساك قسوة لا أحبها، وشدة لا أرضاها. فأنت لزملائك وأعاونك أب رفيق رؤوف لا تحملهم ما لا يطيقون ، ولا تكلفهم ما يكرهون، وما أكثر ما تشقى ليسعدوا، وتعب ليستريحوا، وتسهر ليناموا ، وأقصى ما يجوز لأحدهم إنما هو الشكوى إليك والإلحاح فى هذه الشكوى طمعا فى عطفك، وثقة بجمك حتى ترضيه . فاما أن يغضبك ويسوءك ، أو يضيف إلى تعبك تعباً، وإلى عنائك عناء، فهذا هو الذى لا أحبه ولا أقره ولا أرضاه، وأنا أرجو أن يكون زميلنا قد راجع نفسه فأثر العافية ، وثاب إلى الرضى، واعتذر إليك من التقصير فى ذاتك . فإن يكن ظنى قد صدق ورجائى قد تحقق فالحمد لله على اجتماع الحكمة والتمام الجرح.

وإن يكن ظنى قد كذب ورجائى قد خاب فليس زميلنا أول من أخطأه التوفيق وأدركه العجز وسط الطريق. وما أكثر الذين انشقوا عليك، وتفرقوا عنك فلم يزدك انشقاقتهم إلا قوة، ولم يزدك تفرقهم عنك إلا استمساكاً بالحق وإصراراً عليه.

وأنت موفق إن شاء الله فى كل ما ترى ، مؤيد بروح الله فى كل ما تتبغى. ولو أنى كنت فى مصر لشافهتك بذات نفسى ولأظهرتك من قرب على وفائى لك وحرصى على أن ترضى. أنا مؤمن بأنك قد جاهدت فأحسنت الجهاد ، وأبليت فأحسنت البلاء، وصبرت على المكاره فأبلغت فى الصبر. وأوجب لك هذا كله على المصريين عامة ، وعلى زملائك منهم خاصة حقوقاً هى ذمة فى أعناقهم، وأيسر هذه الحقوق أن يكونوا دائماً عندما تحب ، وأن يواعدوا بين أنفسهم وما تكره، ومهما يكن رأى الناس فهذا رأىي ، وهو عهد أقدمه إليك: لا أكون إلى آخر الدهر عند ما تكره مهما يكلفنى ذلك من جهد ويحملنى من مشقة.

فأقبل منى وفاء صفوا عفوا لسن تشوبه شائبة مهما تكن الظروف ، فلعن الله حياة يفسدها الانحراف عنك، أو يكدرها الانصراف عما تحب.

أكتب هذا ومقامك الرفيع يعلم أنى أزهى الناس فى الوزارة ، وأبعضهم لها، وأحرصهم على فراقها، ولكنى أحب مخلصاً أن تتق منى بالود المحض والإحياء الصرف، وبأن بقائى فى الوزارة أو تركى لها رهن برأيك، فأى الأمرين أحببت ، فإنه سيقع منى موقع الرضى لا يمس

ما بينك وبينى من ود هو آثر عندى من كل شىء، وأعز علىّ من كل عزيز.
فاقبل تحيى صادقة ووفائى محضا وإخائى صريحاً.

طه حسين

قطعة من جسمى

وقد أحدثت رسالة طه حسين البليغة المؤثرة أثرها لبالغ فى نفس وقلب النحاس باشا كما سيتبين من رده عليه ، وعلينا أن نلاحظ أنه سيرد على الرسالتين اللتين أرسلهما طه حسين فى وقت واحد، وتاريخ واحد ، وسيخص الرسالة الأخيرة بالاحتفاء ، ويكتفى بالرد على الرسالة الأولى "الأزمة" بطمأنة طه حسين بأن محتواها سيظل سراً فيما بينهما.
كتب النحاس باشا رسالته على الأوراق الخاصة برئيس مجلس الوزراء ، أو كما جاء فى نصها:

رياسة مجلس الوزراء

مكتب الرئيس

عزيزى معالى الدكتور طه باشا

شهد الله أنك وفى الوفاء الحض، مخلص الإخلاص الذى لا يشوبه غرض، ولا تفسده مطامع الحياة.

وإن كتابك الفياض بمعنى الأخوة الكريمة، الزاخر بعبارات الصدق والوفاء ، قد أدخل على نفسى الطمأنينة وعلى قلبى روحاً من الهدوء والانشرح..

لقد طالعتى كتابك فى ظروف محرجة أشد الحرج، قاسية أعظم القسوة ، لا لما تضمنه من أحداث لم تعودها، أو نجر بها ، ولكن لما اكتنفها من نكران للجميل – ونسيان للماضى القريب ، أثرهما على النفس المخلصة شاق، ومغبتها مؤلمة قاسية، وأى ألم أشق على النفس، وآلم للقلب، من أن يفقد الإنسان صديقاً مخلصاً، ورجلاً وفياً، كالفقيد إسماعيل رمزى باشا، الذى كان مثلاً من أمثلة الانسجام الأخوى، وقدوة تحتذى فى المحافظة على المبدأ الوفدى ، فى وقت نرى فيه الذين نفخنا فيهم، وعمدنا إلى إظهارهم ، والإشادة بهم ، يعملون على حربنا، والخروج علينا ومحاولة النيل منا، ومضاعفة الأعباء والمسئوليات التى ينوء بها كاهلنا فى هذه الأيام الدقيقة العصيبة.

ولست أكتفك أن كتابك قد وصل إلى ساعة الحاجة إلى مثله، فلقد رأيت فيه نوعاً جديداً من الأخوة والوفاء، والحب والإخلاص الذي لا يزيد ولا ينقص وفقاً لتطورات الحاجة الشخصية، أو المآرب الذاتية، ولكنه الود الصرف، والوفاء الخالص، الذي جمعنا الله عليه، ونماه بقدرته فينا، فلم يعتمد يوماً من الأيام على مصلحة - أو يسعى وراء غاية دنيا، وإنما كان في الرخاء مثله في الشدة، مثار الفخر والذكر، ومكان التقدير والإجلال، وهو هو الوفاء الذي سيظل باقياً ما بقينا قويا تزيده الأيام قوة، ويخرج من الأحداث نقياً صافياً.

وإني لأقدر من أعماق نفسي تلك العاطفة الجياشة التي بدت في رسالتك بمناسبة استقالة أحمد حسين باشا والتي ما كنت أود أن تكون لولا أنه أصبر عليها، واستمسك بها وخابت كل المحاولات التي بذلت لإثباته عنها، وما فعلنا كل هذا إلا محافظة على الشمل أن يظل ملتتماً، وعلى الانسجام الوزاري أن يكون بآمن من العواصف والهزات، ولكنه - سامحه الله أبي غير ما أردنا، وقصد إلى غير ما قصدنا لمصلحة المجموع لا لمصلحة فرد من الأفراد. ولقد لفت نظري في رسالتك القيمة الصادقة ما ذكرته بصفة خاصة من أن بقاءك في الوزارة وتركك إياها رهن برأيي، وأن أي الأمرين أحببت سيقع منك موضع الرضا لا يمس ما بيني وبينك من ود هو أثر عندك من كل شيء، وأعز عليك من كل عزيز. وعلم الله أن هذا الذي طالعه في رسالتك هو ما أحسه من أخوتك وصدقتك، ولم يزدني علماً بك، ولا حكماً عليك. فأنت أخ الود، وصدیق النفس، وما كانت العلاقة بيننا علاقة وزارة نشترك فيها، أو حكم تقاسم همومه وآلامه، ولكنها أكبر من ذلك وأسمى، وأبقى على الزمن وأخلد، وأصدقك الحق أنني لن أتخلى عنك، ولن أفرط فيك. وسأظل مستمسك بك إلى جانبي إلى آخر لحظة، وإن أرغمتمني الظروف على غير ما أحب - وأرجو ألا ترغميني - فإني سأكون كمن يقتطع قطعة من جسمه، أو يفرط في عضو صالح من أعضائه. هيهات أن يجد له بديلاً، أو يعتاض عنه بمثله، على أنه مهما تكن الأحوال فإني معتز بأخوتك، فخور بصدقتك، ممتلى النفس غبطة بوفاتك وإخلاصك، راجياً أن يظل وفاؤك صرفاً، وإخاؤنا محضاً، وعلاقتنا خالصة لا يكدرها ما اصطالح الناس عليه من شئون الدنيا، ولا ما ألفوا أن يتهافتوا عليه من أمور الحكم، والجاه أو السلطان.

ولك منى تحية التقدير، ووفاء الصديق، ومحبة الأخوة الممتزجة بالإجلال والاحترام. وأكتفى بهذا عن الرد على خطابك السابق الذي أوصيتني فيه على أن يكون ما احتواه سراً خاصاً بينك وبينى. وأرجو في الختام أن تبلغ السيدة حرمك تحيتي واحترامى.

مصطفى النحاس

سان ستفانو في مساء الأربعاء ٨ أغسطس ١٩٥١

أشقى الناس

وتمضى الأمور بعد ذلك إلى نهايتها الختومة وتطوى بحريق القاهرة آخر صفحة من صفحات الوفد وزعيمه لتتم إقالة الوزارة النحاسية السابعة والأخيرة ، والتي كان لها حظ اشتراك طه حسين فيها، ورغم قصر المدة التي قضاها كوزير للمعارف "سنتان" إلا أنه ترك أبعداً أثر في تاريخ الوزارة بحيث لا يذكر التعليم ولا تذكر وزارته إلا مقترنة باسم طه حسين، ولعلنا في شوق شديد اليوم ونحن نتبع أنباء خروج الوزراء بعد التغييرات الحكومية، حيث يتكرر السؤال مع كل تغيير: كيف يستقبل الوزير الخارج من الوزارة هذا المصير، ولعل الساعات والأيام الأولى تكون في حياة الوزير الذي هجر السلطة والنفوذ أو قد هجرته من أفسى الفترات في حياته، فكيف عاش الوزير طه حسين هذه المرحلة من حياته؟ إنه لا يدع فرصة لنا للتخمين والاستنتاجات ، بل هو يجبرنا بنفسه في نفس المقال المشار إليه سابقاً كما أخبرنا بقصة دخوله وخروجه من الوزارة ، فيحكى عن حياته ومعيشته بعد خروجه أو إخراجه من الوزارة التي أقبلت بأكملها عقب حريق ٢٦ يناير ١٩٥٢، فيقول:

"وأصبحت من غداة تلك الليلة مطمئن النفس مستريح البال لا أتعجل الخروج من الراحة إلى العمل، ولا أختلس طعام الإفطار اختلاسا، ولا أتربأ أبناء التليفون بأن يضربا قد كان في هذه المدرسة أو تلك ، وبأن اضطرابا قد وقع في هذه الجامعة أو تلك، وإنما خرجت من النوم مترققا ، وخرجت من الدار حين ارتفع الضحى فسعيت إلى القصر لأسجل شكري للمليك على ما أتاح لي من محاولة خدمة الشعب، ثم سعيت إلى دار الرئيس (رئيس الوزراء النحاس باشا) لأشكره لفضل اختياره وحسن ما أسدى إلي من معونة أثناء تشرفي بالعمل معه، ثم عدت إلى دارى راضيا موفورا ، ولكن لا أقول الحق كله إن لم أضف أنى كنت متعبا مكدودا ، وأنى احتجت إلى وقت غير قصير لأتنفس فى أناة ورفق، ولأذوق الحياة كما تعودت أن أذوقها قبل أن ألى وزارة المعارف. وفى اختلاف الليل والنهار وتعاقب الأحداث والخطوب ما ينسى الكتاب أنهم كانوا وزراء . وأشهد لقد كنت خليقا أن أنسى هذين العامين لولا تحدث الناس إليّ فيهما، ودعاء الناس لي بلقب ليس لي فيه الآن حق قليل أو كثير، وما لي لا أنسى الوزارة وقد لقيت فيها عناء وشقاء، وما رضيت فيها عن نفسى قط، وإنى لأشقى الناس حين أرضى عن نفسى، فما يرضى عن نفسه إلا رجل قد فرغ من الحياة أو فرغت منه".

مراسلات

طه حسين - نجيب الهملاى

(٢) على كثرة ما كتب طه حسين من رسائل إلى أصدقائه السياسيين وغير السياسيين فإننا لا نجد غير صديق رأى فيه طه حسين صديقه الوحيد في مصر، الذي كان يؤثره بالحلب والمودة والإعزاز بعد أسرته، وهو أحمد نجيب الهلالي، الخامي، وزير المعارف، وآخر رئيس وزراء لمصر قبل الثورة، وأحد القلائل الذين احتفظت لهم الثورة بقدرهم، فسبقها إلى شعار "التطهير" الذي تبنته الثورة بعد قيامها، وكان هو الذي نصح الملك بقبول شروط الثورة، وكانت نصوص معاهدة الجلاء تعرض عليه لإقرارها من الناحية القانونية قبل أن يوقعها عبد الناصر، وهو الذي وضع بروتوكول الإسكندرية الذي نص على تأليف الجامعة العربية وتحديد أهدافها، وفضلا عن أن الهلالي كان سياسيا ماهرا لدرجة أن أطلق عليه النحاس باشا "أمكر المكرة" فقد كان سياسيا نزيها دخل الوزارة مستورا وخرج منها مديونا، وصفه د. محمد حسين هيكل باشا بالتفاني في خدمة بلاده ورغبته في النهوض بالعلم والأخلاق، ووصفه كامل الشناوى بأنه صاحب ثقافة عميقة عريضة في الأدب والفلسفة والفقه والقانون، وكان أول من بدأ إصلاح التعليم، بل إن هناك من يذهب إلى أنه صاحب مقولة "التعليم كالماء والهواء" التي نسبت إلى طه حسين، الذي يعترف "بأن الهلالي هو أول من جعل التعليم الابتدائي بالجمان"، وهو الذي أعاد طه حسين إلى الجامعة بعد أن طرده إسماعيل صدقي منها، كما عينه مستشارا فنيا لوزارة المعارف، وانتدبه مديرا لجامعة الإسكندرية، ورشحه وزيرا للمعارف في حكومة النحاس الأخيرة، ولن نجد في أوراق طه ورسائله إلى من كان يرأسهم إلا صديقا واحدا اختصه بأكثر وأطول وأصدق وأصفى رسائله.

كتب طه حسين إلى الهلالي باشا من فرنسا يروى له أحداث سفره، والحوار الذي دار بين النحاس باشا وزوجته سوزان على ظهر السفينة عن الهلالي نفسه، فيقول:

أخي العزيز

أما إذا لم تشغلك عنى ظروف الحياة في مصر فأنت تلومني إن أبطأت في الكتابة إليك. وأما إذا شغلك المدير وجه النهار والسمير أول الليل، والنوم بين هذا وذاك فأنت تذكرني من حين إلى حين وتسال متى تصل إلى أخباره. وأنا قابل منك كلا الأمرين مغتبط بهما، سعيد بأن تذكرني كثيرا أو بأن أمر على خاطرك مرأ سريعا. وإذا كنت لم أكتب إليك فلأن الأيام التي قضيتها في باريس إلى الآن كانت مفعمة بجلائل الأعمال وصغائرها. من اختلاف إلى

(٢) المصور ١٩ نوفمبر ١٩٩٩.

السوربون والكوليج دي فرانس، والإليزيه، والكوميدي فرانسيس، والأوبرا، والمعروض، وما يتصل بهذا كله من سخف الاحتفالات والأعياد التي أقيمت للكوليج دي فرانس . وكنت أذكرك وآسف لأنى لم أكن أجد الوقت للكتابة إليك. أما الآن وقد فرغت من هذا كله فأرجو أن تتصل إليك كتنى حتى تشكو من كثرتها ، ولكن أحذر أن تظل هذه الكتب من غير جواب. ولست أطلب لكل كتاب جوابا. وإنما أطلب جوابا لكل كتابين. وهذا الكتاب هو الثانى فقد كتبت إليك من "سترندا" فى إيطاليا، وأحب أن تلاحظ أنى لست أقل منك عملا، فبين يدي مجلدات تريد أن تقرأ، وبحث يريد أن يكتب للمؤتمر، وملاعب باريس مغرية، وليست متنزهات الأقاليم أقل منها إغراء ، وسأوترك على كل هذا فتستطيع أن تأخذ لى فى الأسبوع نصف ساعة من عوض بك إبراهيم وبلغه نحيتى.

ذكرناك كثيرا فى السفينة مع صاحب الدولة، وكان أول ذلك أننا كنا نعد مرة المهرة والمكرة الذين يحسنون الشيطنة أو يسيئونها، فذكرنا أسماء، ثم افرقنا. ومضى على ذلك وقت طويل ثم مر الباشا بامرأتى وهى تتحدث إلى حرمه ، فقطع حديثها قائلاً لزوجتى : لقد نسيت يا سيدتى أمكر المكرة . قالت من هو؟ قال: نجيب. ولست أذكر لك : ابتهجت سوزان بهذا الجواب. ولكن أهدى إليك تحيتها الخالصة، وأرجو أن تقبل منى نحية أنت وحدك تعرف ما تشتمل عليه من حب وإخاء.

الأيام المظلمة

وحيثما اشتوى طه حسين امتياز جريدة "الوادى" وأشرف على تحريرها أثناء أزمته مع وزارة صدقى باشا ، عانى طه حسين من خسائر مادية شديدة، فإن كان قد نجح كصحفى إلا أنه فشل كإدارى ، واضطر إلى الاستدانة، وكان الهلالى ممن استدان منهم، ويسمى طه هذه الفترة بالأيام المظلمة، فقد كتب إلى نجيب بك الهلالى:

أخى العزيز

أكتب إليك مرة أخرى مستعينا بك وأثقل شى على أن يأخذك الحياء فتكلف نفسك ما لا تطبق أو ما يشق عليك ، أو أن يمنعك الحياء من الرد على. فأقسم عليك لا تتكلف من هذا كله شيئا.

وأنا أعلم أنى ثقيل ولكنى أعتقد أنك تحتل منى هذا الثقل الذى أرجو أن يخف قريبا.

أما الجريدة فما زالت حالها بعيدة عما يرضى ولكنها أخذت تحاول أن تقف على قدميها، وأظن أن هذا ليس مستحيا. فقد أخذ انتشارها يزيد بعض الشيء، وقد أخذت بعض شركات الإعلانات تفكر فيها، الغريب أنى برغم هذه المصاعب كلها بعيد كل البعد عن اليأس، بل بعيد إلى حد ما عن سوء الخلق. ولعللى لم ابتسم قط كما ابتسمت فى هذه الأيام المظلمة. وإذا كان فى حياتى شئ ممض فهو احتياجى كثيرا إلى أن استدين، وإشفاقى المتصل من العجز عن أداء الدين. وأنا أريد الدين المادى. فقدر لرجلك قبل الخطو موضعها، أستغفر الله. وأستغفرك. أنت أكرم على وأرفع عندى من هذا الكلام.

وتقبل تحيى الخالصة

طه حسين

١٠ نوفمبر ١٩٣٤

السخف الرسمى!

ويكتب طه حسين من مصيفه إلى الهلالى رسالة يضمنها بعض الاقتراحات والأفكار الخاصة بالتعليم، وهو حين يتحدث يقسم حديثه إلى قسمين قسم خاص بالهلالى الصديق، وقسم آخر يخص به الهلالى الوزير، فكتب إليه يقول:

خطاب إلى نجيب بك الهلالى ٢٥ يوليو ١٩٣٥

أخى العزيز

أكتب إليك بعد أن انقضت ثلاثة أسابيع منذ اليوم الذى ودعتك فيه قبل سفرى. فقد أذكر أنى لقيتك مودعا فى الثالث من هذا الشهر، وأنا أكتب إليك فى الخامس والعشرين منه. وتستطيع أن تتق بأنى منذ ودعتك لم أنقطع عن التفكير فىك مرات، فى كل يوم أذكر شخصك وأذكر عمك المعقد المختلف الشاق، وأشفق عليك مما تحتمل من جهد وما تلقى من عناء. ولست غالبا ولا متجاوزا الحق إن قلت أنى لا أكاد أفكر فى أحد غيرك من المصريين، ولا أكاد أفكر فى شئ غير وزارة المعارف من شئون مصر، ولولا أنك وزير المعارف لما فكرت فى هذه الوزارة التى تعرف رأبى فيها منذ زمن بعيد.

ولست أرى عليك بأسا من أن تقرأ هذا الكلام الفارغ الذى أكتبه إليك فقد تجد فيه راحة من الكلام الملائن الكثير الثقيل الذى تقرأه فى ديوانيسك والذى تمتلى به حقائبك إذا

انصرفت إلى بيتك وأويت إلى مكتبك أو إلى غرفتك لتستريح فاعتصبت وقت الراحة وأنفقته في هذا السخف الرسمي الذى يفرضه عليك الواجب الوطنى.

وأنا أكتب إلى الصديق لا إلى الوزير، ومن هنا أصطنع الحرية فيما أكتب. وهل رأيت قبلى أستاذا يتحدث إلى وزيره بأن الأعمال الرسمية سخف، وبأن الواجب الوطنى يفرض على الوزراء أن ينفقوا أوقاتهم وجهودهم فى السخف. ولكنى أرجو من الصديق ألا يطلع الوزير على هذا الكلام الخطر الذى يكفى للمحاكمة التأديبية.

غير أنى أعلم أن لك ولى فى الحياة العامة رأيا غريبا لا يكاد يشاركنا فيه أحد غيرنا. فنحن نرى أن الحياة العامة والحياة الخاصة سخفا كلها، ونحن نضحك من هذا السخف حين نخلو إلى أنفسنا وقلما نخلو إليها. ولكننا مع ذلك نؤمن بهذه الحياة العامة وما تفرض علينا من واجبات، ولا نبیح لأنفسنا التهاون أو التفريط فيما تفرض علينا من أعمال وأتقال. ونحن نتكلف فى سبيل ذلك كل جهد، ونضحى فى سبيل ذلك بالصحة واللذة والراحة معا.

خلقنا هكذا فلا نستطيع أن نغير أنفسنا ولا أن نحمل ضمائرنا مالا تطيق من المزاح حين يجب الجهد، والراحة حين يجب التعب، والأثرة حين يجب الإيثار. ومن هنا تنام أنت أربع ساعات من أربع وعشرين، وتختلف إلى ديوانيك فى الصباح والمساء، وتتعقد لجنة المناهج والمكتب الفنى، ترور أسواق الخضر والفاكهة، ونادى المعلمين، وتسمع من هذا وتقول لذلك، دقيقا كل الدقيقة فى كل ما تأتى كأنك تؤدى واجبا دينيا خطيرا. ومن هنا أسافر أنا للراحة فلا أستريح، وإنما أقرأ وأقرأ، وأفكر فيما سأكتب، وفيما سأقول، وامتنع على أهلى كلما هموا بنزهة أو رياضة. وأفكر فى وزارتك التى لم أكن أحب أن أفكر فيها قبل أن تتولاها.

وأظن أنه قد آن لى بعد أن تحدثت إلى الصديق حديثا أراه قصيرا وستراه أنت طويلا، لأنك مشغول بالواجبات الوطنية. أظن أنه قد آن لى أن أتحدث إلى الوزير فأذن يا صاحب المعالى أن أرفع إليك ما يأتى.

أولا: كانت وزارة صدقى باشا قد كلفت وزيرنا المفوض فى لندرة وهولندا حافظ عفيفى باشا أن يرأس وفد مصر فى مؤتمر المستشرقين الذى عقد فى "ليدن" سنة ١٩٣١، وكان لذلك أثر حسن جدا.

فمن الخير أن تكلف الحكومة القائمة وزيرنا المفوض فى روما مراد سيد أحمد باشا رئاسة الوفد المصرى فى المؤتمر نفسه الذى سينعقد فى سبتمبر المقبل، وليس على الحكومة من ذلك بأس، فلن يكلفها هذا العضو الجديد نفقة ما. وبهذه المناسبة أرجو أن تقوى

الجامعة، وفد الحكومة بندب اثنين عنها هما: أحمد أمين وعبد الوهاب عزام. وقد كتبت في ذلك إلى مدير الجامعة قبل سفرى. ويكفى أن يعلم وزير المعارف أن الوفد الألماني فى المؤتمر السابق قد نيف على السبعين. فليس كثيراً أن يكون الوفد المصرى مؤلفاً من ستة أو سبعة، ومصر مؤئل العربية والإسلام إلى آخر هذا الكلام الكثير.

وكانت الحكومة السابقة قد دعت المؤتمر إلى أن ينعقد فى مصر فلم تنجح لأن إيطاليا غلبتها، فهل تجدد الحكومة الحاضرة هذه الدعوة كما تقضى بذلك التقاليد. مسألة لا أقترح فيها شيئاً وإنما أتركها لتقدير الوزير .

ثانياً: رأيت فيما منذ وصلت إلى فرنسا، أن الحكومة الفرنسية قد أقدمت على عمل كنت قد تشرفت باقتراح مثله على معاليكم فى بعض الحديث فأظهرتم ميلاً إليه واستعداداً له.

فقد قررت وزارة المعارف الفرنسية أن تضم مدرسة المعلمين العليا للبنات إلى مدرسة المعلمين العليا للبنين ، بعد أن زالت الفروق التعليمية بين أولئك وهؤلاء . فلعل وزارتنا تذهب هذا المذهب ، ولاسيما وليس بين تعليم البنين والبنات فى مصر فرق ما.

ثالثاً: وإذا أقبل الصيف فى فرنسا لم تكند تنظر فى صحيفة فرنسية أثناء شهر يوليو إلا وجدت فيها الحديث عن مجلس المعارف الأعلى، واجتماعه ودرسه لشئون التعليم كلها.

وقد بدأ وزير المعارف فى مصر تقريره عن إصلاح التعليم الثانوى بوجوب إصلاح الديوان قبل كل شئ . وأظن أن أول خطوة فى سبيل الإصلاح الفنى لوزارة المعارف ، إنما هى إنشاء مجلس المعارف الأعلى، على أن تمثل فيه فروع التعليم كلها، وأن تكون رئاسته لمدير الجامعة، وأن يكون رأيه استشارياً ، وأن ينظر فيما يعرض عليه الوزير من المسائل الأساسية فى شئون التعليم ، وفيما يعرض عليه الأعضاء من الاقتراحات التى تمس حياة التعليم، وعلى أن يجتمع مرة أو مرتين فى العام اجتماعاً يطول أو يقصر حسب ما تقتضيه الأعمال المعروضة عليه.

كم أتمنى مخلصاً أن يكون صديقى نجيب هو المنشئ لمجلس المعارف الأعلى هذا، والموضع لهذا الأساس المتين من أسس التعليم الصحيح فى مصر .

والآن أعترف أنى قد أطلت، ولكنى أرجو أن لا تكون هذه الإطالة مانعة لك من قراءة هذا الكتاب، وأنا أعفك من الرد عليه، وإذا وضعت عنوانى فى آخره فليس معنى ذلك إلا أنى أنبئك بمكانى لعلك تحتاج إلى فى بعض الأمر.

وأنا أهدى إليك ما ينبغي للصديق المخلص من حب وإخاء، وما ينبغي للوزير الجليل من تحية واحترام.

طه حسين

أليس غريبا أن أطيل هذه الإطالة ولا أشكر لك ما أستمتع به من الراحة في فرنسا، فأنا مدين لك بها ، ولكن هل أستطيع أن أشكر لك ما أنا مدين لك به فهو أعظم من الشكر.

طه حسين

الجد كل الجد

وسلحظ بوادر أزمة بين الصديقين حين قرر طه حسين الاستقالة من جميع اللجان التي وضعه فيها الهلالى باشا لأن طه وجدها غير محففة للأغراض التي أنشئت من أجلها. وهو حين يفعل ذلك ظن أن الأمر لا يعدو اختلافا في وجهات النظر، سيتقبله الهلالى ضاحكا، يقول طه حسين في : ٨ نوفمبر ١٩٣٥ .

أخي العزيز

ستدهش حين يرسل إليك هذا الكتاب في بيتك من صديق يستطيع أن يتحدث إليك في كل لحظة لأنك عودته، ذلك قبل أن تكون وزيرا وبعد أن كنت وزيرا.

ولكني مع ذلك أكتبه إليك لأنى لا أريد أن أحدثك في موضوعه ، فقد ثقل هذا الحديث على نفسي، وإن لم يثقل عليك لأنك علمتني أن أحاديثي لا تثقل عليك مهما يكن موضوعها.

أكتب إليك راجبا منك في صدق وإخلاص رجاء صديق من صديق أن لا تغضب حين تجد في الوزارة استقالتي من اللجان التي أنا فيها، وألا تراجعني في ذلك. فأنت تعلم حق العلم أن أثقل شئ على نفسي وأبغض شئ إلى أن تطلب إلى شينا فأجيب بلا. وأقسم لك أن العمل في هذه اللجان ثقيل جدا على نفسي يكلفني مالا أحب من الضيق ، ويضيع على ما أنا في حاجة إليه من الوقت، ولست أحب أن أكذبك لأنى لم أعود ذلك ، فلو أن حالتى النفسية كما يقولون صالحة لما اعتذرت من عمل مهما يكن شاقا ثقيلًا، ولكن هذه الحالة النفسية بعيدة كل البعد عن أن تكون صالحة، وما أحب أن أفصل ذلك، ولا أن أطيل القول فيها فأنت فيما أعتقد تعرفها حق المعرفة، وقد بذلت جهودا صادقة لإصلاحها فلك الشكر

خالصا متصلا.

ومهما أنس فلن أنس أنك رددتني إلى الجامعة وحملت الحكومة على أن تحاول إنصافي، وجملتها أيضا على أن تحتسب لي في المعاش أعواما قديمة، ومكنتني من السفر إلى أوروبا، وهذا كثير لا يحجده إلا رجل غري. ولكني كنت أنتظر أشياء أو أعلل النفس بآمال لا أراها مسرفة ولا غالية ، وإنما أراها متواضعة كل التواضع، فقد ظهر أني كنت أنتظر أكثر مما ينبغي، وأعلل النفس بآمال عسيرة التحقيق. فلم يبق إلا أن أنهض بالواجب راجيا منك ألا تكلفني مالا أطيع.

وأنا أرجو أن تقبل من صديقك المخلص تحية ملؤها المودة والحب، وأرجو بنوع خاص ألا تقرأ هذا الكتاب ضاحكا، وأن لا تتم قراءته ضاحكا، وأن لا تنظر إليه كما تعودت أن تنظر إلى بعض أعمالى ضاحكا. فإني أؤكد لك أني لا أكتبه ضاحكا ، وإنما هو الجلد كل الجلد.

غضبك يؤذيني

وقد قوبلت استقالة طه حسين من جانب الهلالي بغير ما توقعه طه حسين، الذي فوجئ بغضب الهلالي وثورته التي بلغت حداً أثر أبلغ تأثير في نفس طه حسين، لدرجة أنه يكتب خطابا إلى الهلالي فيرجي إرساله بعدما تصاعدت الأزمة نتيجة ظروف ووشايات تراكمت، ليعود طه حسين مستأنفا خطاباه بخطاب آخر مكمل له ليستدرك ما حدث محاولا إصلاح ذات البين في خطاب أدبي بليغ يعد من أروع ما قيل في عتاب صديق لصديق..

يقول طه حسين في: في ٢٧ نوفمبر ١٩٣٥

أخي العزيز

أثبتت أن ظنك قد ساء بي وأنتك وضعتني حيث تضع غيري من الناس. فقدرت أني حين استقلت من اللجان التي تفضلت فوضعتني فيها، إنما قصدت ألا أتعاون معك في هذه الظروف الخاصة.

والإذن لي قبل كل شيء في أن ألا حظ أني كنت أعتقد أن مكانتي في نفسك أرفع من هذا ، وأن ما بيننا من الصداقة والإخاء أرفع من السياسة وأعراضها، ومن الوزارة وما يختلف عليها من الظروف.

وإني كنت أعتقد أنك ستزى في هذه الاستقالة نوعا من الغضب أو لونا من تمرد الصديق أو نزولا عند حكم ضرورة شخصية قاهرة ، ولاسيما وقد طلبت إليك غير مرة أن تعفينى من هذه الأعمال لأدبر من أمرى الخاص الذى تعرفه ما يحتاج إلى التدبير . ولكنك قد أعرضت عن هذا كله ، وأبيت إلا أن تضعنى حيث تضع عامة الناس، فتظن بى الظنون ، وتسير بى سيرتك مع المتقلبين . فهذا فى نفسه مؤلم حقا وأنت تعرفنى أكثر مما أعرف نفسى، وأنت تعلم بعد الخبرة والبلاء أنى لست جاحدا ولا منافقا، وأنت تعلم أنى قد لجأت إليك فى وقت الشدة، واستعنت بك على الضراء أكثر مما لجأت إلى أمس الناس بى، وأكثر مما استعنت بأقرب الناس إلىّ.

فصدقنى إن قلت لك إن سوء ظنك بى يؤذنى فى كرامتى ويجرحنى فى مروءتى ، وليس هذا بالشئ القليل .

وأنى لأقسم بك وأنت أعز الناس علىّ وآثرهم عندى بعد زوجى وإبنى ، ما فكرت فى سياسة ولا فى مغاضبة لوزارة المعارف، ولا لوزيرها، حين كتبت إليك ما كتبت ، وإنما فكرت فى أن أقتصد من الوقت ما يمكننى من أن أكتب مقالة أو أضع كتابا أستعين به على الحياة.

وأنت بالطبع حر فى أن تصدق هذا القسم العظيم أو لا تصدقه، ولكنى أعرب عما فى نفسى مخلصا، وما أستطيع أكثر من هذا ، بل أنا أستطيع أن أقيم الدليل على صدق ما أنبتك به إن كان سوء ظنك بى قد انتهى إلى هذا الحد، فأسترد استقالتي من اللجان التى لم تعين لى فيها خلفا لتعلم أنى أبعد الناس عما ظننت بى، وإنى أرفع من أن أجفو صديقى للسياسة أو لما هو فوق السياسة.

دعنى أذكرك مودتنا وأيامنا، فقد يظهر أن السياسة وأتقائها قد أنستك مكانى منك، وخيلت لك أنى كهؤلاء الذين يخدمونك وزيرا ، ويتجنبونك إن بعدت عن الحكم.

ودعنى أقل لك فى صراحة الصديق للصديق، بل فى صراحة طه لنجيب أنى لم أخطئ معك إلا فى شئ واحد وهو أنى استقلت فى وقت غير ملائم للاستقالة، وأنا نادم على هذا الخطأ ومعتذر منه ومستعد لإصلاحه إن أردت أنت، ما وسعنى هذا الإصلاح . فأما فى غير هذا فلم أقصر فى ذاتك، ولقد ساءت الظروف السياسية فسعيت إلى مقابلتك وطلبتها إليك مباشرة وبالواسطة فلم تُرد لقائى.

ولست أعرف أنى أخطأت معك غير هذه المرة ، ولكنى أعرف أنك أنت ظلمتني أشنع الظلم، فأسأت بى الظن، وعاملتني معاملة عامة الناس، واتهمتني فى نفسك بخيانة الصديق،

وما كان ينبغي لك أن تفعل هذا، فينبغي أن تكون الصداقة في نفسى كريمة كنفسك، أنفس من كل شئ وأثر من كل شئ وأرفع من أن تبلغها وشاية الواشين.

أسعى إلى مقابلتك فرفضها ، وأسأل عنك فى التليفون فتعرض عن سؤالى. ويقول لك الواشون سخفهم فتسمع لما قالوا . وهبنى أخطأت فمن الذى يمنع الصديق أن يصلح خطأ الصديق. تسير معى سيرتك مع سليم ثم ترى بعد ذلك أنك منصف ، وأنى أنا المخطئ. كلا- إنى لأقهر نفسى وأخذها بجزم عنيف لأنى أحبك وأوثرك وأكره أن أقسو فى الكتابة إليك.

تعتب علىّ فيما يظهر بل فيما يقال أنى اشتزكت فى احتجاج الأساتذة المصريين فى كلية الآداب. فأحب أن تعرف قبل كل شئ أنى لم أعلم بأمر هذا الاحتجاج إلا من مدير الجامعة حين تقرر وأصبح أمرا محتوما، وأصبح التخلف عنه شيئا لا يليق ، وأحب أن تعلم بعد ذلك أنى لا أرى فى هذا الاحتجاج وقد اشتزكت فى كتابته عمدا شيئا يمس الوزارة أو يؤذيها ، وإنما أراه تقوية لها وتأييدا لسعيها فى خدمة هذا البلد العس. ولكنك أيها الصديق تسمع ما يقال وما أكثر ما يقال، تسمع لقوم غير ناصحين ولا صادقين، ولو سمعت للناصحين الصادقين لكانت أمور تحسبها شاقة وما هى بالشاقة.

كم أحب أن ألقاك وأن أسمع منك أفسى الحديث، وأن أتحدث إليك أرق الحديث وأعذبه ، ولكنك تعرفنى وتعرف أنى لا أريد أن أسعى إلى وزير فأرد عنه، وإن كان هذا الوزير أخى نجيب. وحسى أنى أحسنت الظن بوزير المالية، فطلبت من سكرتيره أن يأخذ لى منه موعدا فلم يرد علىّ . وحسى أن هذا نقص علىّ الحياة أياما، فلو قد سمعت للقاتك ثم رددت عنه لبغضت إلىّ الحياة تبغيضا.

إن كنت حريصا علىّ مودتى، مستقبيا، فمر أحد كتابك بدعوتى إليك، وإلا فلن أكلفك ما لا تحب، ولن أريك وجهى الذى قد تكرهه، ولكنى سأخلص لك دائما، وسأفى لك دائما، لأنك لا تستحق منى سوى الإخلاص والوفاء ، وسأحفظ فى قلبى جرحا دائما دائما لأن الرجل الوحيد الذى كنت أراه الصديق الوحيد قد أساء بى الظن وعاملنى كما يعامل عامة الناس.

وأحب أن تذكر هذا البيت القديم، فهو أصدق وصف لما بينك وبينى. وأنت حر فى أن تقبل علىّ أو تعرض عنى، ولكنى أريد أن تقرأ هذا الكتاب وأن تحفظه عندك، فقد تصدقه الأيام، أما البيت فأنت تعرفه، ولكن لا بأس من أن أذكرك به ، وهو:

ستقطع فى الدنيا إذا ما قطعنى يمىنك فانظر أى كف تبدل

طه حسين

أمليت هذا الكتاب منذ شهر كما ترى من تاريخه، ثم بلغتنى عنك هنات فلم أرسله إليك.

وأنا أرسله إليك اليوم لأن الناس أكبروا فيما يظهر أن تقع القطيعة بينك وبينى ، فتحدثوا بذلك وأكثروا، وسعى بعضهم عندك، وسعى بعضهم عندى ، ومشى جماعة من الأصدقاء إلى مدير الجامعة يطلبون إليه أن يجمعنا عنده وأن يصلح ما بيننا فأبى ، ولكنه قبل آخر الأمر أن يمر بى ثم يسعى بى إليك فأبى . لا لأنى أكره السعى إليك بل لأنى أكره أن يتوسط بينك وبينى ثالث مهما يكن.

ولو قد دعانا لطفى بك إلى بيته لاعتذرت ولم أجب دعوته لأنى ما زلت أعتقد أن ما بينك وبينى من المودة أكرم وأصفى من أن يسعى فيه الوسطاء. وأحب أن تعلم أنى لم أرسل إليك وسيطا، ولم أرغب أحدا فى أن يترضاك ، وأنى لست فى حاجة إلى أن ترضى عنى إذا لم يكن بد من وسيط لأبلغ هذا الرضى. فالذين تحدثوا إليك فى ذلك بين رجلين: متطوع للخير يسوءه أن يفسد ما بين صديقين، وفضولى يجب أن يسمع منك ومن ثم يذيع ما يسمعه بين الناس. وقد أنبت أنك واجد علىّ لأنك تظن أنى قد عرضت بك فى مقال كتبتة عن برنارد شو. أنبأتى بذلك مدير الجامعة ، فأذن لى فى أن أعتقد أن ما كنت فيه من جهد وعناء قد خيل إليك أنك المعنى بكل شى ، وأنى أقسم بك وبابنى وزوجى ما فكرت فىك حين كتبت هذا المقال ، ولا فكرت فى أحد من الوزراء القائمين ، وما كان ينبغى لى أن أفكر فىكم، لأنى كنت أعلم من أمركم فيما يظهر مثل ما كنتم تعلمون. كنت أعلم أنكم لم تخالفوا الشعب ولم تنتكروا له ، ولم تنقطع الوسائل بينكم وبينه ، وإنما كنتم تظهرون الشدة وتضمرون اللين، وتخطرون بسمعتكم ، وتجدون مع ذلك فى إصلاح الأمر، واسترجاع الدستور.

كنت أعلم ذلك علم يقين، وكنت أكتمه على كل إنسان إلا على نفسى ، فلم يكن ينتظر أن أتهمكم بما ظننت أنى أعرض به فى هذا المقال. ولقد كلمنى مدير الجامعة فى ذلك فلم أخف عليه أمام عبد الرحيم أنى إنما كنت أعرض بالأحرار الدستوريين وأشباههم، فاضطرب لذلك وضحك ضحك من لا يدرى كيف يقول.

أما بعد فإنى أعيد ما قلته لك فى الكتاب الذى كتبتة منذ شهر وهو أنى هممت أن أسعى إليك فأبى أن تلقانى. وأزيد على ذلك أن الناس قد تحدثوا بأنكم ستستقبلون،

فوطنت نفسى على أن أسعى إليك منفرداً، وأخذت أدبر السعى إليك مع الزملاء. يعرف ذلك مدير الجامعة وسكرتيرها العام. ثم أقمتهم فى الحكم فحمدت الله وشكرت له هذه النعمة، يعرف ذلك رئيس الوفد. ولكنى لم أسع إليك لأنى لا أحب ولن أحب أن أتكلف السعى إلى الوزراء وهم يظهرن الغضب والإباء . وأنا أتمثل دائماً قول الشاعر القديم:

إذا أنكرتنى بلدة أنكرتها خرجت مع البازى على سواد

وقد تسألنى: لم أكتب إليك ؟ فأجيبك بأنى أكتب إليك لأن غضبك يؤذينى، ولأن سوء ظنك يقض مضجعى، وأجيبك بأنى أكتب إليك لأرجو منك ألا تقبل وساطة وسيط بيننا، مهما يكن فلن أبل هذه الوساطة. ولست فى حاجة إلى رضاك إذا لم يصدر عن قلبك عفواً. وإذا طلبت رضاك فىانى أطلب حقاً لى ولا أستجدى شيئاً أحب أن تمنحنيه منحاً. ومازلت أعتقد أن لى عليك حقوقاً ، وإن أول هذه الحقوق ألا تظن بى السوء ولا تسمع فىّ للوشاة . وإذا رثى أحدنا لصاحبه فىانى أنا أرثى للصدىق الذى يسئ الظن بصدىقه ويسمع فيه كلام من لا خلاق لهم ولا غناء فيهم.

ثم أجيبك آخر الأمر بأنى أكتب إليك لأنى أحبك أكثر مما تحبى وأكثر جداً مما تظن. ومن يدرى لعلك قد أبغضتنى إلى حد لا تسمح معه لنفسك بقراءة هذا الكتاب أو هذين الكتابين اللذين أسرفا فى الطول. وعلى كل حال فأنا أهدى إليك تحية صدىقك طه . وأرجو أن ألقاك فى يوم بعيد جداً لأنه سيكون بعد استقالة الوزارة لا قبلها ، إلا أن يدعو الوزير إليه أستاذاً موظفاً، فإن طاعة الوزراء واجبه. أليس كذلك.

٢٦ ديسمبر ١٩٣٥

أحب دائماً الاحتياط

وحين يعود الوفد إلى الحكم فى وزارة ١٩٤٢ يشغل نجيب الهلالى وزارة المعارف، فىأتى بطه حسين معه مستشاراً فى الوزارة ، ويضطر طه حسين فى نفس العام إلى السفر مع أسرته للمصيف، وتشغله فى سفره أمور منصبه الجديد وما تركه خلفه من أعمال يحاول أن يضع لها الحلول ، وهو لا يخفى ضيقه من عدم استشارته فى بعض الأمور بينما هو مستشار الوزارة.. فىكتب أثناء سفره من:

فلسطين أكتوبر ٤٢

أخي نجيب باشا

ليس هذا كتابا رسميا. ومع ذلك فلن أتحدث فيه إلا عن شئون العمل والوزارة، فإن اشتغالك بجلسات مجلس الوزراء والمقابلات التي كنا نظن أنها ستخف بعد انتهاء الدورة البرلمانية، فإذا هي تزداد كثرة وتعقيدا بأعمال الوزارة التي تختطف ما تستطيع في النهار، وتفرغ لها حين تستطيع في الليل.

كل ذلك لم يمكنني من أن أتحدث إليك هادئين في أشياء لم يكن بد من التحدث إليك فيها. فلتسعد الكتب إذا لم يسعد اللقاء.

ولست أرى بأسا من أن تقرأ هذا الكتاب وعلى وجهك ابتسامة فيها كثير من السخرية ولكن فيها كثير من المودة. وكذلك أقدر ابتساماتك لكل ما يصدر عنى وإن لم أرها. فأقرأ هذا الكتاب في الوزارة إن شئت، أوضعه في الحقيبة لتقرأه في البيت إن أحببت، فإنه لا يزيد إلا أن تقرأه وكفى:

١) لم أستطع أن أقترح من ينوب عنى أثناء غيبتى لسبب بسيط وهو أنى مستشارك، وما ينبغي أن أفرض عليك أو أن أقترح عليك مستشارا. فستستغنى عن المستشار إذن أثناء غيابي، أو ستستبدل به من شئت. ولكن للمستشار أعمالا إدارية لا بد من أن يصرفها مصرف، وكثير منها بسيط لا يبلغ أن يرفع إلى الوزير أو لا ينبغي أن يرفع إليه دون بحث، فيخيل إلى أن شقيقا يمكن أن يقوم مقامى فى تصريف هذه الأمور إن شئت. وإلا فالخير ألا تيب عنى غيره فى ذلك إيذاء له لسا فى حاجة إليه.

٢) طلبت وزارة الشؤون الاجتماعية الإذن لفرقتها التمثيلية بالعمل فى الأوبرا فى موعد حددته، وللفرقة ملعبها الخاص، وكنت أريد أن أرفض الأوبرا، ولكن صلاح الدين بك ألح علىّ، والظاهر أنه كلمك وأنتك وعدته دون أن تأخذ رأى مستشارك. ولا عزاء فى هذا فلفظ المستشار يجعل رأيه ثانويا، ولكن الأوبرا قد ارتبطت مع بعض الفرق الإنجليزية، ولا يمكن نقض هذا الارتباط، ولن تكون الأوبرا حرة قبل ١٥ نوفمبر. وقد اتفقت مع صلاح الدين بك على أن نجتهد فى إخلانها للفرقة ابتداء من يوم ١٢ نوفمبر. وسأترك التعليمات بذلك لسليمان بك نجيب، فأرجو ألا تغير هذا الاتفاق.

٣) وبمناسبة الفرقة التمثيلية علمت أن معاليكم وافقتم على أن الأستاذ محمد حسن مراقب

الفنون الجميلة مديرا للفرقة، ولم أعلم بشئ من هذا إلا مصادفة. ولكن رأيت في هذه المسائل ليس رأى المستشار فحسب. فمراقبة الفنون الجميلة تبغنى. ولو استشرتني لأشرت بغير ما تم الاتفاق عليه. ولكنى أقدر أنهم طلبوا إليك ذلك حين كنت فى رئاسة مجلس الوزراء يوما من الأيام فأجبت غير مكترث بالفرقة ولا بمديرها.

والأستاذ زكى طليمات مدير فنى هذه الفرقة، فعلى وزارة المعارف إذن وزر هذه الفرقة ليس غير. أليس يمكن أن تنقلهما جميعا إلى وزارة الشؤون الاجتماعية لترقى بهما الفرقة التمثيلية إلى عنان السماء، وتدبر وزارة المعارف أمرها على خير مما هو مديبر الآن؟

٤) ومسألة أخرى ليست من شؤون وزارة المعارف ولكنها من شؤون الرئيس الأعلى للجامعة وقد تعمدت أن أتحدث إليك فيها تليفونيا صباح اليوم وعبد الوهاب عزام إلى جانبى. فالواقع أن فى الكلية دعايات سخيفة، وأن شؤون العمادة تأخذ دورا غير مريح. ولست أدرى إلى أى حال تنتهى شؤون الكلية. ومن المحقق أن عنايتنا بالإسكندرية لا ينبغى أن تعرض جامعة القاهرة لخطر ما. ولست أشير بشئ ولكنى أتمنى لو تأخر الانتخاب إلى ما بعد العيد، ذلك أجدر أن يتيح لنا فرصة للتفكير والاحتياط للعام الدراسى. فلا ينبغى أن يكون العميد فى كلية الآداب ضعيفا متهاككا ولا سخيفا مضحكا. وقد كانت هذه الكلية دائما عنوان الجامعة. ويرجى أن تظل كذلك.

وأعود بعد ذلك إلى وزارة المعارف فأذكرك بما تحدثت إليك فيه من أمر مراقبة تعليم البنات. وما أشك فى أنك ستجد له دواء رقيقا رشيقا ناجعا وقد تحدثت إلى متحدثون اليوم بالتليفون زعموا أنهم من أساتذة اللغة العربية بوزارة المعارف وأبوا ذكر أسمائهم واتهموا مفتشا يعمل مع الأستاذ جاد المولى بك اسمه حمزة تهما خطيرة ولست أحب الأخذ بالتبتهات ولا الاستماع للذين يجبنون فلا يذكرون أسمائهم، ولكن أحب دائما الاحتياط. وأول ما يجب من الاحتياط هو أن أظهرك على ما أعلم وقد فعلت.

أما بعد.. فإنى أعلم أنك قد أذنت لى فى السفر راضيا كارها معا، فأما رضاك فلأنك تحب لى ولأهلى ما ينبغى لنا من الراحة، وأما كرهك فلأن العمل كان يقتضى بقائى فى هذه الأيام. وأقسم لو استطعت لبقيت، وما أسافر رغبة فى الراحة لنفسى. وراحتى آخر شئ أفكر فيه، ولكن فى الحياة أثقالا وواجبات يجب أن تحمل وأن تؤدى. ولسنا سعداء دائما باحتمال الأثقال ولا بتأدية الواجبات.

وأنا شاكر لك على كل حال إذنك لي بالسفر، معتذر إليك من هذا السفر نفسه ، مؤمل أن لا تجد في العمل مشقة أكثر مما تجد، واثق بأن من الغياب ما قد لا يخلو من خير. ومن يدري لعل من الخير أن يستريح الوزير من مستشاره أياما. فأرح نفسك من هذا الثقل على الأقل، واحتمل ثقل السجارة والقهوة والموظفين والمقابلات.
وتقبل أصدق تحيتي وأخلص مودتي.

لا تياس

ويأسى طه حسين لما آلت إليه الأحوال بعد أن ترك ووزيره الوزارة لينهدم كل ما حاولا بناءه معاً ولكنه مع ذلك يحاول أن يتسلح بالأمل في مستقبل يراه أفضل ، وهكذا يكتب إلى نجيب باشا الهلالي فيقول:

سيدي صاحب المعالي

أشكر لمعاليتك هذين الكتابين الكريمين اللذين تلقيت أحدهما منذ أسابيع وتلقيت ثانيهما اليوم، وإني لأشعر بشئ كثير من الخجل لهذا الصمت الطويل الذي لزمته وكان من الحق عليّ أن اكتب إلى معاليك وأن أكثر الكتابة . وليس الذي منعي من ذلك كثرة العمل، فما كان العمل ليمنعني من أن أزدى واجبا عزيزا عليّ محببا إلى نفسي ، وهو واجب التحديث إليك ، وإنما منعي من الكتابة إليك ما نحن فيه من سوء الحال واضطراب الأمر وفساد الجو المعنوي . وأحب أن تفهم هذه الألفاظ على معانيها الحقيقية.

فلو كنت في مصر لرأيت الناس جميعا وقد سئموا الحياة، وضاقوا بها وغلبت الحدة على أخلاقهم وأمزجتهم، فهم سراع إلى الغضب والشك، يسيئون الظن في الحق وبالباطل . ولو كنت في مصر لرأيت ما أبرمناه في السنة الماضية ينقض في هذه السنة. فقد تحول معهد الآثار الإسلامية الذي تفضلت بإنشائه في السنة الماضية إلى وظيفة يكسب منها الكابتن كرسوبل، ثمهاته جنيه في السنة، واستغنى عن "تراس" و"موتى" لأن الدولة في حاجة إلى الاقتصاد. وعدلت الحكومة أيضا عما تفضلت بتقريره في السنة الماضية من وجوب العناية باللغات الحية لأن الدولة في حاجة إلى الاقتصاد ، وأنت تعرف معهد التمثيل وما أصابه، ونعرف أن الوزارة عدلت عما كنت قررت في السنة الماضية من قبول الفتيات في معهد التربية . فأما دخائل وزارة المعارف نفسها فلا أذكر لك عنه شيئا لأن حديثه طويل ثقيل،

كما أنى لا أذكر شيئا عن فساد الخلق فى وزارة المعارف وفى الجامعة نفسها، وتحول الناس إلى نوع من التجسس أقل ما يوصف به أنك لو شهدته لآذريت مواطنيك، ولملأت نفسك هم احتقارا، واستصغارا لهذا كله لم أكتب إليك لأنى أعرف أنك راض عن حياتك فى أوربا، ومن القسوة أن أنقص عليك هذا الرضى بأحاديثنا البغيضة وحياتنا المملة الثقيلة. وأنا أعرف أنك تقرأ الصحف وتفهم بين سطورها كثيراً من الأشياء، ولكن الصحف مهما تكن لا تصور حياتنا كما هى. ولعلى لا أغلو إذا أكدت لك أنى لم أر مصر فى يوم من الأيام سمجة بغيضة عملاً النفس ثورة وإشفاقاً فى وقت واحد كما أراها الآن...

(... ولكن أحب ألا تأس من أصدقائك، وأن تعتقد أن ما بدأت فى السنة الماضية إن وقف الآن فسيستأنف سيره غدا؟ وإن أصدقائك الذين وثقت بهم أكثر شجاعة وأعظم قوة من أن يأسوا أو يضعفوا أو يستكينوا، ولئن كرهنا فإننا لنبتسم للمستقبل، فكن مثلنا مجاً لمصر مشفقاً عليها واثقاً بسعادتها وبأن مستقبلها سيكون خيراً من حاضرها كما أن حاضرها خير من ماضيها".

بقارغ الصبر

ويكتب الهلالى باشا إلى طه حسين، وهى من المرات القليلة التى يكتب إليه فيها ليخبره بأحواله التى ساءت مع آلام الأسنان وآلام الأصدقاء الذين ظهروا على حقيقتهم، ويشير إلى بعض جهوده لاستخلاص حقوق طه حسين من مجلة الكاتب المصرى، التى استقال من رئاسة تحريرها بعد اتهامها بأن ممولها صهيانية، وتلك قصة أخرى. يقول الهلالى:

١٦ شارع الماريشال اللبى بمصطفى باشا بالرمل

أخى وعزى طه

وصلنى خطابك منذ مدة وقد عاقنى عن الرد عليك مرض شديد أصابنى فى الأسنان منذ شهر، وترتب عليه خراج كبير أتعبنى فتحه وما يزال المرض باقياً، وخلع الأسنان مستمراً بعضها فى إثر بعض.

وقد تأثرت بخطابك أيما تأثر ولكن أملى فى طه أن يصمد للأحزان والمشاق وأن يؤمن بأنه كان وسيكون دائماً عرضاً لهذا الزمن وأهله.

وإن سألتنى عن حالى فاعلم أنه لا يختلف عن حالك، فإنى أجتاز أزمة معنوية شديدة

الأثر في نفسي، وكم كنت أحب أن تكون بجوارى لتخفف عني بعض بلواى، ولتعينى فى أمرى . وإن أخوانك ليطمنون عليك كلما قرأوا لك فى الأهرام مقالات ممتعة يرقبونها بفارغ الصبر.

وأما من جهة المحامى ليتون. (محامى ريموند هرارى صاحب مجلة - الكاتب المصرى-) فلم يحضر إلى الآن خلافا للاتفاق ، وقد كتبت لرؤوف ليمر عليه بمصر ويستوضحه الحال، فإن لم يحضر فى القريب العاجل كتبت إلى الشركة من جديد مسجلا عليها ذلك وموعداً باتخاذ إجراء قضائى.

لعل مدام طه على ما أرجو صحة ومزاجا، كما أرجو أن تبلغها احترامى وتحتى. بلغ سلامى للسيد مؤنس وزدنى من أخباره كما أرجو أن تبلغ سلامى وتحتى للأستاذ فريد (سكرتير طه).

ودمت للمخلص

أحمد نجيب الهلالى

المتفقيرون

ويبدو أن ظروف طه حسين والهلالى فى تلك الفترة كانت متشابهة فى السوء ، ويحاول طه أن يلقي فى نفس صديقه روحا من الصبر من نفسه التى احتملت كثيراً من الآلام، مستعينا بآيات قرآنية، وأبيات شعرية، ومواقف تاريخية ، فيقول :

أخى العزيز:

"... وددت لو استطعت أن احتمل عنك ما لقيت وما تلقى من الجهد كله أو بعضه ولكن هيهات، ما أكثر ما نريد وما أقل ما نستطيع. وأنا أتمنى على الله أن تكون قد برئت من عنلك وظفرت بحظ وافر من راحة".

"وقد أنبأتنى أنك تلقى أزمة معنوية حادة ، فهون عليك ، فليس فى حياة الناس ما يستحق أن يعرضك لأزمة معنوية عسيرة أو يسيرة.

"واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون، إن الله مع الدين آمنوا والذين هم متقون". ولعلى قد رويت لك الآية على وجهها، والمصحف قريب منك فافقرأ الآية فى آخر سورة النحل إن شاء الله.

أما أنا فقد انتابتي غمرة من غمرات السخط والضيق كدت أفقد لها ما عودت الناس من صبر واحتمال، وأكبر الظن أن الأعصاب كانت مجهودة مكدودة، فتلقت هذه العوارض بشئ من الضعف.

وكان قائد من كبار قواد معاوية يربط بجيشه عند حدود الروم يغير ويغار عليه، وكان إذا دارت عليه دوائر الحرب أحيانا، لا يضعف ولا يهن، وإنما يقول:
الغمرات ثم ينجليه.

فقل مثله ولأقل أنا مثله أيضا: الغمرات ثم ينجليه.

أما زوجي فصامدة للحياة معينة على أحداثها مفرجة بعض كروبها معتدلة المزاج، ترى ولها الحق كل الحق فيما ترى أن الحياة قد أتاحت لنا خيرا كثيرا وامتحننا بقليل من شر، فلنعرف للأيام حسن بلائها عندنا، ولنجاهد حتى نكون أكفاء لما لقينا من الخير ولما احتملنا من الامتحان، والعاقبة للصابرين.

وأما مؤنس فقد أخطأه الحظ كما أخطأنا في هذا العام فأخفق في مسابقة الأجريجاسيون، (درجة علمية فرنسية تسبق الدكتوراه) لا في اللاتينية ولا في اليونانية، اللتين كان يخشاهما، ولكن في الفرنسية التي كان يطمئن إليها، ومن مأمته يؤتى الحذر، كما يقول المثل القديم. ولكنه والحمد لله فتي شجاع لم يضعف ولم يهن، وإنما قال كما يقول أبوه: الغمرات ثم ينجليه... " ... هذه جملة أخبارنا وهي كما ترى ليست مشرقة ولا متألقة، كما أن أخبارك ليست مشرقة ولا متألقة، وكما أن الدنيا كلها ليست مشرقة ولا متألقة. وقد لقيت كثيرا من الناس تختلف أجناسهم وطبقاتهم وصناعاتهم فلم أجد منهم رجلا واحدا مشرق النفس متألقة. والناس مع ذلك يمضون كما تعودوا أن يمضوا ساهين لاهين. فلنمض معهم كما تعودنا أن نمضى غير ساهين ولا لاهين، وإنما نعرف الحق ونحتمل أقاله، ونعرف الواجب وننهض بأعبائه ما وجدنا إلى ذلك سبيلا، فأما ما يكون بعد ذلك فعلمه عند الله وأمره إليه. وقرأ معي قول أبي تمام، ولا تسخر على طريقتك من فعل جاء فيه آخره السين بعد الراء المشددة، وتوشك أنت في بعض عبثك أن تجعل السين صادًا فتكون الكارثة. أما شعر أبي تمام فهو:

وركب كأطراف الأسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياها

لأمر عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

"... وإنى لأخشى أن أكون من الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهم: ألا

أخبركم بأبغضكم إلى وأبعدكم منى مجالسا يوم القيامة: الثرثارون المتفقهون"
وأنا أتمنى أن يجدك كتابى على أحسن ما أتمنى لك من راحة الجسم والقلب والعقل،
فأما راحة الضمير فحظك منها موفور.
وأنا أهدى إليك تحيتنا كأصدق ما تكون التحية، وودت لو أحملها بعض ما يهدى
النسيم إلينا من هذا الأريج الذى تستريح إليه الأجسام والنفوس جميعا.

طه حسين

خاص جدا

من سہیر القلماویٰ اِلٰی طہ حسین

بدأت علاقة سهير القلماوى بطه حسين بعد أزمة حادة مع العميد الإنجليزي لكلية العلوم فقد حكمت لى فى نوفمبر ١٩٨٨ فى حديث لم ينشر بعد ، كيف أن هذا العميد أطاح بأحلامها لدخول كلية الطب حيث كان من الضروري أن تقضى السنة التمهيدية للطب فى كلية العلوم ولما كانت سهير فتاة والفتيات ممنوعات من دخول الجامعة آنذاك فضلا عن أن شهادتها الثانوية لم تكن مصرية فقد كانت خريجة مدرسة الأمريكان الثانوية للبنات" - كلية رمسيس الآن - ورغم توسط سهير القلماوى لمدير الجامعة أحمد لطفى السيد الذى وعدها بعرض أمرها على مجلس الجامعة إلا أن عميد كلية العلوم هدد فى اجتماع المجلس بالاستقالة إذا وافقوا على قبولها فى كلية "العلوم" ، ولم يتخذ سهير من اليأس إلا أحد أقاربها الذى ذهب بها إلى طه حسين الذى اصطدم باللائحة التى تقول "يدخل كلية الآداب قسم اللغة العربية الحاصل على البكالوريا أو ما يعادلها" وكان لطفه حسين قدرة فائقة على تفسير النصوص واللوائح بمنطق مقبول ومعقول، فالحاصل على البكالوريا يدخل فيها الطالب والطالبة ، و"البكالوريا وما يعادلها" تنطبق على الثانوية التى حصلت عليها سهير من مدرسة أمريكية، وفى الوقت الذى دخلت به سهير من باب اللائحة بتفسير طه حسين فقد دخلت أيضا من باب المغامرة التى أقدم عليها طه بالاتفاق مع مدير الجامعة أحمد لطفى السيد، بالسماح بدخول الفتيات الجامعة من وراء ظهر الحكومة ومن وراء ظهر تقاليد المجتمع التى لا تسمح بذلك ، ليكتشف الجميع الحقيقة بينما فتيات الجامعة على أبواب التخرج، ولم تدخل قسم اللغة العربية فتاة بعد سهير القلماوى إلا بعد حصولها على الليسانس، وأثناء امتحانها فى الليسانس سأها طه حسين عن معنى كلمتى "الويل والثبور" .. فقالت له : إننى أستطيع أن أعرف معنى "الويل" أما كلمة "الثبور" فلا أعرفها. فقال لها ساخراً: لماذا يا هانم لا تعرفينها ألم تقرنى "ألف ليلة وليلة"؟! وطلب منها قراءتها وقال لها : إنها ستكون موضوع رسالتك للدكتوراة . وقد سافرت إلى فرنسا والمجلت للبحث والدراسة مع المستشرقين وفى المكتبات لجمع مادتها العلمية عن "ألف ليلة وليلة"، وفى أثناء رحلة البحث لم تقطع صلتها بطه حسين من خلال الرسائل التى كانت أسلوبا للحوار بين التلميذة وأستاذها من قبل سفرها وأثناء سفرها وبعد

عودتها من السفر .. وقبل الدخول إلى نشر هذه الرسائل ينبغي الإجابة عن سؤال أراه ضروريا وهاما وهو : كيف وصلتني هذه الرسائل؟

وقد تأخرت الإجابة على هذا السؤال بأكثر مما يجب خاصة بعد الضجة التي أثيرت حول^(١) كتابي "أوراق مجهولة للدكتور طه حسين" منذ حوالى سنتين والتي نشرت فيها لأول مرة خطابات متبادلة بين طه حسين والرئيس أنور السادات مما دعا إلى التساؤل : من أين للمؤلف بهذه الخطابات ، ثم تكرر السؤال مع ظهور كتابي "أيام العمر.. رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم"، وزادت حدة السؤال بعد نشرى للخطابات الخاصة بين النحاس باشا وطه حسين على صفحات مجلة الإذاعة والتلفزيون ، وترجع قصة حصولي على أوراق طه حسين إلى عدة سنوات مضت عندما تميت أن أعيش عصر طه حسين ، ولما كان ذلك مستحيلاً بحكم الواقع فقد رأيتة بمكنا بمعايشة تلاميذ طه حسين الذين التقيت بهم ليصوروا لى حياتهم معه، ومنهم "سهير القلماوى، ود. الزيات، وقبل التلاميذ كانت توجد أسرة طه حسين - حفيدتيه سوسن ومنى، وكانت "منى" هى التى تحتفظ بأوراق جدها طه حسين ورحت بي بعد أن اطلعت على مؤلفاتي لتعهد إلى بنشر تراث طه حسين ماعدا ما يسى إليه وأسرته، ويشمل هذا التراث العام منه والخاص حتى إيصالات الكهرباء ، وإيصالات تبرع طه حسين للجمعيات الخيرية ، والمجهود الحربى، ومعونة الشتاء، وعقود القصص التى تحولت إلى السينما، وكراسة محاضرات أهداها أحد تلامذة طه حسين إليه سجل فيها محاضرات أستاذه، هذا فضلا عن محاضرات أخرى مكملة لما نشر فى "الشعر الجاهلى"، وغيرها من الأوراق التى تصور حياة طه حسين كادق ما يكون التصوير، ولختار من أوراقه فى ذكره تحية له ولذكرى تلميذته، خطابات د. سهير القلماوى إليه"، وأهميتها تكمن من أنها تحكى تجربة أول فتاة مصرية تغادر الحدود من أجل بحث علمى، فضلا عن أنها من أولى الفتيات اللاتى دخلن الجامعة، وأول امرأة تحصل على الدكتوراة فى الآداب وأول أستاذة فى قسم اللغة العربية وأول رئيسة لهذا القسم، ليس هذا فقط بل ارتبطت التلميذة بالأستاذ بعلاقة اجتماعية فكان شاهدا على عقد زواجها، ولكن أهمية هذه الرسائل أيضا رغم لغتها العربية غير المحكمة وبساطتها التى لا ترقى إلى مستوى الرسائل الأدبية، تكمن فى أن نشرها الآن حسم جدلا ثار فى وقت قريب حول نوعية العلاقة بين طه حسين وتلميذته وهل تجاوزت تلك العلاقة مجرد كونها خطابات من تلميذة إلى أستاذه؟

سنترك الخطابات لتجيب على كل الأسئلة قطعاً للشك باليقين.

(١) "المصور" ٢٩ أكتوبر ١٩٩٩.

أقلدك

الرسالة الأولى قبل سفر سهير القلماوى وفيها تكشف عن صفة رأت أنها مشتركة بينها وبين أستاذها طه حسين وهى كتابة المحاضرات فى آخر لحظة! ذلك رغم أن د. سهير فى حديثها معى عن طه حسين تشيد بحرصه على مذاكرة محاضراته التى ألقاها كثيراً من قبل، وكان ينصحها "بإعادة قراءة المادة التى تحاضر فيها باستمرار على ضوء تغير القيم وما أنت فيه الآن فلا تدخل فى الدرس قبل التحضير له" ولا يمكن لصاحب هذه النظرة أن يكون من أنصار الذين يقومون بالتحضير لأعمالهم فى اللحظة الأخيرة وإلا ما كان طه حسين هو عميد الأدب العربى، على أية حال لنقرأ الرسالة المكتوبة بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٣٥ .

أستاذى العزيز

كنت أحب لك أن تقضى هذا الصيف فى راحة تامة لا يعكر صفوها كتاب تكتبه أو جواب تقرأه منى، ولكن أردت أن تتقى غضبى فكتبت، وأحببت أن أعلمك أنى لا يمكن أن أغضب من عمل كهذا فأجبت. وكيف أغضب وأنا أشد الناس كسلاً فى كتابة الخطابات وأنا أشد الناس تقديراً لأيام الراحة تلك التى يختطفها الإنسان خطفاً ويود فيها لو استراح من كل شئ حتى من نفسه إن استطاع.

تسألنى هل شق علىّ الصيف فى مصر وأى شئ لا يشق علىّ فى مصر وخاصة فى هذه الآونة التى تقوم فيها الأمم جميعاً وتقعده ونحن وزعمائنا كأنما فى دنيا أخرى . كأنما نتحدى العالم كله بلهونا وطمئنتنا .

أخاف أن أكتب مثلك فصلاً أدبياً، وأنا أحب أن أوفر جهدى لأكتب الآن محاضرة للراديو طال عليها التأخير، فلعل أكثر ما أقلدك فيه وأتقن تقليده هو كتابة المحاضرات والفصول فى آخر معاد بل فى آخر لحظة.

لنا حديث سيطول بلاشك عن الجامعة والأدب ، أرجته إلى أن تعود، وأما الآن فأرجو أن ترفع احترامى وسلامى إلى السيدة الجليلة وإلى "جيجيت وكلود" وأن تقبل منى ومن الدتى وأخى وراجية وخالى سامى أخلص تحية وأصدق احترام. وإلى اللقاء القريب إن شاء الله.

سهير القلماوى

بكل صراحة

وحينما تسافر سهير القلماوى إلى باريس يصيها الضجر وتتجمل العودة، وسوف يتكرر ذلك المعنى فى معظم رسائلها بعد ذلك، رغم أنها كانت تتجمل البعثة وطه حسين يردها عنها بعد حصولها على الليسانس لكى تستكمل أدوات البحث حين حصولها على الماجستير فى "أدب الخوارج" بتوجيه من طه حسين على وعد منه أن تذهب بعدها إلى فرنسا لمدة أربع سنوات، ولكنها لم تمكث إلا ستين بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية التى اضطرتها للعودة مما اتفق مع رغبتها فى العودة سريعاً، تقول سهير القلماوى من:

باريس فى ٥ إبريل ١٩٣٨

أستاذى الكريم

لنا زمن لم نلتق على صفحات خطاب، فىأتى ما هى أخبارك وكيف حالك وحال أسرته التى أرجو لك ولها كل السعادة والصحة.

كنت أعزم كثيراً على أن أكتب إليك ولكنى كنت أقول دائماً وأبدياً سأخبره به ؟ وما أحسن أن يسكت المرء عندما يجد أن الكلام سيكون معاداً مكرراً. كنت أريد على الأقل أن أطمئن على أخبارك ولكن الوسيلة الوحيدة لذلك فيما تعلمت أخيراً أن أسأل الغير عنها فيجيب .

سأسافر غداً صباحاً إلى بروكسل ومنها إلى برلين لقضاء عشرة أيام ثم أعود إلى باريس آخر هذا الشهر . وسرى من ذلك مبلغ تقدم تلميذتك فى مسألة الأسفار، فقد كنت أحجم منذ شهر عن السفر إلى بلد أعرف لفته فيها أنا ذا أقدم على السفر إلى بلد أجهل لغتها، ولا تصحبنى إلا صديقة لى، بثينة الغمراوى، تعتمد على أكثر مما اعتمد عليها بل الواقع أنها معتمدة على تماماً. فما رأيك فى كل هذا التقدم يا ترى وهلا أحسست أنك فى لما أنا إلا تلميذتك.

أرجو أن تكون أعمال آخر العام وكثيرتها وتنوعها غير مرهقة لك ولا متعبة كل وقتك. كما أرجو أن تنتهى منها عاجلاً حتى تتمكن من الحجى إلى باريس فى أوائل الصيف أو أواخره لست أدري لأنى أريد أن أراك فى باريس عند وصولك إليها ولست أعرف موعد مجيئك وأكبر ظنى أنك لا تعرف أنت أيضاً.

لم أتعود أن أطلب منك شيئا كتابة ولكن ما السبيل وبيننا بحر وسفر أيام. أحب أن أفصل من البعثة في أوائل يونيو وأن يلتحق نجيب بها من الصيف حتى يتمكن هو من الخى هنا صيفا فيعتاد الطقس والأهل واللغة ويبدأ عمله أول العام غير محتمل لكل هذه المشاق فهل لي أن أطمع في هذا. إذا كان لابد أن أبين الأسباب فهي بكل صراحة أنى لا أريد البقاء هنا أكثر من آخر سبتمبر وليس هناك أى داع أن أظل محسوبة على العثة صيفا دون أى عمل ما دمت سأعود متى بدأ العمل إلى مصر. أليس هذا عدلا وحقا. فإذا اردت أسبابا أكثر إقناعا إداريا فإن الأستاذ "دى منيين" الذى جئت من أجله أولا مريض فد اعتزل العمل في السوربون وهو لا يقوى على أى عمل ولا أجرؤ أن أطلب منه أى مساعدة لأنه لا يستطيعها لا لمرضه فحسب بل لبعده عما أنا فيه كما أسلفت لك.

كلى أمل أن أراك في الصيف فتحدث طويلا عما أريد حقا أن أكلمك فيه فهل يا ترى ستسمح لنا الظروف بذلك. أرجو ذلك كما أرجوك أن تقبل منى احترامى وإحلاصى وأن تبلغ السيدة الكريمة حى وودى وأن تبلغ كريمك أطيب تمنياتى لهما أن يهبهما الله السعادة والصحة أولا وأن ينجحا في امتحاناتهما أشرف نجاح وأحسنه ثانيا. تلميذتك

سهير القلماوى

التفاهم بلغتين

ومن لندن كتبت إلى طه حسين تتحدث عن الصعوبات التى لاقتها هناك فتقول:

لندن في ١٨ أغسطس ١٩٣٨

أستاذى الكريم:

وصلت أول أمس إلى اكسفورد بعد أن قضيت بها نحواً من أسبوع أرى كلياتها ومكاتبها وأبحث عن ألف ليلة وليلة في مكتبة "البودليان" أتريد أن تعرف أثر هذه الرحلة في نفسى إذا (هكذا كتبت كلمة إذن) فاسمع. المكتبة في منتهى القدم والبلى و... أطس أنى لا أجد الكلمة التى تعبر عما شاهدته بها من عنكبوت ، وغرفة المطالعة توحى الموت أكثر مما توحى أى شئ آخر. على كل حال لم أجد بها أكثر مما كنت أنتظر.

وبدأت أمس المرور على ما فى مكتبة المتحف البريطانى وكان أول وجهه مألوف رأينه

هناك وجه الكابتن "كرسويل" وقد جلس أمامي ينظر إلى كالأرنب الخائف لأنه فيما يظهر قد صور له ذكاؤه أنه رأى من قبل وإلى الآن لم أجد في فهارس المتحف من الكتب المطبوعة أكثر مما رأيت في مكتبة اللغات الشرقية هنا، أما المخطوطات فعبارة عن نسخ حديثة نسبياً من ألف ليلة وليلة . وكفى الله المؤمنين القتال.

كل الذي يعزيني في أمر هذا البحث أني أعمل قدر المستطاع واجبا قد ألقى عليّ وقبلته لأسباب أخرى.

ترى إلى أين وصلت أنت في أبي العلاء وماذا كان من أثره فيك. أرجو ألا يكون قد بلغ بك الإذعان لأمر القدر إلى درجة أنك لا تريد أن تراني لأنني سأذيع محاضرة يوم الثلاثاء ٢٣ أغسطس ثم أسافر بعدها في أقرب فرصة إلى باريس لأراك رغم حرصك على أن أمضي عتدي مع محطة الإذاعة.

هل لي أن أطمع في أنك ترسل لي عنوانك في باريس في أقرب فرصة أم أني إذا سألت عنك في بك مصر أصل إليك في سهولة.

إلى لقاء قريب إنشاء الله وأرجو أن ترفع احترامي وودي إلى السيدة الفاضلة وأن تهدي ولدك أركي سلامي.

مع أطيب تمنياتي وأخلص ودي

سهر القلماوى

وفي رحلة العودة إلى باريس عن طريق البحر تكتب عن رفقاء الرحلة المزعجين ما بين مستظرف ومستخف لدمه فتكتب:

الاثنين ظهراً ٣٨/١٢/١٢

أستاذى العزيز

أنتهز هذه الفرصة فرصة هدوء البحر قرب برنديزى لأكتب لك فمن يدري ما الذى ينويه هذا البحر بعد ساعة.

إنه لم يهدأ إلا ساعات محدودات ، وأمس (الأحد) من الساعة الثالثة ظهراً إلى نحو نصف الليل كان في غاية الفظاعة . كل العزاء أنه لم يبق إلا يوم أو أقل قليلاً وتنتهى رحلة البحر، أما رحلة البر فلست أدري ماذا تخبئ لي ، على كل حال "ربنا موجود".

سأصل إنشاء (هكذا كتبت: إن شاء) الله إلى فينيسيا غدا ظهراً (الثلاثاء) وسأخذ أول قطار إلى باريس والظاهر أنه سيكون الساعة السابعة والنصف مساءً، وعلى ذلك فعندي سبع ساعات أرى فيها فينيسيا وهي أحسن من لا شيء.

المركب أنت أدري بها . وأما أهلها فهم قلة من مختلف الأصناف . وكانت تجلس معي على مائدة الطعام سيده أرمنية تعيش في طهران وهي متزوجة من فرنسا، وهي في طريقها إلى روما لتشهد حفلات الأعياد فيها، وستسافر إلى باريس في أواخر يناير.

وقد تواعدنا على اللقاء بها ولست أعرف إن كان البحر يحو وعود البحر ؟ على أى حال جبداً لو فعل لى وها . وكان من أيدى هذه السيدة البيضاء على أنها عرفتنى بشاب عراقى يسير فى نفس الطريق الذى سأخذه فقالت ليكون رفيقاً لك فى السفر . كدت أقول لها : أن أسافر وحدى خير لى . ولكن الشاب كان واقفاً أمامى متظرفاً إلى أقصى حد . عسى أن يكون فى فينيسيا متسعاً للخلاص من رفقاء السفر . أكبر الظن أنه سيكون ميسوراً . وهذا شامى مسافر إلى "ليون" يستخف نفسه ودمه إلى أقصى حد، والظاهر أنه تاجر وقد انضم إلينا لأنه يعرف هذه السيدة الأرمنية من أين لست أدري .

أهم صديقة لى على ظهر هذه الباخرة هى خادمة الغرفة . ألمانية فيها كثير من غفلة الألمان وبساطتهم . ولما كنت فى فراشى يومين متتالين فقد كانت تأتى لتسأل عنى ولتغرينى بالطعام مدعية أنه أحسن دواء لمرض البحر، وهى تتكلم قليلاً من الإنجليزية وأقل من ذلك من الفرنسية، فباللغتين مجتمعتين تفاهم تفاهماً تاماً.

مالك وهذه "الدوشة" ! إن هى إلا نماذج مما يمر على فى حياة البحر لعل فيها شيئاً يعجبك، والآن إلى اللقاء فى خطاب طويل من باريس إنشاء الله . أملئ أن يصلك هذا وأنت فى أتم صحة وأوفر سعادة وسلامى وتحياتى أرفعها إلى السيدة الكريمة وإلى أمينة وكلود.

سهير القلماوى

لست أفهم الديوانى

وتواصل سهير القلماوى حديثها إلى أستاذها طه حسين عن بعض متاعبها فى البعثة، وتؤكد نظرتها التى لازمتها طوال حياتها عن عدم اعترافها بشئ اسمه المرأة والرجل فالكل سواسية وكلاهما إنسان ، ولذلك تنظر بسخف إلى سخافة كتاب عن "حركة النهضة النسائية" تقول فى خطابها:

الثلاثاء ٢٠/١٢/١٩٣٨

أستاذى الكريم

أكتب لك هذا من تريانون حيث كان ينزل الأستاذ أحمد أمين هذا الصيف. وقد جئت إليه مؤقنا حتى أتفق مع السيدة التى كنت عندها ولكن البرد القاسى متعنى من أن أغادر غرفتى وأخيرا كلمتها اليوم بالتليفون واتفقنا على "العزال" غداً . وفقنا الله .

كان أمس واليوم من أفظع ما رأيت من البرد فالحرارة نحو ١٥ أو ١٨ درجة تحت الصفر والهواء قاس يلفح الوجه ويكاد يدميه حقا لا خيالا كما كان يقول شعراء العرب ، وعلى ذلك قررت عدم الخروج من الغرفة إطلاقا مهما يكن السبب، وكان المسيو مرسية أعطاني كتابا قال عنه إنه سخيف وهو فعلا سخيف عن "حركة النهضة النسائية" لأستاذ اسمه أو اسمها "أوليزيو" وها أنا قابعة جنب المدفأة أقرأ وأقرأ.

محاضرات المسيو مرسية (وقد حضرت منها أربعا إلى الآن) عبارة عن تابلوهات صور للمرأة فى ألف ليلة ، فصورة للعجوز فى "ألف ليلة" وأخرى للفتاة فيها وثلاثة للأُم وهكذا ، وهو يستعين بالنصوص كثيرا لرسم هذه الصور بالطبع. لا أستطيع أن أحكم إلى الآن ولكن الظاهر أنها ستكون مسلية إن لم تكن مفيدة. وقد كلفنى أن ألقى درساً عن الأخت فى ألف ليلة محتجا بأنى قرأت فى الموضوع أكثر منه، وبعد أخذ ورد لأنى كنت أوتر أن أوفر هذا الوقت لبحثى الشخصى قبلت هذا العرض على أن يكون بعد العيد على الأقل إن لم يكن بعد ذلك أيضا.

أما محاضرات الأدب المقارن فقد شاء الحظ السعيد أن يظهر فى صدرها متجليا كعادته فإذا المسيو "كاريه" مريض لست أدرى بأى شئ ، والذى يدرس مكان أستاذ (.....) أهيب مجطى السعيد أن ينزوى قليلا فى هذا الموضوع عسى أن يكون الأستاذ عظيما.

لم أعمل أكثر من أن حضرت دروس المسيو مرسية يومى الجمعة والسبت. وقد ذهبت أمس صباحا إلى الديوانى بك لأسلم عليه ولأعطيه شهادتى: الماجستير التائهة بعد أن أحضرتها معى من مصر كى يرسلها إلخاقا بطلب كنت قدمته إلى السوربون أن يسمحوا لى بتقديم الدكتوراه دون الحصول على شهادات فرنسية. والطلب قدم فى مارس الماضى والرد إلى الآن لا أعرف أين هو ولا ما هو . لقد وعدنى الديوانى بك خيرا فى صدره وهو إن يكن غير مهم إطلاقا إلا أنه شكل لابد أن يستكمل ، وكنت أحب أن أفرغ منه.

وكان الديوانى بك معى فى منتهى الظرف إلا أنه استاء فجأة لما علم أنى لم أمر على

إدارة البعثات ... " ولو مرة واحدة . ولما قلت له أنه ليس لي أى عمل هناك قال لا . كان يجب على الأقل أن نسوى حسابك معهم قبل مجيئك فقلت له إن الحساب يسوى فى أى وقت . وعلى أى حال فقال : وماذا قال الدكتور طه ؟ فقلت : وما شأن الدكتور طه فى الموضوع . إن كان هناك خطأ فأنا التى أخطأت وأنا مستعدة لتحمل مسئولية هذا الخطأ مهما تكن . فإذا هو فجة أمام حماسى التى لا أرى الآن لها أى سبب ، فإذا هو يتفجر ظرفاً قاتلاً : لا لا المسألة أبسط من هذا . كدت أقول ولما هى أبسط من هذا ففيم إذن كان كل هذا الاستياء . على كل حال لست أفهم الدكتور الديوانى إلى الآن وأكبر ظنى أنى لن أفهمه . وهذه المسألة فى نظرى أنا أيضا أبسط من كل هذا .
عسى ألا تكون مرهقا وأن تكون صحتك وأخبارك كلها فرح وسعادة . سلامى إلى
أسرتك الكريمة .

سهير

فلتغفر لى

وتحدث سهير القلماوى عن متاعبها فى المسكن وتراها "تجربة مضحكة" ، وتتاول رحلتها مع أساتذتها الفرنسيين وتشير إلى كتاب بالفرنسية أراد طه حسين أن يكتب مثله عنه أو عن أسرته باللغة العربية، والفاصيل فى رسالتها التى كتبها من باريس فى :

٣١ يناير ١٩٣٩

أستاذى الكريم

أبدأ بتهنئتك بالعيد . فهذا أول يوم له عندنا ولست أعرف ماذا يكون عندكم لأن أهلى كتبوا لى أنه أمس . على أية حال هذا لا يخفف شيئا من حرارة التهنة والدعوات لك بما أنت به أعرف .

أما بعد .. فلك أن تضحك منى ما شئت فى هذا الخطاب لأنى مررت الأسبوع الماضى بتجربة مضحكة أغاظنى فى أول الأمر وأضحكنى آخره . فقد طفت الحى اللاتينى وما حوله من أحياء أربعة بجنا عن أسرة تاوى الذين لا مأوى لهم فى باريس، وبعد بحث أسبوع وتجريات وأسئلة وفقت إلى أسرة كل ظاهرها مفر جميل، وحزمت المتاع ونزلت فى الأسرة العزيزة، وإذا أنا لا أطيقها أكثر من أسبوع وإذا أنا أحزم أمتعى من جديد وإلى الفندق ثانية . وكانت غرفتى أجرت بالطبع أثناء الرحلة السعيدة، وها أنا ذى فى غرفة مؤقتة من هذا

الجنح حتى تفرغ إلى غرفة من الجنح الآخر حيث الهدوء والاستقرار . لست أقص عليك شيئاً من ضوضاء الأسرة واقتصادها الشديد في التدفئة والأكل وحتى الماء. ولكن يكفي أن تعرف أنني أثناء "المعينة" وجدت ساحة واسعة تحت نافذتي أو شرفتي ففرحت بها لأنها تسير الغرفة بينما هي بعيدة عن ضوضاء الشارع . أتعرف ماذا انتهت إليه هذه الساحة - هي لأربع مدارس مقسمة أربعة أقسام، و"الفسح" بين الدروس فيها لا تنقضي من الثامنة صباحاً إلى الرابعة بعد الظهر.

وفي حماس "العرف" ذهبت إلى الديوانى بك ورجوته أن يجد لي حلاً في مسألة السكن، فوجد أن يعلن في الجرائد عن هذا . فطبعاً لم أستطع إلا أن استبشر خيراً وأشكره.

ولقد حبيب إلى الديوانى بك سكن الجنح الثاني من "تريانون" فهو كبنسيون تماماً لأن الأكل في مطعم الفندق، ولأن الغرف فيه معدة حقاً للتلمذة والكتب والقراءة، ولكن لازلت أفضل الأسرة ولازلت مصممة على البحث وإن يكن في شئ من الهدوء بعد خيبة الأمل هذه وخوفاً من ضياع وقتي لأني سأعود إنشاء الله وشئت أنت في يونيو إلى مصر.

ذهبت لزيارة الأستاذ دى مونييه في منزله لأجده اعتزل العمل في السوربون وهو في "المعاش" الآن، وحصل أن تم التفاهم المدهش بيننا وتبادل الإعجاب بالطبع، وحصل أن تنازل وأمضى لي الموافقة على موضوعي الرسالة، وهو سعيد جداً بمعاونتي وبأن تكون مكتبته تحت تصرفي إلخ.

(...) أما الموضوع الأول فهو موضوعات ألف ليلة وليلة، وأما الثاني فهو مخطوط "جاتلا نوفر"، والرائع حقاً أنه كالمرّة السابقة لا يفهم ماذا أريد بالموضوع الثاني ولكن أمضى الموافقة "لأنه تعود أن يفهم مني ما لا يبدو للعين ظاهراً من أول مرة" أليس هذا فضل من الله كما قلت لك . وعلى ذلك أصبح عندنا الإذن الذى يسجل أنى جئت إلى فرنسا واشتغلت.

أما محاضرة الأستاذ "مرسييه" فقد ألقيتها بالفرنسية إكراماً لك أنت لأنك قلت لي على لسان "راجية" في المرّة السابقة لما ألقىت درساً عند الأستاذ "ماسينيون" إنك كنت تود أن يكون بالفرنسية . ولست أذكر لك المدح الذى كان، فقد كان أكثره تورطاً وذوقاً. تصور أنه يمدح فرنسي ثم حاول بعدها أن يقنعني بشئ مما قاله عن البحث نفسه.

أقرأ الآن كتاباً اسمه "منزل" Une maison لمؤلفته M. vivan "فيفان" فهل هذا هو الكتاب الذى كنت أشرت إليه مرّة أثناء حديث لنا في باريس. إن لم يكن هو فهل لي أن أطلب إليك أن تذكر لي اسم هذا الكتاب الذى وصفت فيه مؤلفته أسرة تريد أن يكتب

عنك أو عن أسرتك مثله، لست أستطيع تحديداً أكثر من هذا لأن هذا هو كل الذى قلته عنه، ولى طلب آخر عندك فأنت تعرف أنك أنت الذى تطمئنى فى كل ما أتقل فيه عليك. وذلك أن مختار الغمراوى الشاب المتخرج من القسم الفرنسى عندنا من كلية الآداب والذى حدثتك عنه مرة أنه يريد أن يعمل الماجستير ويريد أن يكون أقرب ما يكون إلى الكلية ، والذى قلت لى فيما أذكر أنك تفضل أن تسعى له فى بعثة فرنسية فى باريس، من الوزارة ، لقد كتب لى يرجونى أن أذكرك به، وأن هناك فى المكتبة فيما يقول وظيفة خالية يرجو أن ينقل إليها حتى يتمكن من الاتصال بالأساتذة والكتب لعمل رسالته.

أردت بكل حديثى السابق أن أبعثك عن كلية الآداب فقد عرفت من أخبار إضرابها ما ضايقتنى من أجلك وها أنا ذى أتورط فى الكلام عنها فأرجو أن تنسى ما قلت إن ضايقتك منه شئ.

وصلنى اليوم العدد الثالث والرابع من مجلة "الثقافة" فلم أجد لك فى الرابع مقالاً فعسى أن يكون المانع "كالمعتاد" انشغالا عن الأهم بالمهم".

(وبعد أن تذكر د. سهير القلماوى عدداً من الأساتذة الذين يدرسون لها، تلفت نظرنا إلى أنه ليس كل ما هو أجنبي مفيد وليس كل أستاذ "خواجه" ينبغي أن نتعلم منه فتذكر أن الأستاذ "هنرى هيان" هو الوحيد الذى يفيد فى درسه أما الأستاذ "فان تويكان" فهو ملخص لما فى الكتب لا أكثر ولا أقل ، فالأفضل أن أقرأ نفس هذه الكتب فى الأدب الإيطالى والأسباني وآثارهما "فيما أظن"، المعروفة فى فرنسا أو التى عرفت على الأصح".

وتحتم رسالتها إلى طه حسين "لقد صدعت رأسك فيما أرى إذ وجدتنى فرغت من أربع صفحات فلتغفر لى هذا، ولأختم ختاماً بدء الساعة الحادية عشرة مساء. لك إخلاصى وتحياتى وسلامى إلى ابنك واحترامى إلى السيدة الكريمة

سهير القلماوى

أقاوم بينى وبينى نفسى

وفى خطابها القادم يبدو تلمل سهير القلماوى من بعثتها، واضحا، بينما هى تحاول التخفيف عن زميلتها فى البعثة ، فى الوقت الذى تكنم فيه آلامها ، فهى تنصح زميلتها وهى أولى بالنصح بالصبر والاحتمال، تقول فى خطاب ٢٧ فبراير ١٩٣٩:

لست أعرف ما للشياطين ومالنا فهي ساعة تخطف خطابتك إلى ، وأخرى تخطف خطاباتي إليك. ولعل في الأمر شيئا أجمل مما كنت أقدر، لقد كنت أقرأ في كتاب عن "الفوكلور في الإنجيل" (لعلها تقصد الفولكلور) وكنت وصلت إلى نقطة ممتعة وهي البحث عن الشجرة التي أكل منها آدم أكانت شجرة الخلد أم شجرة الحكمة، والحية التي أخرجت آدم من الجنة ماذا كانت مهمتها وكيف تظهر في الفوكلور عند بعض القبائل على أنها كانت مكلفة بتبليغ آدم سر الخلود وكيف احتفظت به لنفسها . بينما كنت غارقة في هذا إذا بخطاب من الست راجية تقول فيه أثناء الثرثرة التي لا يباريها فيها أحد والتي تسمح لها بكتابة صفحات عن أتفه شئ ثم تنسى أهم شئ وهو إخباري عن صحة والدتي إذا بسى أجد وسط هذه الثرثرة خيرا هاما وهو أنى لم أكتب إليك أشكرك على كتابك الذى أرسلته إلى ففجعت ثم شككت وأخيراً تأكدت من أنى كتبت لك ساعة استلامي الكتاب أشكرك وأخبرك أنى سأبعث إليك بنقد طويل، وكان هذا بالطبع قبل أن أقرأه، وأذكر أنى شكرتك فى نفس الخطاب على خطابك الوحيد (إلى الآن) الذى وصلنى. ثم كتبت إليك بعد ذلك خطابا آخر على الأقل إن لم يكن خطابين. فهل فى مصالح البريد حيات كحية آدم لا يحتفظن بسر الخلود وإنما بعد مضى هذه القرون أصبحن يقنعن بحفظ خطاباتي لأنفسهن؟

ومع ذلك فلأسجل لك شكرى مضاعفا لا على إرسال الكتاب فحسب ولكن على ما جنيت من ساعات أنفقتها فى قرائته. ولعل حيات البريد تقنع بخطابى الأول وتعف عن هذا حتى يصل إليك.

لعلك قد أخذت فكرة ما عما أنا غارقة فيه هذه الأيام. بحار واسعة لا نهاية لها عن تافهات لذيدة إلى حد بعيد ولو أنى لا أريد أن أضيع فيها. وأمامى الآن بحث فى المجلة الآسيوية أعطاه لى الأستاذ مرسية لأقرأه وعنوانه "هل الواك. الواك هى اليابان؟" ، والأستاذ مرسية يورطنى لا فى القراءة فقط ولكن فى استجداء الكتب أو التقارير الصغيرة من أصحابها، فقد حرصنى أن أكتب للأستاذ "كانار" الأستاذ بجامعة المغرب لأطلب منه بعض مقالات نشرت له على حدة، وأصبح من المتعذر أن أجدها فى المكاتب لأنها نشرت فى تقارير مؤتمرات ومجلات محلية" (وبعد أن تتحدث سهر القلماوى عن بعض المبعوثين وأحوالهم فى عجالة تتوقف عند ابنة أحمد أمين المفكر والمؤرخ الإسلامى المعروف صاحب موسوعة "فجر الإسلام"). تقول سهر القلماوى "وأما ابنة الأستاذ أحمد فهى مشكلة أيضا لأن كل شئ قد حللته لها إلا السكن وهو الأهم فقد مكنت عند أسرة وجدناها خير ما عندنا

بعد البحث ولكنها بعد يومين عادت لنا وطلبت أن ننقل لها "عزائها" . وكم من مرة تشور العاصفة للرجوع إلى مصر ثم يهدأ البحر في سينما أو متجر أو حتى في الهواء الطلق. والآن فقط عدت من إحدى هذه الفورات .

ولكن فيها من الأستاذ أحمد أمين الشئ الكثير، ولذلك أحببتها وعملت وأرحو أن أستمع وأعمل وأن أنجح في أن أحب إليها الإقامة في أسرع وقت في الأسبوع القادم أو الذي يليه لأن ثورات العودة إلى مصر خفت كثيرا جدا في الكم والكيف كما يقول والدها. كانت صديقتي بثينة الغمراوى في حالة نفسية عسيرة من يومين وذلك لتقرير الأطباء بأنها لا بد أن تعمل "ابنديست" (الزائدة الدودية) فرأيت أن أرفه عنها بأن ذهبت معها إلى "باليه رويال" ورأينا معا رواية ظريفة جدا فلححت في أن ترفه عنها كثيرا. واسم الرواية "أدر كيني" ، وأنت أدرى بكل ما يضحك هناك وبنوع هذه الروايات.

وأما أنا فقد أكون أحوج الجميع إلى من يرفه عنى في هذه الحياة الجامدة الباردة التي أحيائها ، ولكن لعل الألم النفساني إذا ازداد كبت بعضه بعضا وإنى لأضحك من نفسى كثيرا أثناء إلقاء المحاضرات لفاطمة أمين عن الحياة وكيف يجب أن نلقاها وعن طفولة التفكير في العودة إلى مصر ، بينما أقاوم بينى وبين نفسى هذا الإحساس وهذه الرغبة عشرات المرات كل يوم، ولعلها تجد في العودة إلى مصر فرجا ولكنى لا أرى فيها إلا تغييراً لظاهر أمور الحياة ، وأما الحقيقة فليس الخلاص منها في أى مكان . لست أحب أن أسترسل في هذا الكلام بالفرار من الكلام عن نفسى. فلأختتم خطابى إليك كما ختمته مرات من قبل لأبعث إليك بأشواقى وإخلاصى.

سهير القلماوى

كدت أجن

وبعد شكوى سهير القلماوى من ضياع بعض خطاباتنا إلى طه حسين متهمه الشياطين تارة بخطفها، ومتهمه حية آدم بخطفها مرة أخرى تعود في الرسالة التالية لترسم في صدرها مربعا به أرقام لا معنى لها أسمتها الطلسم الذى تؤمن به وصول رسائلها إلى طه حسين ، ثم تتحدث عن أحوال بعض تلاميذ طه حسين وكيف يواجهون الأنباء التى تنذر باندلاع الحرب. فتكتب من : باريس ٢٦ إبريل ١٩٣٩.

أستاذى

وهكذا يزين الطلسم خطاباتنا كما تزين خطابات الملوك شاراتهم فتصبح مراسلتنا فى مآمن من الشياطين.

لى شهران تقريبا لم أكتب لك فيهما مع أنى انتويت الكتابة مرات فى مناسبات عدة ولكن كنت أشفق عليك مما أنت فيه من مشاغل وأقول لنفسى ماذا عندك من جديد تقولينه فلا أجد شيئا فأتشجع بذلك على الصمت

انتهت دروس الأستاذ مرسية منذ أوائل هذا الشهر وقد ذهب إلى جنوب فرنسا ولن يعود قبل منتصف يونيه فيمكث نحواً من عشرين يوماً فى باريس قبل أن يسافر فى أجازته. ولذلك ربما قابلته فى يونيه قبل عودتى إلى مصر وربما عرضت عليه مشروع رسالتى أو مواضع رسالتى على الأصح لعل له فيها رأياً وإن كنت إلى الآن لا أعرف من أمر هذا المشروع شيئاً.

لقد قلت لك عن الموضوع الذى اتفقت عليه مع الأستاذ دى منيين وفى ظل هذا الموضوع العام سأضع مشروع المواضع التفصيلية . هذا طبعاً لا شأن له جدياً فيما أعمل معك فى مصر لأن الموضوع الذى أخرته مع الأستاذ دى منيين وما سأعرضه على الأستاذ مرسية ليس إلا ناحية من الموضوع العام قد أعمل فيها فى المستقبل إذ لا قدر الله واضطرت أن أتقدم هنا لشهادة وهذا ما أستبعده ولكنى أعمل هذا لأنه لا يمكنى أن اشتغل مع هؤلاء الأساتذة إلا على أساس هذه الفكرة. فلأسر فيها إلى أن يمن الله علينا بالفرح. وليس هذا السير ضاراً فى شئ بل هو نفع كله إنشاء الله.

ماذا تركت عندك أبناء الحرب من آثار؟

كم كنت أود أن تكون هنا لترى عجبا فى شخصيات تلاميذك من جراء إشاعات الحرب. كم هم مضحكون حقاً فيما يفكرون فيه وفيما يضطربون من أجله . على أية حال لقد هدأ الموقف قليلاً وأظن أنك مقدم على السفر إلى فرنسا كما دلتك هذا العام أيضاً. أما أنا فمن يدرى أين أكون إذ ذاك.

من أخبارى الهامة هذه الأيام مشكلة ضرر العقل وما يستتبعه من حالات . فقد كدت أجن منه نحواً من شهر، وأخيراً ثارت الشجاعة التركيبية الكيمية فى "قلعته" من أسبوع. ولست أحدثك عن الآلام بعد هذه العملية الجراحية الخطيرة وإنما يكفى أن أخبرك أنها ألزمتنى القراش أسبوعاً ولا ينتظر أن أكون فى حالة جيدة قبل أسبوع آخر أو أقل قليلاً.

وأما المزاج الشريف فقد لطف الله بمن حولى وأنزل عليهم من العطف والحب كمية وفيرة جعلتهم يحتملون هياجى وتوتر أعصابى.

وصلتني من جمعية "الفوكلور" فى إنجلترا نشرة عما ينشرون من "مجلات" وكتب ، ومن هذه الكتب ما هو طريف ففكرت أن أطلب منك أن تفكر فى أن تشتري مكتبة الجامعة شيئا من هذه المؤلفات وأن تشترك فى مجلة الجمعية . لأنى لن أستطيع أنا إلا الاشتراك فقط وهذا بالطبع ما يسمح به الجيب المتواضع الذى تأثر أيضا بتأثر بنصائحك الكريمة للست الوالدة فى العام الماضى. ولكن لا تخشى شيئا فإننا لم نفقد إلا اليسير من الأثر، وستشتغل الأساليب "إياها" منذ الشهر القادم إنشاء الله.

وصلتني أخبار أن أمينة ستقوم بتمثيل رواية فى الأوبرا فى حفلة الكلية فإن تكن الأخبار صحيحة، فماذا كانت يا ترى؟

كم آسف أنى لم تنح لى فرصة رؤيتها . أرجو أن تكون راضية عن نفسها بعد التمثيل وأرجو أن تكون أنت راضيا أيضا وإن كان هذا الرجاء الأخير أصعب.

أظن أنه قد آن لى أن أقدر ما أنت فيه من عمل وأختم خطابى برجائى أن ترفع لى السيدة الكريمة تحيتى وسلامى وأن تقبل منى إخلاصى وحبى، ودعواتى أن تكون أمينة وأن يكون كلود فى أتم صحة. وأوفر هناء.

سهير القلماوى

مضحكات مؤلمة

ولا تزال سهير القلماوى طالبة البعثة تردد رغبتها فى العودة إلى مصر لا فى أجازة بل العودة الدائمة، وكيف أن رسالة الدكتوراة بالنسبة لها كانت فى البداية تسلية، ثم صارت واجبا، فتكتب من باريس فى ٧ مايو ١٩٣٩:

أستاذى الكريم

لست أعرف فىم أنت غارق هذه الأيام ولكنى أعرف أن خطابى سيكون على أية حال نغما غير الذى تسمعه حولك وسيكون نوعا من التغيير.

كانت ظروفى فى العمل هذا العام على غير ما كنت أتمنى فقد شغلنى الأستاذ مرسىيه أكثر مما قدرت وشغلت شواغل أخرى أنت أعلم بها، وأعلم بأنى لا أحب أن أذكرها ، ثم

جاء ضرس العقل فكان مسك الختام كما يقال فى ألف ليلة، ولذلك تجدىنى هذه الأيام
أحاول تعويض ما فات بكل ما أستطيع لعلى أظفر بشئ لا يفضبك حين أعرض عليك ما
طلبت منى وما أنجزت من هذا المطلوب.

أشار علىّ الدكتور الديوانى بك من يومين كما أشار على كل أعضاء البعثة أن نرسل
إليه طلبا أن تسمح لنا الوزارة بقضاء جزء من أجازة الصيف بمصر ولما أخبرته بأن ظروفى
غير هذه وإنى أريد أن أرجع لا فى أجازة ولكن على ألا أعود . قال لى : إن هذا لا يمنع وأن
وجود الإذن معى يكون آمن فإذا لا قدر الله وقامت حرب أو اضطررنا إلى السفر السريع
فإن الإذن يكون معنا دائما . ولم أجد فى كلامه إلا المعقول، فكسبت هذا الطلب، وكنت
أحب أن استشيرك قبل كتابته لولا أن وجدته أتفه من كل هذا.

ترى ما ذا أعددت لى من مشاريع ومتى ستأذن لى بالرجوع إلى مصر. أنا لا أطلب شيئا
وأنا أترك كل هذا لتقديرك لأنك عالم بكل ظروفى.

أليس عجيبا أن أبدا العمل فى الدكتوراه مجرد التسلية فإذا بى الآن لا أقدر أن أفكر
فى عمله إلا وقلت لما أنتهى منها أعمل كذا وكذا كأنما قد أصبحت شيئا لا بد من أدائه
أولا، والفضل فى هذا يرجع إليك بالطبع وإن كانت هناك أفضال أكثر من هذا.

لست أكتب إليك بها، وإنما سوف أحدثك عنها فى أول فرصة نلتقى . أين سيكون
هذا؟ لست أدرى وأظنك أنت ستقول ولا أنا .

وأخيرا استقرت ابنة أستاذى أحمد أمين ، فإن لها فى هذا البيت الذى هى فيه شهراً
وهذه أقصى مدة أقامتها فى مكان واحد. فلم يكن لها خمسون يوماً يوم أحصيت لها عدد
الأمكنة التى سكنتها فإذا هى تفوق الخمسة . ولولا أن والدها أرسل إليها أن تمكث حيث
هى لكنت الآن فى مكان سابع أو ثامن لست أدرى لأنها فعلا كانت متفقة (بل قد اتفق لها
الديوانى بك على هذا المكان) فإذا خطاب والدها يضع حداً لهذا التجول والتقلقل.

أظنك الآن لا تخاف الحرب مثلى فقد هدأت الحال ولاشك وأصبح الأمل فى السلم قويا.

ماذا يفعل السيد كلود، إنى أتمنى له أبهر نجاح. كما أتمنى أن يسهل الله له كل أمر بعد
فى سبيل إعداد مستقبله الجيد إنشاء الله. وأمينة ماذا هى فاعلة فى امتحانها ؟ إنى أتمنى لها
أطيب التمنيات.

لقد ضقت ذرعا بهذه "اللوكاندة" وأصبحت لا أطيق السكن بها، وليس عندى وقت
للبحث فرما أذهب إلى مصيى كما يدعونها أى "اللوكاندة" التى كنت بها فى سبتمبر

الماضى. وقد تكون "اللوكاندة" مظلومة فيما أحسه الآن نحوها ولكن ما العمل.
ترى ماذا فى جو مصر السياسى من مضحكات مؤلمة. إن الأخبار تصلنا مشوهة إلى حد ما لأن الجرائد المصرية وخصوصا الأهرام وهو أكثر ما نقرأ هنا لم تصل بعد إلى التجرد من كل أثر ضار بالمصلحة العامة.
أخاف أن أبداً أحدثك فيما لا تحب أن تسمع"
ولا تصرح سهرير القلماوى بمقاصدها إلا أن تحدث طه حسين بأحوال تلاميذه المضحكة كما ذكرت من قبل وهو لا يريد أن يسمع عن تلاميذه ما يسوؤهم.

البلغيشى

وتواصل سهرير القلماوى تسجيلها لمشاعرها بين اليأس والأمل فى الوقت الذى تحاول فيه التسرية عن غيرها كعادتها، وغيرها هنا هو د. طه حسين نفسه الذى كان قد أعيد انتخابه عميدا لكلية الآداب فى مايو ١٩٣٩ غير أن حكومة محمد محمود باشا وقفت دون إعادة تعيينه مما اضطره للاستقالة ليتفرغ للعمل كأستاذ ، وهو ما تراه تلميذته خيراً بل وتهنئه عليه ، ولها أسبابها فى ذلك ، فنكتب إليه من باريس ١٧ مايو ١٩٣٩ :

أستاذى الكريم

لأول مرة أكتب لك خطابا ولست أعرف لماذا أكتبه . ليس عندى شيئا معينا أقوله لأن الأقوال والأفكار مزججة مختلطة فى نفسى.

عرفت اليوم أخبار كلية الآداب الأخيرة. فأود أول قبل كل شئ أن أهنئك من أعماق قلبى لأنك ستوفق (إنشاء الله) إلى حد بعيد فى أن تظفر لنفسك ولما هو أهم بالوقت الذى كان يضيع منك فى أشياء أقل ما يقال فيها أنها لم تكن تستحق ما كنت تبذله فيها. ثم أردت أن أعبّر لك عن فرحى بأنه ستتاح لك فرصة (إنشاء الله) تعوض فيها شيئا مما جنته هذه السنوات الأخيرة على صحتك . ولكن ولست أدارى ، ولا أكنمك شيئا، كم كنت أود أن تصل إلى هذه النتائج بطريق أحسن من هذه، طريق كلها فرح وبشر وليس فيها هذه الابتسامة الساخرة التى أكاد أراها مرسومة على وجهك والتى تريد بها التعبير عن شعورك نحو أمر لا يستحق منك أكثر من الاستخفاف ولكنه مكدر لاستحقاقه هذا الازدراء.

ويمتد بنا التفكير من المسائل الشخصية إلى العامة، ويرجع بنا التفكير حيث بدأنا -

وماذا بعد كل هذا ؟ سنعود على مصر . وأكاد أغرق من تفكيرى فى بحار من ظلام اليأس
ولكنى أحس آخر الأمر إحساسا حقا أن هذا كله سطحي، وأنه فى أعماق نفوسنا لا يزال
وتر الأمل ينبض قويا نشطاً.

إن الحياة لا يمكن أن تكون أملاً حلوأً كلها بل إن الأمل لا يخلو إلا بجانب هذه
الظلمات من اليأس.

أراك تبسم من هذه الفلسفة الساذجة التى نعرفها كلنا ولكنها تغيب عنا أحيانا . بل
أراك تكاد تنطق "ماذا تحاول أن تقول آخر الأمر . ألم أقل لك فى بدء الحديث بيتنا أنى لا
أريد أن أقول قولاً معيناً وإنى أحس إحساسات غامضة مضطربة تدفعنى إلى الكتابة إليك،
وتقف عند هذا الحد فلا تبين لى ماذا أكتب.

دعنا من هذا كله ولنتحدث فى الأهم: ماذا انتويت لهذا الصيف وأى مشروع أعددت
للمؤلف المجيد الذى سيخرج فى أكتوبر القادم إنشاء الله . أظنك لم تفكر بعد حتى فى
عنوانه.

أما أنا فغارقة فى ألف ليلة أحاول أن أعوض ما قد فات ولعلنى أوفق آخراً إلى أن
ترضى عن مجهودى حينما أعرضه عليك.

أكاد لا أحضر شيئاً من الدروس الآن إلا للأستاذ ما سينيون الذى يصمم على إلقاء
دروس إلى الآن ولست أصف لك ما أعانى من سماع هذه الدروس ، فلعلك تقدر شيئاً منه
عندما تعلم أنه يلقي درسين من خمسة عن مؤلف مراكشى فيما أظن أو مغربى فى أدب
التلميذ، تأليف تعس، يدعى "البلغيشى" ، وهو لا يعمل فى درسه أكثر من أن يختصر فصول
الكتاب فصلاً فصلاً وكثيراً ما تكون محاولة الاختصار أثناء الدرس نفسه، هل أصدعك بشئ
مما فى الكتاب أم أبق هذا مع كثير أريد أن أطيل الحديث معك فيه عندما نلتقى.

لست أعرف إلى الآن شيئاً عن هذا اللقاء، وأظنك أيضاً لا تعرف . ولكن هل لى أن
أطمع فى أن تخبرنى متى عرفت ؟ وهل أبالغ فى الطمع فأطلب أن أعرف متى تريدنى أن
أعود إلى مصر.

وأخيراً أصطنع الذوق فأختم خطابى . ولكن بعد أن أبعث إليك بأحر تمنياتى وأخلص
دعواتى أن يجذك هذا الخطاب فى أتم صحة وأوفر هناء . أرفع تحياتى الصادقة إلى السيدة
الكريمة، وأبعث تمنياتى بنجاح باهر لكل من أمانة وكلود، ولك منى أصفى ود وأوفى حب .

تلميذتك

سهير القلماوى

لا أبرح العشة

وتعود سهير القلماوى لتوافى أستاذها بأولى خطاباتهما من القاهرة بينما هو يقضى مصيفه فى الخارج، لتتعرف على الفرق بين حالها هنا وحالها فى الخارج ، فتكتب فى ١٢ اغسطس ١٩٣٩ :

أستاذى الكريم

كان لهذا الخطاب أن يكتب من زمن بعيد ولكن شاءت الظروف ألا أكتب وذلك خوف أن أعكر عليك صفاء راحتك بما كنت فيه. تصور أنى قضيت فى باريس نحو شهر بعد آخر لقاء لنا. وأن هذا الشهر كان أكثره فى الفراش . وما كدت أحس شيئا من الصحة حتى بادرت بالسفر وها أنا ذى فى القاهرة لى أربعة أيام والحرج لا يمكن أن يطاق. كم أود أنى كنت معك فى الجبل".

وتضيف "ولقد أصبحت الآن لا أطيق الوحدة التى كنت أستطيعها ، وليس لى صبر على قراءة شئ حتى القصص، أربعة صفحات من أى كتاب كافية أن تضايقتى.

ليس عندى أى أخبار فقد عدت إلى أهلى فوجدتهم بحمد الله فى صحة جيدة وإلى الآن لم أخرج من منزلى قط".

ومن المصيف تكتب سهير القلماوى إلى طه حسين فى المصيف أيضا، فى ٢٩ اغسطس ١٩٤٠ لنواصل التعرف على حالها بعد حوالى سنة من عودتها فتقول :

أستاذى الكريم

تحية واحتراما . من أسبوع وأنا أريد أن أكتب إليك فى كل يوم ، وفى كل يوم يتغلب على الكسل العظيم الذى يأبى إلا أن أكل وأنام، فقد كنت صممت على ألا أبرح القاهرة ولكن شاءت ظروف الأسرة أن أبرحها فى ظرف ساعات لأمكث هنا إلى أن يشاء زوج أختى أن ينهى أعماله ويعود إلى رأس البر . ولى اليوم ثمانية أيام ولست أدري متى سأعود ولكن الذى أدريه بعد أن أنذرتُ إنذارا نهائيا أن موعد هذه العودة لن يتأخر عن أوائل الأسبوع القادم.

أمل بعد عودتى أن ينجلي هذا الكسل عن نشاط عظيم أنا واثقة من أنك ستتعب فى تنظيمه ولكنى واثقة أيضا من أنه سيخرج شيئا ما على كل حال.

سألت عن الأستاذ أحمد أمين وأسرته فعلمت أنه عاد نهائيا إلى القاهرة.

أكاد لا أبرح العشة وأخاف أن أقول إنى أكاد لا أبرح السرير كسلاً أو تقديراً لمباهج رأس البر. ولولا أطفال أختى وضجتهم لكنا إلى الأموات أقرب.
ترى ما وقع الأخبار الدولية عليك وماذا ترى فيها، أما أنا فبأنى أنتظر خير النتائج أو شرها لا فى خوف ولا فى اطمئنان وإنما فى شعور هو إلى حب الاستطلاع أقرب".
ثم تنهى خطابها بالتحية والسلام كالمعتاد.

وسنخرج من هذه الرسائل متألمين لسهير القلماوى التى لم يكن يرد عليها طه حسين إلا قليلا ولعله قصد أن تخوض تلميذته التجربة لتعلمها الحياة بأكثر مما تتعلمها فى الكتب.



جامعة

طه حسين

أحمد أمين صاحب موسوعة فجر الإسلام

سندخل الآن مع طه حسين إلى الجامعة لنراه ونرى زملاء له وتلاميذ تجاوزت شهرتهم أسوار الجامعة وسيكون لنا معهم شأن خاصة في حياتهم الجامعية واتصالهم بطه حسين داخلها وخارجها، وهذه العلاقة تمثل جزءا من تاريخ الجامعة المصرية العريقة في طورها الأول حين كان مجلس الكلية ومجلس الجامعة يضم أساتذة مصريين وإنجليز وجنسيات أخرى كأنه عصبة أمم كما يقول أحمد أمين، وما تزال تقصر شيئا فشيئا حتى صارت الأغلبية للمصريين، وسنبدا بالحديث عن المثلث الذهبي بالجامعة المصرية: طه حسين، وأحمد أمين، وعبد الحميد العبادي الذين اتفقوا على كتابة تاريخ الإسلام: عقليا، وسياسيا، وأدبيا، فقاموا بما لم تقم به وزارات بأكملها بعد ذلك.

يحدثنا عميد الأدب العربي طه حسين عن أحمد أمين فيقول: "كان المرحوم الدكتور أحمد أمين يعمل بالقضاء الشرعي، وكان يضيق من هذا العمل، لأنه كان يضطر إلى الذهاب إلى بعض المناطق النائية، وقد سعت لنقله إلى كلية الآداب" يستكمل أحمد أمين الصورة من جانبه عن أحداث تلك الفترة التي صار فيها عضوا من أعضاء هيئة التدريس الذين عمل طه حسين على أن يقوى بهم الجامعة، فيقول^(*):

أذكر أنه قد دق جرس التليفون يوما، وإذا المتحدث الدكتور طه حسين بك يعرض عليّ أن أكون مدرسا في الجامعة المصرية وكنت قاضي محكمة الأزبكية الشرعية، فاستأذنته أن أفكر، وذرعت الشارع الذي أسكن فيه ذهابا وجيئة مرارا أفكر: هل أقبل أو أرفض وأخيرا قبلت.

كان ذلك في سنة ١٩٢٦، وكلية الآداب إذ ذاك في قصر الزعفران بالعباسية، وكان عدد طلبتها كبيرا، إذ كانت تضم أيضا فوق طلبة كلية الآداب، السنة الأولى من كلية

(*) الهلال يناير ٥١.

الحقوق.

وعهد إلى أن أدرس للسنة الأولى، وقد تعبت جدا إذ كانت المحاضرة تلقى على عدد كبير، وأضطر في ذلك إلى رفع الصوت ما أمكن وإلى مجهود كبير في ضبط الفصل ما أمكن، وقد درست لهم درسين، درسا في البلاغة اعتمدت فيه على كتب البلاغة الإنجليزية، وكتب البلاغة العربية، والتوفيق بينهما، ودرسا في الكامل للمبرد. وكانت الكلية كالأزهر في عدم الصلة الكبرى بين الأساتذة والطلبة، وعدم التوفيق في الحضور والغياب، فمن شاء حضر ومن لم يشأ لم يحضر، ولم أكن ألمح في هذا العدد العديد أى فاة مصرية إلا بنات المرحوم الدكتور على إبراهيم رامز، فإنهن كن من أم ألمانية، فكان بذلك نصف مصرية.. وكن يحضرن مع النساء والفتيات الأجانب دروس الأدب الفرنسى فى الجامعة.

ويضيف أحمد أمين متحدثا عن هذه الفترة المجهولة فى حياة الجامعة المصرية:

ولم أكن بحكم منصبى عضوا فى مجلس كلية الآداب إذ كنت مدرسا، والمجلس قاصر على الأساتذة المساعدين، والأساتذة من الأجانب والمصريين، وبعد ذلك رقيت إلى أستاذ مساعدا فاستاذ فعميد فأمكننى الاتصال بالمجلس.

وكان المجلس كأنه عصابة أمم فى الألمانى والفرنسى والبلجيكى والإنجليزى والمصرى، وكان العميد الأستاذ "كويجوار" البلجيكى.. وكانت المسائل المهمة التى تعرض تترجم عادة من الإنجليزية إلى الفرنسية والعربية، ومن الفرنسية إلى الإنجليزية والعربية، ومن العربية إليهما، وما تزال تقصر شيئا فشيئا حتى كانت الأغلبية من المصريين.

وكان يتقاسم الرئاسة فى أقسام الكلية جنسيات مختلفة، فقسم الفلسفة مثلا وقسم اللاتينى، يتزعمه الفرنسيون، وقسم اللغة الإنجليزية يتزعمه الإنجليز وقسم التاريخ يتزعمه البلجيكيون، وقسم اللغة العربية يتزعمه المصريون، وهكذا.

وكانت الكلية مفككة الروابط بهذا التقسيم من جهة، وباشتمالها على طلبة الحقوق وطلبة الآداب وعلى المدرسين من كل صنف ولون.

وقد حررت فيما بعد من التدريس لطلبة الحقوق، واقتصرت على طلبة قسم اللغة العربية، ودرست أيضا درسين: درسا فى البلاغة ودرسا فى المعاجم العربية، ثم تخصصت فى الإسلاميات، وكان من نتيجة ذلك فجر الإسلام، وضحى الإسلام.

الدهشة

ويتذكر طه حسين كيف "توثقت علاقتنا في الجامعة ، وكان بيننا تعاون علمي، وأذكر أنني كتبت مقدمة لكتابه الأول في موسوعته عن فجر الإسلام وضحاها وظهره".
وقد أثنى طه حسين ثناء عظرا على فجر الإسلام. لأحمد أمين الذي يرى أنه أخذ

"يحلل هذه الحياة العقلية العربية تحليلا ليس أدق دقة واستقصاء من تحليل صاحب الكيمياء في معمله" فقد "نهض بهذا العبء من درس الحياة العقلية العربية كأحسن ما ينهض الرجل ذو الضمير العلمي الحى بعبء من الأعباء". "فقد كنا نعرف له كفايته ومقدرته كعالم وأديب، جد حتى تتقف بالثقافة الأجنبية الأوروبية، ولكننا لم نكن نقدر أن يكون قد أخذ من هذه الثقافة بأدق حظ وأقربه إلى الإتقان والكمال" ولست أخفى أنني لم أكن أعرف حدا لهذا الدهش الذي كنت أجده حين أرى "أحمد أمين" يتصرف في المسائل الأدبية والفلسفية واللغوية بقدرة ثابتة ويد صناع وعقل يعرف كيف يفكر" ويمضي طه حسين في ثنائه "ومهما أفعل من ذلك فلن يكون ثنائي شيئا إلى جانب هذا الأثر الذي ستركه في نفوس الناس بحشه الذي أقدمه إلى الجمهور سعيدا مغتبطا بأنه أول ما يقع في أيدي الناس من كتاب "فجر الإسلام".

الصغائر

وتتصل العلاقة بين طه حسين وأحمد أمين حين يسافر أحدهما للخارج فيتراسلان ، وبين أيدينا مراسلات أحمد أمين لطه حسين التي تكشف عن جانب من جوانب الحياة العلمية في تلك الفترة المجهولة من الحياة الجامعية، فنقرأ في الرسالة التالية بعض ما يخص أحمد أمين والجامعة ، ومصر، فكتب من :

مصر في ٢٦ يونيه ١٩٣٠

أخي الدكتور طه

عليكم السلام ورحمة الله

هنيئا لك بفيينا وجمالها، وباريس ومناظرها ، والجبال وهوائها - أما أنا فأقعديني عن السفر مرض والدتي ثم مرض ابني الكبير بحمي انتابته، وقد بدأ يتحسن ، فإذا تغلبت على

هذه الصعاب سافرت إلى رأس البر، إما وحدى أو مع العائلة ، فقد سئمت جدا من حياتي المتكررة التي كأنها يوم واحد.

والآن أقص عليك مسألة بسيطة.

ذلك أن الأستاذ أحمد إبراهيم عرض عليّ أن أكون أستاذا مساعدا للشريعة في كلية الحقوق في الدرجة الثالثة، فقلت له: إذا أردتم الإعلان عن الوظيفة لأكون أحد المتقدمين لها، لا أستطيع ذلك، أما إذا حصرت الاختيار فيّ فهنا أبدي رأيي ، فقبل ذلك وأخبرني أنى المرشح الوحيد، ترددت أولا واستشرت كثيرا من إخواني فمنهم الذى استحسنتها لى كالدكتور منصور والأستاذ الخولى ، وغيرهما ، ومنهم من لم يوافق كالأستاذ عزام، وأخيرا لاعتبارات مختلفة ملت إلى قبولها، وانتظرت أخذ رأيكم مع رجائي لك فى الموافقة ، فلست أحب أن أخرج وأنت غاضب.

أظن أنه قد بلغك استقالة كوبلاند وشين وبذلك أصبح التاريخ المتوسط بلا أستاذ ولا مدرس له ويجب تدبير هذه المسائل من الآن حتى لا تفتح الدراسة والكلية خالية ممن يقوم بتدريس هذا الفرع".

"أما مسألة الأساتذة الزائرين فقد كان الأستاذ بهى الدين بك رفض الموافقة عليهم ويحتاج لتنفيذها لعرض المسألة من جديد على الوزير الحالى - لذلك يحسن ألا تتفق مع أحد نهانيا حتى يتجلى الموقف".

"أظن أنه قد بلغك الانقلاب الخطير الذى حصل فى مصر، والناس هنا يوجسون خيفة من تغيير الدستور ويتوقعون حوادث خطيرة فى الأشهر المقبلة، ولا أدرى متى ترتاح مصر البائسة التعسة من هذه النكبات.

عبد الحميد العبادى قد مات والده وسافر إلى الإسكندرية لقضاء أيام ثم يعود ليستأنف العسل فى فجر الإسلام (رغم أنه من عمل أحمد أمين إلا أنه والعبادى وطه حسين اعتبروا أن كل عمل يقوم به أحدهم كأنه عملهم جميعا لأنهم كانوا يراجعون مادته ويقرونها أيضا جميعا) ولعل حظه هذه الأجازة يكون خيرا من حظه فى الأجازة الماضية أما أنا فأحبيت أن أكتب بابا فى الحياة الاجتماعية فى العصر العباسى الأول، ورأيت الأغاني (للاصفهاني) خير ما يعين على ذلك ، فبدأت بقرائنه من أوائل مايو، والآن وصلت إلى الجزء السابع عشر، فإذا أتمته بدأت فى كتابة هذا الباب".

السنبورى ورائى بالكرباج!

ومن لندن فى ٢٩ يوليو (بدون سنة) يكتب أحمد أمين

أخى العزيز

سلام عليكم ورحمة الله

سررت مما استفدت من لندن، سهل لى إخوانى هنا سبل الإقامة - جزاهم الله عنى خيرا - ولكن لم أحقق كل غرضى فلم يتيسر لى الإقامة فى عائلة إنجليزية لقصر المدة التى أقضيها هنا ، ولأن العائلة التى كانت أعدت لى قررت قبيل مجيئى أن تسافر إلى شاطئ البحر".

"كتاب المختارات وضع فى جزئين لا فى ثلاثة ، واحد للسنة الثالثة وآخر للرباعية والخامسة معا ، وقد اخترنا ما اختاره الأعضاء للسنة الثالثة. وتركنا الباقي للسنتين الأخيرتين، وأنا موافق على المعانى التى ذكرتها فى خطابك لتكون مقدمة للكتاب ، ولكن أرجو الإسراع فى إرسالها إلى الشايب. مع خطاب الوزارة ولك الشكر .

أحس فى كتبك بشئ من الضجر والقلق فأرجو أن تكون فوق الحوادث كما عهدتك، وأن تنظر إليها نظرة الرائى لرواية، ومثلك خير من يستخرج من الفلسفة ما يجعله يستهين بهذه الصغائر".

ومن القاهرة فى ١١ سبتمبر ١٩٣٠ يكتب أحمد أمين إلى طه حسين:

يجزنى أن تكون خطابتك الأخيرة كلها مملوءة بالأسف والحزن، وكان بودى أن تكون كلها نعمة سرور وفرح حتى يعوضك عما لقيت من نصب فى السنة الماضية، ولكن شاء القدر أن تخرج من فصل محزن إلا لتستقبل فصلا آخر يتصل به ، على أنى أرجو أن يتم شفاء السيدة وأن تستقبل رواية من نوع الكوميديا تحو بها كل أثر للتراجيديا السابقة".

"اجتمع مجلس الجامعة فى الأسبوع الماضى وكان يدور كله حول مقترحات كلية الحقوق، وأهم ما يخصنا المصادقة على ضم القسم الإعدادى إلى كلية الحقوق.

وبهذه المناسبة يريد كامل بك أن يختار مدرسين من قسم اللغة العربية لنقلهما إلى الحقوق ، وقد وقع اختياره شفويا على أمين الخولى وأحمد الشايب، ولا أدرى من أين استقى معلوماته، ولكنى أرى الاحتفاظ بهما ، وأن نرشح له عبد الوهاب حمودة، وطه إبراهيم. فما

رأيك – سأقابل لطفى بك لأكلمه فى وقف النقل حتى أعرف رأيك – أما مسألة العميد والانتخابات وما إلى ذلك فأظن أن الكلام فيه قبل أوانه لأن شيئا فى هذه الموضوعات لم يتم.

سلامى عليك وأتمنى لك راحة الضمير

ويذكر أحمد أمين أن كلية الآداب كانت "تقوم كل سنة برحلات فى أجازة نصف السنة، فاستفدت من هذه الرحلات ورحلت إلى الشرق والغرب، ومرة رحلنا إلى الشام وأخرى إلى العراق وثالثة إلى الحجاز، ومرة إلى هولندا وإنجلترا وبروكسل، وكانت هذه الرحلات موضعا للاستفادة منها حيثما رحلنا".

ويكتب أحمد أمين عن إحدى تلك الرحلات وكانت رحلة صعبة فيقول من:

دمشق فى يوم ٥ فبراير ١٩٣١

أخى العزيز الدكتور طه

سلام عليكم ورحمة الله

وصلنا بحمد الله إلى دمشق وقد كان فى طريقنا من طبرية إلى دمشق بعض الصعوبات لأن المطر انهسر علينا وكثر الضباب حتى لم يستطع الرائي أن يرى على بعد متر، وأمسى علينا المساء ونحن فى منتصف الطريق، وبينما نحن سائرون ارتطمت سيارة فى أحجار وتهشمت وجرح ثلاثة من ركابها، ففزعنا جميعا إذ ظننا أنها إحدى سياراتنا خصوصا وقد جاءنا الخبر أولا بأنها كذلك، ثم حمدنا الله كثيرا على أنها لم تكن لنا، وأنها لجماعة من دمشق فخف علينا بعض الشئ وقع المصاب، ونقلنا المصابين معنا إلى المستشفى فكان فصلا مؤثرا أثر فى بعضنا الخوف وفى بعضنا الحذر وفى بعضنا الاتكال على الله – سنقوم غدا إن شاء الله إلى بغداد وسنقطع ٩١٥ كيلو مترا من دمشق إلى بغداد. وكل أعضاء الرحلة يشكرون لك – أولا تمهيدك السبيل للرحلة والسعى فى إتمامها – وثانيا توديعك لنا على الخطأ ، ويحيونك ويتمنون لك أجازة طيبة.

والسلام

أحمد أمين

، .ت الرحلة التالية إلى فرنسا أكثر استمتعا وكان بصحبة أحمد أمين، د. عبد الرازق السنهوري الذى كان محافظا على تنفيذ برنامج الرحلة كحفظه للقانون فلم يترك فرصة لصديقه لالتقاط أنفاسه ، يقول أمين لطفه حسين:

قضيت خمسة عشر يوما في فرنسا رأيت بعض متاحفها وملاعبها، وحضرت اول أمس رواية عايدة في الأوبرا، وعملت رحلات في ضواحيها وشهدت كثيرا من مظاهر جوها وهوها، وقضينا أمس في فرساي فأعجبتني، ودعينا ونحن في ليون لرحلة تبعد نحو ١٥٠ كيلو فقضينا يوما جميلا شهدت فيه جبال فرنسا وكثيرا من مناظرها الطبيعية، وبالاختصار أصبحت عندي صورة لا بأس بها، ولكني لم أرتح مطلقا فالدكتور السنهوري كان ورائي بالكرباج من الأوتيل حوالى الساعة العاشرة صباحا فلا نعود إلا الساعة الواحدة - لهذا لم يكن عندي زمن لأهضم ما أرى. فوطنت نفسي على أن أكون كالحمل المحتر يأكل بسرعة ثم يجز في الوقت المناسب ما يأكل، وأنا متوقع أن يكون هذا حالى في لندن - لذلك سأضطر سريعا إلى الهرب إليك بعد نحو عشرين يوما لأقضى أياما أستريح فيها.

استحضرت معى من مصر رديجوت وسمو كنج فلم أحتج إلى الالتجاء إلى خياطى باريس، وقد رأيت عنك أقماتها وأنا متأكد أن القماش لا يبد أن يكون ردينا حتى يفصلها بخمسة جنيهات قياسا على ما سمعت لى ورأيت.

هذه الشلل

ويكتب أحمد أمين في ٢٥ أغسطس (بدون سنة)

وقد سررت جدا من رأى الأستاذ مرسية في "فجر الإسلام" وشجعتنى على المضى فى "ضحى الإسلام" وقد كدت أنتهى من قراءة ما أحببت قراءته لتحضيره ووزعت المذكرات التى أخذتها على الدوسيهات ، ولم يبق إلا الكتابة، وأرجو أن تعود إلينا بجزء صالح من كتابك فإنى أشك كثيرا أن ينتهى قسم العبادى هذا العام.

بعثت إلى العبادى أول أمس خطابا اعتذر فيه عن قبولى لعمودية الكلية فى شهر سبتمبر واقترحت عليه أن يكلها إلى الأستاذ شفيق غربال أو حسن إبراهيم لأنى رأيت أنها ستشغلنى فى أمور تافهة لا تقدم الكلية ولا تؤخرها، وأفضل أن أسافر أو أكتب جزءا من ضحى الإسلام.

"اهتم المدير فى هذه الأيام بإصلاح كلية الحقوق وقد تم فعلا إخراج (.....) وانتداب نجيب بك الهلالى ورأفت العشماوى للتدريس مع بقائهم فى وظائفهم، وعين سيد مصطفى .. الخ.

وقد أخبرني المدير أنه سيتفرغ لكلية الآداب بعد . لعلك تستطيع أن تحضر قبل انتهاء
الأجازة لتشارك في الإصلاح المنوي إن كان.

أزمة الثقافة

ويتذكر طه حسين "لما أنشأ الدكتور أحمد أمين مجلة الثقافة كنت أكتب فيها بدون أجر". وفي
خطاب أحمد أمين ، التالي حديث حول أزمة تواجهها مجلة الثقافة، وفيها يعتب على طه الذى
"نسيها" ويكتب عن مواقف بقية الكتاب منها، فيقول :

أخى الدكتور طه

سلام عليك ورحمة الله

وصلنى خطابك وألت لوصفك لنفسك ولكن خفف الملى علمى أن الأديب فى كل
عصر لا ينتج إنتاجا قيما إلا إذا احترق ورحم الله أبا الطيب الذى اكتشف أن كل بعيد هم
فيها معذب.

أما أنا فقد سافرت إلى الإسكندرية فى حالة إعياء شديد وصحة متدهورة، فلم أكد
أسريج بعض الشئ حتى واجهت حالة الثقافة المتعبة، فقد نسيها طه حسين وأحلى بنا عوض
وقد وعد أن يتابع الكتابة حتى وهو على ظهر المركب فلم أسمع منه الآن ولا كلمة، وكذلك
قبل توفيق الحكيم وقد وعد أن يكتب فى رحلته إلى سويسرا فلم يصلنى منه إلى اليوم شئ.
وكذلك فعل بعض أعضاء اللجنة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ولست أقدر على مواجهة
الجمهور بالخيبة ، فاضطرت أن أحول بريد الثقافة إلى بالإسكندرية وأختار ما يمكن نشره
وأكتب فى كل عدد طوعا أو كرها ، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما رضيت
ياخراج الثقافة ولكن كيف الهرب.

ومع ذلك انتهزت فرصة وجودى فى الإسكندرية فأرحت نفسى من مقابلة فلان
وفلان وأرحت سمعى من الحديث عن الجامعة وكلية الآداب . وكلفت أن أعمل كتابا لمطالعة
السنة التوجيهية فرفضت واسترحت، ومكنتى فرصة الوحدة من أن أستعيد الماضى القريب
فى الجامعة فوصلت إلى نتيجة تشبه تلك التى وصل إليها أبو العلاء حين عودته من بغداد
وهممت أن أكتب منشورا كذلك المنشور الذى كتبه إلى أهل المعرة ولكنى اكتفيت بنية
التنفيذ ، فاعتزمت أن أترك مجلس الجامعة وأترك مجلس الكلية إلا عند نظره فى مسائل

تعليمية مهمة، وأن أنفض يدي إلا من تحضير درس وإلقائه، ولو كانت ظروفى كظروف أبى العلاء فى جناية أبىه وعدم جنايته على أحد لزكت الوظيفة أيضا، لقد ظفرت أنت فى أجازتك بالجزء الثانى من الأيام أما أنا فلم أظفر إلا بتسيير الثقافة سيرا أخرج، وتفكير بسيط فى الأدب العربى المصرى.

والآن قد تشيع جسمى من جو الإسكندرية فتضايقت منه وكرهت منظر البحر من أجله واعتزمت العودة إلى القاهرة يوم ٢٠ أغسطس، فاحتمال الحر مع الجفاف أهون من هذه الرطوبة المفضية، ولولا الإشفاق على الأولاد لعدت من زمان أو لزكتهم وسافرت إلى لبنان.

وأكتب إليك والجو السياسى مضطرب أشد الاضطراب فلا بد أن قرأت استقالة محمد محمود باشا وشائعة إسنادها إلى على ماهر باشا وعزمه على الاستناد إلى حزبى السعديين والأحرار الدستوريين، وتمسك هؤلاء بأن يمثل كل حزب منهم خمسة أعضاء، وعدم موافقة ماهر باشا على هذا، وقد يصلك خطابى هذا وقد أنجبت الغيوم ولو إلى حين.

وبالأمس كنت أجلس فى "تريانون" فهذا هو عوض إبراهيم فى شلة من الموظفين ونجيب الهلالى فى شلة أخرى والقهوة مزدهمة بهذه الشلل، و"الشيخ روتر" يذهب ويجئ من وندسور إلى تريانون ومن تريانون إلى وندسور، والمسرح مزدهم بالمناظر وأهم منها ما وراء الستار.

ولا أطيل فسلامى عليك ورحمة الله

أحمد أمين

المؤامرة

وكما لاحظنا فقد ضاق أحمد أمين ذرعا بمجلس الجامعة ومجلس الكلية فقرر عدم المشاركة فيهما إلا للضرورة العلمية القصوى، ويحدثنا عن خلاصة تجربته فى مجلس الجامعة، فىقول:

"وكان المجلس يضم إنجليز ومصريين، وأحيانا يكون الجدل والمناقشة بالإنجليزية وأحيانا بالعربية. ومن أغرب ما لاحظت أنه إذا كانت المناقشة بالإنجليزية قل الاستطراء وتحدد الغرض ودلت الألفاظ على معانيها بدقة، ولم يعرض الجادل أو المناقش لرأى سبقه به أحد إلا إذا كان جديدا، وعلى عكس ذلك كله إذا كانت المناقشة باللغة العربية.

وقد تعلمت من هذا المجلس أني رأيت الكبراء والعظماء يفكرون كما يفكر الناس، ويخطئون في التفكير كما يفكر الناس، ولهم شهوات وأغراض كما لسائر الناس، وكان قد قر في ذهني أنهم من طينة أخرى ولا يعملون إلا للحق والمصلحة العامة.

وتعلمت أن الناس ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: متكلمون بالحق، ومجرمون لا يعينهم الحق في قليل أو كثير، وهؤلاء، وهؤلاء أقلية، وأكثر الناس جناء تقصهم الشجاعة، فإذا نطق بالحق أحد تبعوه ونصفوه، وإذا لم يتكلم به أحد ضاع الحق وفسد الميزان.

وإذا كانت العلاقة بين طه حسين وأحمد أمين قد توثقت بينهما حينما أتى الأول بالأخر إلى الجامعة وتعاونوا في المسائل العلمية وكتابة تاريخ الإسلام، كما تعاونوا في أمور "الثقافة" واشترك طه معه في لجنة "التأليف والترجمة والنشر". فإن العلاقة قد امتدت بين الصديقين إلى ما هو أبعد إنسانياً، كما يتذكر طه حسين "وكان الدكتور أحمد يلجأ إلي في علاج مشكلات أبنائه في التعليم. وكنت أعاونه ما استطعت وأذكر أني يسرت لبعض هؤلاء الأبناء فرصة السفر إلى الخارج للدراسة على حساب الدولة، غير أن الدكتور أحمد أمين مع هذا تكرر لي وانضم إلى الدكتور السنهوري في التآمر ضدي"^(١)

ولم نثر بعد على أثر لتلك المؤامرة إلا في هواجس وشكوك طه حسين الذي سحب تلك الشكوك التي استخدمها في منهجه العلمي، على أصدقائه حيث أن سوء الفهم كان يصور له أحيانا أشياء لم تحدث، وربما لعبت بعض الوشائيات دورها في الإيقاع بينه وبين أصدقائه، ولم يكن طه حسين من ذلك النوع الذي يكشف أصدقائه ويواجههم بل كان يكتب شكوكه وهواجسه في نفسه ولا يصارح بها أحداً إلا في حديث عابر كتلك الأحاديث التي دارت بينه وبين سكرتيره، بينما تكون الحقيقة شيئاً آخر غير تلك التي تخيلها في نفسه، وسنكتفي بواقعة واحدة وإن لم تكن الوحيدة في التدليل على صحة ما ذهبنا إليه في تفسير تلك المؤامرة التي لم تقم سوى في خيال الدكتور طه حسين، وهذه الواقعة يذكرها سكرتيره. فيقول "أما عن فتور العلاقة بين العميد والزيات فإن العميد كان لا يجد لها سبباً، وكان يقول لي: إن الأستاذ الزيات لم يعد يزورني أو يتصل بي كما كان الحال بيننا من قبل، وكان إذا لقيني في المجمع اكتفى بتحتي قائلاً: إزيك يا باشا.

وسألت المرحوم الأستاذ الزيات - وكنت أعمل معه في لجنة المعجم الوسيط بالمجمع اللغوي - لماذا فترت العلاقة بينك وبين العميد أخيراً؟ وكان جواب الأستاذ الزيات: إن

(١) طه حسين يتحدث - السابق.

العلاقة لم تفتز ، ولكن زوجة الدكتور هي المسئولة عن ابتعاد أصدقاء الدكتور عنه، وأنت تعلم أنه لا يستطيع إغضابها، فقلت كيف تكون زوجة الدكتور مسئولة؟ قال: كانت تحول بينه وبين لقاء من يود، وكنا إذا ذهبنا إليه ورغبنا في اصطحابه معنا، فإنها كانت لا تمكنه من ذلك بحجة أن صحته لا تساعد على الخروج، ولهذا ابتعد أصدقاء الدكتور عنه شيئا ، فشيئا حتى انقطعت صلته بهم تقريبا.

وهكذا يلعب سوء الفهم وغياب المعلومات الصحيحة دورا في تنمية شكوك طه حسين وهو اجسه، وإن كان ذلك عيبا في شخصيته إلا أنها أبدا لن ننسينا بقية جوانب العظمة في تلك الشخصية الفريدة التي دارت حولها كل الشخصيات العظيمة في القرن العشرين.

عبد الحميد العبادى

مؤسس المدرسة العلمية فى التاريخ الإسلامى

كان د. عبد الحميد العبادى أحد الذين استعان بهم د. طه حسين لتقوية الجامعة الوليدة وتغذيتها بالعناصر المصرية أمام الكثرة الغالبة من العناصر الأجنبية والتي لم يكن لها بديل آنذاك حتى استطاع طه حسين بالتعاون مع لطفى السيد أن يمحصر الجامعة بتلك البعثات المنتجة للأساتذة الجامعيين فى جميع التخصصات، وحتى يحدث ذلك كان على تلك القلة من العناصر المصرية أن تقوم بالعبء الأكبر ليس فقط بالتدريس للطلبة المصريين بل لتأسيس مناهج علمية جديدة تقوم عليها النهضة الجامعية والثقافية المصرية الحديثة، وكان من هؤلاء المؤسسين د. عبد الحميد العبادى الذى اشترك مع طه حسين وأحمد أمين فى مشروع اتفقوا عليه لإعادة كتابة العصر الإسلامى برؤية عصرية جديدة، فتناول طه حسين الجانب الأدبى، وعهد إلى أحمد أمين بالجانب العقلى والاجتماعى، وتحمل د. العبادى عبء كتابة التاريخ الإسلامى برؤية علمية كان هو مؤسسها الأول والذى سار على نهجه كل مؤرخى التاريخ الإسلامى حتى اليوم.

ود. العبادى أحد أضلاع مثلثنا الذهبى فى الجامعة المصرية، ومراسلاته لطه حسين مهمة لأنها تؤرخ لحقبة مبكرة من تاريخ هذه الجامعة بما اعترضها من مشكلات وصعوبات.

نصف الممات

ومصدرنا فى المعلومات المتاحة عن العبادى هو تلاميذه: عبد الوهاب عزام، د. جمال الدين الشيال، ومحمد عبد الهادى شعيرة.

ولد د. عبد الحميد العبادى بحى الأنفوشى سنة ١٨٩٢ لأسرة سكندرية عريقة تنتمى لأصل مغربى، تخرج فى مدرسة المعلمين العليا ١٩١٤، وعمل مدرسا بالجمعية الخيرية الإسلامية، ثم أستاذا للتاريخ بمدرسة القضاء الشرعى التى شاركه العمل فيها أحمد أمين - الذى اشترك معه فى دراسة المخطوطات العربية باستانبول - عاطف بركات، الشيخ محمد الحضرى، ومن تلاميذ العبادى بتلك المدرسة: أمين الخولى وعبد الوهاب عزام، وحين افتتاح الجامعة المصرية ١٩٢٥

اختير أستاذا للتاريخ الإسلامي. وانتدب للتدريس في مدرسة دار العلوم، والجامعة الأزهرية ودار المعلمين العالية ببغداد، ثم صار عميدا لكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ١٩٩٠، وعضوا بمجمع اللغة العربية بمصر، وعضو المجمع العلمي بدمشق، وعضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، وكان له اهتمام بالأدب والشعر، فجمعت المنتديات الأدبية بالإسكندرية، بينه وبين أصدقائه من أدباء الثغر أمثال عبد الرحمن شكرى وإبراهيم مصطفى وعبد اللطيف النشار. ولذلك كان "أستاذا موهوبا، وفنانا لذا جمع بين الأدب والتاريخ في آن واحد، فله من الأدب جمال الصورة، وروعة الأسلوب، وله من التاريخ منهجه العلمى الدقيق"، ولذلك لم نعجب إذا علمنا أنه فى الجامعة المصرية القديمة "كان يشارك فى اللجان العلمية لمناقشة الكثير من رسائل الدكتوراة والماجستير فى الأدب العربى" بل إن كتاب "نقد النثر" لابن قدامة، اشترك العبادى فى نشره والتقديم له والتعليق عليه مع طه حسين. والعبادى واحد من طلائع النهضة العلمية الثقافية الحديثة حيث اتفق مع مجموعة من الزملاء النوابغ فى جيله أمثال: محمد حسن الزيات، أحمد زكى، عبد الوهاب عزام، أحمد أمين، على إنشاء لجنة لوضع كتب علمية حديثة يساهمون بها فى إرساء النهضة الثقافية المصرية على قواعد سليمة، وتأسست اللجنة ١٩١٤ وصار اسمها "لجنة التأليف والترجمة والنشر". وكانت الاجتماعات الأولى التى تمخض عنها مولد هذه اللجنة تعقد فى منزل عبد الحميد العبادى الطالب بمدرسة المعلمين العليا، وكان أحد المؤسسين لهذه اللجنة، التى امتد نشاطها من مصر إلى العالمين العربى والإسلامى لنشر الفكر والثقافة.

وعندما عين العبادى مدرسا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب كان له الفضل الأول مع طه حسين فى إنشاء هذا القسم، وتثبيت دعائمه، وتخصيص فى التاريخ الإسلامى. وكان أول من أدخل دراسة تاريخ المغرب والأندلس فى مناهج الجامعة، فكان أستاذا جليلا ومؤرخا محققا من الطلائع الذين أقاموا الجامعة والحياة الجامعية فى مصر على أسس قوية، كما يقول تلميذه جمال الدين الشيال أستاذ التاريخ الإسلامى والذى يؤكد أن التاريخ الإسلامى كان "قبله رواية تروى، أو قصة تحكى، أو نكتة تقال، أو بيتا من شعر ينشد، وكان العبادى أول من ارتفع به إلى مرتبة العلم فجعله فكرة تمحص، وتحليلا ونقدا ومقارنة ودراسة دقيقة على أسس ومناهج علمية ثابتة، فإذا كان فى مصر اليوم من يفهم التاريخ الإسلامى حق فهمه، ومن يجيد بحثه ودراسته، فإن الفضل الأكبر فى هذا إنما يرجع إلى العبادى وطريقته وجهوده".

ويضيف تلميذه د. محمد عبد الهادى شعيرة "والعبادى من غير شك صاحب مدرسة جديدة فى التاريخ الإسلامى فعالجه على نحو خرج به عن نطاق السطحية والسرد والأساليب الخطائية الجوفاء إلى الدراسة المنهجية والتعمق فى سبر أغوار الحوادث والوصول إلى أصولها واستنباط

نتائجها مع تصوير أجوائها تصويرا يعين على فهمها وتمثلها".

وقد نعاه صديقه عبد الوهاب عزام عندما سمع نبأ وفاته وهو بعيد خارج مصر يعمل دبلوماسيا في سفارتنا هناك، أنشد قول الشاعر:

راعنى فى العباد نعى صديق كان فى غمرة الحياة شقيقى
علمتنى مصيبة الموت فيه أن نصف الممات موت صديق

* * *

حالة حضرة صاحب العزة

نصل الآن إلى مجموعة الرسائل التي كان يرسلها العبادى لطفه حسين أثناء سفر الأخير فى أجازته السنوية، وكان العبادى يقوم مقامه كعميد لكلية الآداب أثناء غيابه، وذلك بالتبادل مع بقية الأساتذة، فبيعت من القاهرة فى ٣ أغسطس ١٩٣٠م. متحدثا عن مشكلة خلو مكان الأساتذة الأجانب بعد انتهاء مدة انتدابهم، واعتذار بعضهم عن تجديد الانتداب، والعبادى فى رسالته يحاول بالتفكير مع طه حسين البحث عن بدائل قبل بداية العام الجامعى الجديد لحل هذه الأزمة نظرا لنقص الكوادر المصرية فيقول:

صديقى المفضل

اليوم فقط أستطيع أن أتحدث إليك فى شئون الكلية، وأما قبل اليوم فلم يكن ذلك مستطاعا لأن كل أمور الكلية تقريبا كانت معلقة لا يمكن للإنسان أن ينتهى فيها إلى نهاية واضحة .. ولاشك أنك عارف بما فى ذلك التعليق وسببه .

وصلنى منك خطاب تكلمت فيه عن مسألتين:

الأولى: مسألة الأستاذ برجستراسر

الثانية: مسألة عبد الهادى شعيرة

وبمجرد وصول هذا الخطاب ذهبت إلى الإدارة ولبتت أتردد عليها أياما متوالية أحاول إنهاء هاتين المسألتين كما طلبت ، أو على الأقل الوصول فيهما إلى غاية ما فلم أفلح، وأخيرا انفرجت الأزمة أو قل أخذت تنفرج، فقد جاءنا لطفى بك السيد مديرا للجامعة وقد قابلته

اليوم وكلمته في هاتين المسألتين، فأما مسألة الأستاذ برجستراسر فقد وعد أن يسلك في حلها الطرق السياسية التي اقترحها الأستاذ واقترحتها أنت. وهو مسافر غدا إلى الإسكندرية وسيقابل الوزير الألماني وسيكلمه في ذلك. كما أنني أنا من ناحيتي سأقدم مذكرة إلى الإدارة أطلب فيها نذب الأستاذ برجستراسر للتدريس بالكلية في فصلى الدراسة القادمين (أكتوبر إلى مايو) نظير مكافأة قدرها ١٠٠٠ جنيه من ضمنها مصروفات السفر.

وكانت الإدارة من قبل ترى أن تكون المكافأة ٩٠٠ جنيه فقط بناء على طريقة اتبعتها في الحساب أصرح لك أنى لم أدركها بسهولة. على أن لطفى بك وافق على التقدير الذى قدرته.

وأما مسألة شعيرة فقد رأى لطفى بك وجوب استصدار قرار من مجلس الجامعة بنقله إلى السوربون ، وقد قدمت مذكرة بذلك سيطاق بها على أعضاء المجلس ليوقعوا عليها، وأظن أن الأمر سينتهى إلى ما تريد.

هناك مسائل أخرى خلفها لى العميدان السابقان وأنا ذاكرها لك وذاكر ما اتخذته فيها من الإجراءات لعلك تمدنى برأيك فيها.

أولاً: مسألة أستاذ التاريخ الحديث. هذه لا تزال قائمة فقد كتبت لجنة اتحاد الجامعات البريطانية تلوم وزارة المعارف والجامعة على تأخرها فى طلب من تريد من الأساتذة إلى ما بعد مايو، وقد ردت الجامعة تعتذر باستثنائية الظروف وتطلب مواصلة البحث.

ثانياً: مسألة أستاذ التاريخ المتوسط، قدم الأستاذ "كوبلند" استقالته إلى الجامعة فى النصف الأول من يونيه، فأرسلت إليه إدارة الجامعة رسالة برقية وأخرى بريدية تطلب إليه فيهما العدول عن استقالته فلم يرد، وأخيراً كتب إليه مدير قلم البعثات يطلب إليه الرد عن الرائلتين المذكورتين فجاء رده بالبرق فى هذا الأسبوع فقط بتصميمه على الاستقالة، وبعد أنه سيرسل خطابا يفصل فيه ما أجمل فى رسالته البرقية، هنالك كتبت إلى الإدارة أطلب إليها مكاتبة لجنة اتحاد الجامعات البريطانية فى ترشيح أستاذ لكرسى التاريخ المتوسط، على أن يكون ذلك بعقد لمدة سنتين وبمرتب قدره ١١٤٠ جنيهاً.

ثالثاً: مسألة خلف المسر شينى، رأيت ألا أطلب الآن تعيين خلف أجنبى للمستر "شيني" فقد بلغنى أن بجامعة "ليفربول" شابا مصرى يدرس التاريخ المتوسط واسمه (مصطفى زيادة) وأنه سيؤدى الامتحان (...). فى سبتمبر القادم على الأرجح والأستاذ شفيق غربال يثنى على هذا الطالب، لذلك أرى أن نحتفظ له بمحل شيني ، فلعلك موافق على ذلك الرأى.

رابعاً: مسألة من يخلف "السير توماس أرنولد" ، أبرقت إلى الأستاذ "نيكلسن" في ذلك فرد يعتذر عن عدم استطاعته قبول طلب الكلية، فأرسلت برقية أعرض عليه انجى إلى الكلية بصفة أستاذ زائر ، ولكنه لم يرد بعد.

هذه هي المسائل المتعلقة بالأساتذة ، وهناك مسألة أخرى تتعلق بأحد طلبة البعثة الذين سافروا في الشهر الماضى إلى أوروبا، فقد كتب قلم البعثات إلى الكلية يخبرها أن الطالب نجيب بلدى ليس مصرياً ولكنه يونانى الجنسية بنص شهادة ميلاده، ويطلب تحقيق هذه المسألة. استدعيت ولى أمر الطالب المذكور فقال إن ما ذكر بشهادة الميلاد من حيث الجنسية غير صحيح وواعد أن يقدم إلى الكلية المستندات التى تثبت مصرية "نجيب بلدى" وقد قدمها فعلاً فأرسلتها إلى قلم البعثات عن طريق إدارة الجامعة للنظر فى قيمتها، وبممكنك أن تتصور حالة حضرة صاحب العزة السكرتير العام للجامعة وقد وقف على هذا الاكتشاف الغريب!! (....) ودمت للمخلص.

عبد الحميد العبادى

الابتناء

ويشكو العبادى من ابتلائه بمنصب العمادة المؤقتة نظراً لمشاكلها التى لا تنتهى، وذلك فى رسالة من "القاهرة فى ٢٥ أغسطس ١٩٣٠":

صديقى المفضل

(....) لاشك أنك تحب أن تعلم شيئاً عن أحوال الكلية التى ابتليت بالإشراف عليها، ويحاول د. أحمد أمين التخلص منها فى الشهر القادم ، وإلقاء ذلك على عاتق غيره.. ولست مطيل التحدث إليك فأنا اليوم على ميعاد مع المدير وكامل بك مرسى للبحث فى نظام يوضع للقسم الإعدادى للحقوق - والظاهر أن النية متجهة نحو جعل الدراسة بكلية الحقوق بالفرنسية دون العربية، ونحو جعل القسم الإعدادى مدرسة شبه مستقلة يدرس الطلبة فيها اللغتين العربية والفرنسية فقط، وسيعهد إليك أنت بالإشراف على هذه المدرسة (لأنى عاوز أثبت فى الطلبة روح طه روح البحث والجدل والحناق العلمى) كما يقول أستاذنا لطفى السيد.

(....) لم يرشح بعد مكتب اتحاد الجامعات البريطانية أحد للكروسيين الخالين بالكلية :

كرسى أستاذ التاريخ المتوسط وكرسى التاريخ الحديث، غير أنه بلغنى أن المفاوضات لا تزال جارية بين الإدارة وبين المستر كوبلند بقصد حمله على العدول عن استقالته. هذا وقد قدم الأستاذ كوبلند إلى المدير تقريراً عن إصلاحات يرى إدخالها على نظام الكلية، ولم أطلع على هذا التقرير ولا بلغت الكلية مضمونه.

يظهر أن الوزارة ستفسر المادة الخاصة بتعيين عميد كل كلية بأن لوزير المعارف أن يعين عميد الكلية بعد أخذ رأى مجلس الكلية فى غير تقيد به، ويظهر أنها ستأخذ بهذا التفسير فى تعيين عميد كليتنا ويلوح لى أن النية متجهة نحو تعيين عميد أجنبى(....).

لقد تقدم للامتحان بالكلية (قسم الآداب) ٥٩ طالبا منهم ثلاث طالبات، و ١٨ طالبا من حملة تجهيزية العلوم، وللالتحاق بالقسم الإعدادى للحقوق ٥٤ طالبا منهم طالبة واحدة، وقد تم الكشف الطبى على الذكور منهم فى هذا الأسبوع ، وأما بالنسبة للإناث فسيكون ذلك فى الأسبوع القادم بواسطة طبية تنتدبها الإدارة.

لقد أوقفت لجنة البعثات البت فى أمر بعثة كلية الآداب وطلبت إلى الجامعة بيان الطلبة الذين يدرسون بالخارج والعلوم التى هم متخصصون بها، وعدد من يدرسون بالكلية من المصريين وبيان مؤهلاتهم وما ينتظر أن تحتاج الكلية إليهم فى المستقبل من المدرسين المصريين ، وقدمت إلى الإدارة مذكرة بينت فيها وجهة نظر الكلية وضرورة الموافقة على إرسال من رشحتهم الكلية لبعثتها . (....)

خالص احترامى

المخلص

عبد الحميد العبادى

البدار . البدار

وفى الوقت الذى كانت تعانى فيه الجامعة من صعوبات توفير أعضاء فى هيئة التدريس ، كانت بعض المناصب ذات الرواتب الوفيرة تجتذب أو تكاد بعض الأساتذة الموجودين بالفعل بكلية الآداب، ويعرض د. العبادى فى رسالة طريفة لهذه المشكلة التى أغضبت طه حسين، ويطمئنه أنه لا يزال صامداً، فيكتب إلى طه حسين من الإسكندرية فى ١١ سبتمبر ١٩٣٠، فيقول:

صديقي المفضل

ليت عزاما لم يفيض إليك بشئ مما هو جار، وليته إذ فعل كان أفضى إليك بكل الأمر حتى لا يتجزأ غضبك بل يقع دفعة واحدة ثم يعقبه سكون الرضا بما هو كائن أو ما لا بد أن يكون.

إن كلية الحقوق بعد أن صرفت النظر عن أحمد أمين أو بعد أن صرف هو النظر عنها عادت ترنو إليه، وعاد يرنو إليها، تلوح له بالدرجة الثالثة ومن ورائها الثانية فيميل إليها كل الميل، والدرجة الثالثة ومن ورائها الثانية مرجح لعمرك يرجح كل شئ ولو كان حلم السيد أحمد أمين. أما العبد الفقير كاتب هذه السطور فقد عرضوا عليه منصباً إدارياً مربوطه الدرجة الثالثة، غير أن صاحبه لا ييأس من الثانية. إحم! فكاد يستخف لبه ويتزلزل يقينه.

حقاً إنها لفتنة يا طه لمن كان أبا لأولاد يوشكون أن يكونوا خمسة، ثم هم لا تشبع هم بطن ولا تنقض لهم حاجة، هذا إلى أنه ليس من بين القائمين بأمر الجامعة من يصلح أن يكون عضواً بجمعية رعاية الأطفال.

وذكرت حفظك الله وأنت غضبان آسف، الكلية، والصدقة، وخدمة العلم. أما الكلية فلها رب يحميها كما حمى الكعبة من قبل. وأما الصدقة فباقية ونامية بإذن الله. وأما خدمة العلم فآه! ولكن ألا يمكن خدمة العلم خارج الكلية، أظن ذلك غير مستحيل على الله. أعود فأقول ليت عزاما أفضى إليك بكل الحقيقة، ولكنه سامحه الله أفضى إليك ببعضها، بحمسيها إن أردت الدقة في التعبير. ذلك بأنه هو نفسه مرشح لمنصب (ملحق أدبي) بالمفوضية المصرية ببلاد العجم. وهو فرح بهذا المنصب لأنه سيعينه على التصلع من الآداب الفارسية، وليقال عنه في المستقبل (عزام الأعجم) كما قيل زياد الأعجم، وليقال أيضاً عنه (إنه سابق المصريين إلى الأدب الفارسي) كما قيل عن سلمان (إنه سابق العجم إلى الإسلام). ثم إن أخانا الشيخ أمين الخولي قد عرف الأزهر له استقراره في ثيابه الشرقية الأزهرية، وهاهو يعرض عليه سكرتارية المشيخة الجليلة.

وزميلنا السيد إبراهيم مصطفى قد وقع اختيار الأزهر عليه لقراءة سيبويه، به، لأن الأهرين علموا أنه سيد من يقرأ سيبويه في هذا الأوان، على أنهم شرطوا عليه أن يعود إلى سابق ملبسه وإلا صرفوه. وها هو يجتهد في استيفاء هذا الشرط. فياسيدي طه البدار! البدار! قبل أن يصيب قسم اللغة العربية الاستعجام. قد أعذر من أندر، والسلام.

المخلص

عبد الحميد

تسرب الامتحانات

ويبدو أن مشكلة تسرب الامتحانات مشكلة قديمة، ففي رسالة العبادى إلى "سيدى العميد" من القاهرة فى ١٩ يونيو ١٩٣١م يقول بعد أن يتحدث عن مشاكل الجامعة والكلية مما سبق تناوله:

أما عن غيرهما فلاشك فى أنك قد سمعت بفضيحة الامتحانات العامة. فقد تسربت إلى الطلبة أسئلة الشهادة الثانوية بقسميها وكذلك بعض أسئلة الابتدائية وقد ألغت الوزارة امتحان الشهادة الثانوية واستعيده فى يولييه القادم.

وأخيرا يسرك أن تعلم أن علاقتى بالأخ أحمد أمين قد عادت إلى ما كانت عليه من الصفاء، والفضل فى ذلك يرجع إليك ثم إليه.

وفى خطابه يوم الجمعة ٩ يوليو ١٩٣١، يتحدث العبادى إلى طه حسين عن استخذاء الإدارة وتدخّل المالية فى استقلال الجامعة، فيقول: " .. أما سفرى وسفر الأستاذ سامى (جيرة) فمما لم توافق عليه المالية، وذلك راجع كما قيل إلى أن الإدارة لم تشجع المالية على الموافقة على سفر سامى. كما أنها من ناحية أخرى لم تعرض طلب انتدابى بما يفهم المالية وجه الغرض منه، وعلى ذلك فلست أدري ما يؤول إليه الأمر، أسفر أم إقامة. وعلى كل حال فهذا التصرف من الإدارة استخذاء منها للمالية وإهدار لاستقلال الجامعة الإدارى، ولو كنت عضوا بمجلس الجامعة لاحتججت على هذا التصرف احتجاجا شديدا".

المرشحوّن للتدريس العراق

ويتعرض د. عبد الحميد العبادى إلى ما أحدثته الوزارة الجديدة بالجازات الوزارة السابقة، فى رسالته المؤرخة بأغسطس ١٩٣١، فيقول:

قد يهملك أن تعلم شيئا عن بعض ماجد فى البلد... فاعلم أن النظام القديم لمعهد التمثيل قد ألقى وأن المعهد استحال إلى قاعة محاضرات عامة فى التمثيل يحضرها من يشاء، والناس فى ذلك بين حامد وناقم، فالصحف الوزارية تسبح بحمد الوزير وتهتف للشيخ أبو العيون، وصحف المعارضة تعتدى بذلك على وزارة المعارف وتعدّه رجوعا منها إلى الرءاء فى

أمر كان يجب عليها المضى فيه.

وقد نشرت صحف الصباح في هذا اليوم أن وزير المعارف يرى وجوب الفصل بين البنين والبنات في جميع معاهد التعليم حتى الجامعة وأنه كلم في ذلك لطفى بك".

* * *

وتقفز السنوات منذ إبعاد صدقي باشا لطفه حسين عن الجامعة لرفضه الكتابة في صحيفة حزب الديكتاتور ، لنصل إلى سنة ١٩٣٦ بعد عودة طه حسين، حيث يكتب العبادى فى السادس من أغسطس من نفس السنة حول بعض أمور الجامعة كعادته، فيقول:

سيدى الأستاذ العميد

تحية وسلاما إليك وإلى أهل بيتك الكريم، وبعد.. فقد وصلنى خطابك الذى تظهر فيه موافقتك على اقتراح معالى الوزير، ولكنى أخبرك أن هذا الاقتراح لم يرق الراسين من طلبة الجامعة فسعوا لدى الحكومة ورجال البرلمان فى أن تكون النسبة المثوية المنجحة ٥٠٪ بدلا من ٦٠٪ وأن يسرى ذلك على دورى امتحان هذا العام، وقد وفقوا فى سعيهم، وصدر مرسوم بذلك عرض على مجلس النواب، فوافق عليه بإجماع الأصوات، وهو الآن فى مجلس الشيوخ ولا يمضى يوم أو يومان حتى يصبح قانونا واجب التنفيذ.

أما المرشحون لوظائف التدريس بالعراق من خريجي الكلية فقد جاوز عددهم الأربعين وقد أرسلت أوراقهم إلى وزارة المعارف حسب طلب الوزارة الرسمى وموافقة المفوضية العراقية على أن تكون الوزارة هى المتولية لهذه المسألة...".



من أمين الخولى إلى طه : لن يختلسونى !

من الذى يعلم أن^(*) الشيخ أمين الخولى خريج مدرسة القضاء الشرعى، والذى لم يتخلل أبدا عن الزى الرسمى لرجال الدين، كان مؤلفاً مسرحياً لفرقة أولاد عكاشة ، فألف عددا من المسرحيات من أشهرها مسرحية^(١) "الراهب المتنكر" ، التى عرضت فى مسرح الأزبكية وقدمت على خشبة الأوبرا بغير اسم مؤلفها، فقد اختار الشيخ لنفسه اسم "كاتب متنكر" لأنه لم يكن فى استطاعة شيخ من قضاة الشرع أن يكتب للمسرح أو يكتب اسمه فى إعلانات مسرحية".

وهذا الشيخ المعمم "أصبح إماما للمفوضية المصرية بروما، وإماما للسفارة المصرية فى برلين، وتعلم الإيطالية والألمانية وكان ذلك بين عامى ١٩٢٣ ، و ١٩٢٧ عندما عاد إلى مصر مدرسا فى مدرسة القضاء الشرعى، حتى عين مدرسا بكلية الآداب فى جامعة القاهرة فى ٣ نوفمبر ١٩٢٨ بعد أن أغلقت مدرسة القضاء الشرعى أبوابها".

"ثم كان العمل العظيم الذى قام به الشيخ فى حياتنا المعاصرة ولخص فكرته فى: مناهج التجديد.. وظل طوال حياته يدعو إلى تأصيل هذه المناهج فى دروسه الجامعية ودراساته" و"هناك قضية أهم وأخطر.. وكان للشيخ فيها رأى.. وهى قضية تجديد الإسلام، وكان آخر كتبه هو كتاب "المجددون فى الإسلام".

و"الشيخ هو صاحب منهج تجديد الدراسة القرآنية على أساس علمى عصرى" و"هو صاحب منهج تجديد البلاغة والنحو" وكانت جماعة الأمانى التى أنشأها الشيخ أمين الخولى فى عام ١٩٤٤ برئاسته وعضوية أبنائه وتلاميذه من طلبة كلية الآداب قسم اللغة العربية قد لعبت دورا مؤثرا فى الأربعينات، والخمسينات والستينات، كما يقول الأديب فاروق خورشيد^(٢) "لا يشك أحد أن مجلة الأدب التى صدرت فى إبريل عام ١٩٥٦ عن جماعة الأمانى" قامت بفتح آفاق النشر أمام أجيال جديدة بالفعل من الأدباء الشبان أو الصاعدين" ، "ولعل هذا الاتجاه كان يكمل اتجاه أمين الخولى إلى تأصيل فكرة تواصل الأجيال من ناحية، وفكرة فتح الأبواب أمام كل المواهب من ناحية أخرى، لقد أوجد الخولى مدرسة بتلاميذه، حملت المجلة أفكارها وكان الشيخ أمين الخولى بأفعاله وأقواله نموذجا لرجل الدين المستنير.

(*) مواليد أول مايو ١٨٩٥ بقرية شرشاي بمحافظة المنوفية.

(١) الجديد ١٥/٣/١٩٨٠ عن مقال لتلميذه عبد المنعم شمس.

(٢) المصور ٣٠/١٢/١٩٨٣.

وفي الجامعة حيث عمل الخولي مع طه حسين يقول^(٣) "كنا نفهم أن البيئة الجامعية هي بيئة
الدرس المبتكر الموصول بالحياة وصلنا إيجابيا، فكنا نعمل على تحقيق ذلك ، وعلى إرساء فكرة
الدرس الحر المتجدد في نفوس طلابنا".

وفي رسالة الخولي إلى طه حسين يبيد شكوكه حول الأخبار التي وصلته حول اعتزام تركه
التدريس في الجامعة. فيقول:

تحريرا في ١٠/١/١٩٣١ مصيف ساحل البرلس

إلى الصديق النبيل

تحية وتمنيات طيبة. وصلتني رسالتك العذبة ، فكانت نفحة من جو فرنسا لظفت جوى
الحر الجفاف في جميع مناحيه ، وصلتني حين أنهيا للكتابة إليك بعدما حرمت من رؤيتك في
المنزل في اليوم الذي تواعدنا عليه . لكن كادت مشاغلي تحول حتى بينى وبين أيام على
الشاطئ لولا مغالبة شديدة طويلة، لقد حال سفرى مع مرض ابنى الكبير دون مسارعتي
بالرد. وزاد ذلك نسيانى العنوان في مصر ، فمعدرة عن هذا التأخر كله، ولى فى جميل
تلفظكم وكرم خلقكم ما يشفع لى ويقدر حالتى.

ذكرت أيها الصديق النبيل أمر اختلاسهم لى من الجامعة - كما سميت - وتركت لى
الرأى فى ذلك، وأنا فى هذا أجرى على ضرب من الإيمان أو الفلسفة أو الهرب من
المسئولية أو كما تسميه فلا أقدر ولا أحكم ، وكذلك لزمتم مذهبى فى هذه المسألة
العرضية فلم أعد أعرها اهتماما ولم أجد فيها ما يستحق إخبارك فلم أفعل، وإنما كان كلام
من هنا وهناك ورد فيه ذكرها، ولا أزال أرى ألا أعيرها عناية ما، وقد أحسنت كل
الإحسان إذا لم تقف عندها ولم تكثر بها.

وذكرت المحاضرة وأنتك من أجلها تفكر فى ، فانا سعيد أتم السعادة بهذا التفكير ،
ظافر بأكثر مما يستحق عملى من جزاء، وأن فى لذة الدرس والبحث كما تعرف - لذة
وسعادة كانت تكفى جزاء بل تربى، ولكنك بما عودتنا من نبل وكرم خلق تأبى إلا أن تجزيينا
أو فى الجزاء بل تزيد. أتمنى أن تكون والأسرة الكريمة على أتم ما يكون من صحة وطمأنينة
بال حتى تنال حظك من الرياضة وتنهض به من عمل عظيم فى تلك الأجازة، وإنى أرسل
إليك وإلى الأسرة أطيب تحية وأصدق سلام من صديق مخلص.

أمين الخولي

(٣) الإذاعة والتلفزيون ١٤/٤/١٩٧٩.

عبد الوهاب عزام خادِم الإسلام

د. عبد الوهاب عزام الذى خدم العروبة والإسلام مفكرا وأديبا وأستاذا جامعيًا ودبلوماسيًا ومترجمًا ، قدم إلى العربية شاعر الإسلام محمد إقبال وقال إنه أول من حمل إلى الناس كافة وإلى المسلمين خاصة فى هذا العصر رسالة الأمل والقوة الروحية والحياة، ومن الآثار التى تركها عزام "النفحات والشوارد" "محمد إقبال حياته وشعره" ، "مهد العرب" ، "رحلات" ، "التصوف" ، وترجم الكثير من الشعر الفارسى والتركى، وعمل مراقبا عاما لجمعيات الشبان المسلمين حتى وفاته، وكان عضواً بجماع سوريا والعراق وإيران ، فضلاً عن عضويته بجمع اللغة العربية، ولن نجد أفضل من طه حسين ليحدثنا عن عبد الوهاب عزام صاحب الحياة العريضة القصيرة، منذ ولد فى أول أغسطس ١٨٩٥ بقرية الشوبك محافظة الجيزة، ووفاته ١٩٥٩ ، وقد نعاه طه حسين فى مجمع اللغة العربية فقال عنه^(٤).

عرفته حين كان طالباً فى مدرسة القضاء وكان يختلف إلى دروسى فى الجامعة المصرية القديمة، وأشهد لقد كان أنجب الذين كانوا يختلفون إليها. كان من تلاميذ هذه المدرسة التى تعلم فيها المعممون من طلاب الأزهر إذ ذاك، كان يحسن لغتين أجنبيتين، ولست أنسى عجبى حين أردت أن أقرأ مع تلاميذى فى الجامعة كتاباً من كتب أرسطاطاليس فى النظام السياسى لمدينة أثينا، ولم يكن هذا الكتاب قد ترجم إلى العربية ، وأردت أن يقرأ أحد التلاميذ فتقدم عبد الوهاب يقرأ لى وأفسر أنا له ولزملائه. ومرة أخرى أردت أن أقرأ معهم مسرحية من مسرحيات أرسطوفان بالفرنسية فكان عبد الوهاب الذى يتقدم للقراءة دائماً.

ثم افترقنا، ذهب إلى لندن فى المفوضية المصرية هناك ، وفى أثناء ذلك اختلف إلى دروس الجامعة البريطانية - جامعة لندن - وتخرج فيها بعد أن تخرج فى مدرسة القضاء وبعد أن سمع الدروس، وإذا لم تخنى الذاكرة فقد ظفر بالليسانس من كلية الآداب القديمة من الجامعة المصرية الحرة.

ثم استدعيناه إلى كلية الآداب فى الجامعة المصرية الحكومية فرأيته وقد كان تلميذاً لى يصبح زميلاً لى فى كلية الآداب، بدأ مدرسا فى الكلية وما أسرع ما رقى إلى أستاذ مساعد ثم إلى أستاذ ثم أصبح عميداً لهذه الكلية، ثم افترقنا مرة أخرى حين اختطفه السلك السياسى من بيننا فمضى

(٤) جلسة الجمع ١٩٥٩/٣/٢٥.

هو يطوف في أقطار الأرض كما يقول المسعودي:

تيمم أقطار البلاد فتارة لدى شرقها الأقصى وطورا إلى الغرب

فكان في البلاد العربية وفي الهند وفي باكستان. كنا نلتقى من حين إلى حين في المجمع اللغوي حين يتاح له الإلمام بمصر. وأعترف بأنني لم أعرف أحدا كان أخف روحا ولا أسمح نفسا ولا أسجح خلقا ولا أرجح حلما من عبد الوهاب عزام. كان حديثه ظرفا كله حين يمزح وحين يجيد، وكان إلى هذا كله صاحب نزعة عربية حرة، سمحة مع ذلك، لا تعصب فيها ولا إلحاح. كان مؤمنا بأن وطنه هو أرض العرب كلها، لم يكن يؤمن بأنه مصري فحسب، وإنما كان في كل البلاد العربية مواطنا، كان يرى نفسه مواطنا عربيا ينزل في قومه حيث حل من هذه البلاد، ثم اقتضت به الأسباب السفر، فسافر إلى الهند وباكستان وألم بإيران وزار تركيا. وتظهر فيه نزعة أخرى فهو مسلم مخلص في إسلامه، سمح مع ذلك فيه، وهو مؤمن بأن كل دار الإسلام وطن له كما كانت الحال في العصور الإسلامية الأولى. وكذلك كان عبد الوهاب مسافرا قبل أن تشغله ظروف السياسة، وكان كثير الأسفار إلى البلاد العربية وإلى إيران وإلى تركيا، وكان يشهد بعض المؤتمرات العلمية - مؤتمرات المستشرقين بنوع خاص - وتشرفت بأن يكون زميلا لي حين شهدنا مع صديق لنا رحمه الله، أحمد أمين - شهدنا جميعا مؤتمرا للمستشرقين في مدينة بروكسل في بلجيكا. وأشهد الله فقد كان الوهاب مؤنسنا في تلك الأيام بدعاباته الحلوة، وإن أنس فلن أنس مداعبته لأستاذه وزميله أحمد أمين حين ذهب أحمد أمين إلى الحلاق في بروكسل ليصلح له من شعر رأسه وكان أحمد أمين يتكلم الإنجليزية ولا يتكلم الفرنسية، فجعل الحلاق يعث في شعره وكلما ألقى عليه سؤالا أجاب عليه "Yes"، حتى إذا فرغ الحلاق نظر أحمد أمين في مرآته فلم ير في رأسه شيئا وإنما كان الحلاق قد أتى على ما كان في رأسه من شعر، وتندر عبد الوهاب بهذا في أبيات لا أذكر منها مع الأسف إلا هذا البيت الذي لا يستقيم عربية لأنه لم يكن يريد أن ينظم شعرا عربيا:

ونظر الأستاذ في المرايه فلم يجد في رأسه شعرايه

وكانت حياة عبد الوهاب عزام بين أصدقائه فكاهة متصلة ودعابة حلوة، كان هو الذي يؤنس جلسائه، سواء زارهم أو زاروه، كان حلو الروح عذب الحديث مشرق اللفظ محببا إلى النفس لا يستطيع الإنسان أن يفر من هذه الجاذبية التي كان يمتاز بها.

وهو قبل كل شيء كان ممتازا بين زملائه جميعا في الجامعة لعنايته الشديدة جدا باللغات الشرقية. كان أستاذا للغة الفارسية في كلية الآداب وهو أول أستاذ مصري علم هذه اللغة لا في كلية الآداب فحسب بل في مصر في هذا العصر الحديث. وكان متقنا للتركية ثم لم يلبث أن تعلم الأردية، كان حريصا أشد الحرص على أن يحسن اللغات الشرقية الإسلامية ولم يكن علمه بهذه

اللغات علم رجل ذى أثر، يخص نفسه بالعلم ولا يفيض منه على المصريين والعرب شيئا، وإنما كان رجلا ذا إيتار يتعلم لنفسه من جهة ويتعلم قبل كل شئ لينفع قومه من جهة أخرى. وما رأيت في يوم من الأيام الا مشتغلا بترجمة كتاب من كتب الأدب الفارسية أو التركية أو الأردنية .

وبفضل عبد الوهاب عزام، استقر تدريس اللغة الفارسية والتركية في جامعة القاهرة وانتقل منها إلى جامعات أخرى ومعاهد أخرى للتعليم. وبفضل عبد الوهاب عزام أخذنا نعرف أدب الفرس ونعرف من آثارهم وأمورهم شيئا غير قليل.

ويكفى أن أقول أن عبد الوهاب عزام هو الذى أحيا "الشاهنامة" وكانت الشاهنامة قد ترجمت في أيام المماليك أو في أواخر أيام الأيوبيين إلى اللغة العربية ثم أهملت ونامت في المكتبات، ولم يذكرها أحد ولم يعرف عنها شيئا حتى تنبه عبد الوهاب عزام فأحيها وأتم ما نقص منها وأعاد النظر في الترجمة القديمة فصحيحها وجعلها ملائمة حقا للأصل الفارسي وتقدم بهذا الكتاب "شاهنامة" وبدراسة عنه ليظفر بدرجة الدكتوراه من كلية الآداب في جامعة القاهرة.

ثم مضى في ترجمة الآداب التركية والفارسية والأردنية. والأمة العربية مدينة لعبد الوهاب عزام أولا: بإحياء الشاهنامة ، وثانيا: بأنه نشر في اللغة العربية شعر إقبال سواء منه ما نظم في اللغة الفارسية وما نظم في اللغة الأردنية.

والأمة العربية مدينة له قبل هذا كله وفوق هذا كله بأنه وهب للأمة العربية تلاميذ نجباء يعلمون الفارسية في جامعاتنا الآن ويمضون على سنته في تعريب الأدب الفارسي ووصل الأسباب بين المسلمين من العرب والمسلمين من غير العرب. ولست أريد أن أسمى أحدا من هؤلاء التلاميذ ولكنكم ستسمعون الآن لتلميذ من تلاميذه هو الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب وهو خليفته على كرسي الأدب الفارسي في كلية الآداب.

ولم يكن عبد الوهاب عزام يشغل نفسه بما يشغل المسافرين به أنفسهم، ولكنه دائما مفكر، وكان دائما باحثا، كان دائما مفكرا فيما ينفعه وينفع به أمته. يذهب إلى البلاد العربية السعودية فيحاول أن يعرف موقع عكاظ ويقف عند دار خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر لنا آتساء كثيرة قلما كان الناس يذكرونها في هذه الأيام عن البلاد العربية. ويذهب إلى الهند وإلى باكستان فيفرغ لترجمة إقبال ويترجم له طائفة صالحة من دواوينه.

وكان أغلب شئى على عبد الوهاب عزام في حياته كلها منذ عرف اللغة الفارسية دراسته للمتصوفة وشعرهم وعلومهم، ولم يستطع أن يخلص من هذه الدراسة فقد غلب عليه التصوف وأصبح هو نفسه صوفيا إلى حد ما، كان يعايش الناس وكأنه واحد منهم ولكنه كان نجيا فيما بينه وبين نفسه حياة خاصة جدا لا يعرفها إلا الله وحده لأن هذه الحياة الخاصة كانت موقوفة على

معرفة الله، موقوفة على التفكير فى الله، موقوفة على الاتصال بالله . ولا يكاد كتاب من كتب عبد الوهاب يخلو من هذه التفحات الصوفية، وهو إذ يترجم لإقبال إنما هو يترجم لصوفى مثله. ولم تكن صوفية إقبال صوفية انقطاع عن الناس والدنيا وإنما كانت صوفية إصلاحية يريد بها أن يصلح من حال المسلمين جميعا.

فترون أن عبد الوهاب عزام مع أن حياته لم تطل كما نرجو أن تطول ، قد أتاحت له حياة عريضة كأعرض ما تكون الحياة ولكنها لم تكن كحياة ابن سينا تلك التى كان يؤثرها على الحياة الطويلة فقد كان ابن سينا يقول أنه يؤثر الحياة العريضة على الحياة الطويلة، ذلكم أن حياة ابن سينا كانت عريضة لنفسه وجسمه فهو قد ملأ الدنيا فلسفة ولكنه قد أخذ نصيبه من الدنيا ونعيمها ، وعسى أن يكون هذا هو من الأسباب الى قصرته حياته. أما عبد الوهاب عزام فقد كانت حياة عقله وحدها هى العريضة، كانت عريضة بانتاجه الذى لم يهدأ فى يوم من أيامه منذ فرغ من طلب العلم – وأريد منذ فرغ من طلب العلم على ذلك النحو النظامى المؤلف فى المعاهد والجامعات، فقد عاش طالبا للعلم ومات وهو يطلب العلم.

ولقد رأيت آخر مرة معنا فى المجمع اللغوى يجادل عن اللغة العربية ويجادل فى إصلاح الكتابة العربية ويحاول ما استطاع أن يتم هذا الإصلاح دون أن يمسه هذه الكتابة العربية التى بلتها العصور . كان ذلك يوم الخميس ثم سافر إلى الحجاز وبعد ذلك بيومين إلى نجد ثم لم يمكث إلا أياما قليلة حتى عاد إلى وطنه، ولكنه عاد إلى وطنه جسما بلا روح، أما روحه فليس لها وطن فى هذه الدنيا وإنما وطنها هو ذلك الوطن الذى عاشت له وعاشت به ، ولم تفكر حين كانت تخلو إلى نفسها إلا فيه وهو هذا الوطن الروحى القدسى الذى لا يتاح إلا للأخيار الذين سبق قضاء ربهم برضائه عنهم أبدا.

يرحم الله عبد الوهاب عزام ويعزى فيه أهله ويعزى فيه زملاءه ويعزى فيه الأمة العربية كلها، وما أرانى مبالغا حين أتمنى على الله أن يعزى عنه الأمة الإسلامية كلها فقد كان عبد الوهاب عزام فوق هذا كله خادما مخلصا للإسلام فى حياته كلها.

سررنى أن خسرتُ الصدق

وفى رسالة لعبد الوهاب عزام إلى طه حسين يعلق فيها على ما أسماه العميد مكرة العام الماضى، والننى تدور حول إخبار عزام للعميد بنية أحمد أمين ، وأمين الخولى، التخلنى عن التدريس بكلية الآداب لإغراءات مادية أمامهما، ولكنهما كذبا هذه الأنباء التى أقلقنت طه حسين عميد

الآداب، بينما الذى ترك التدريس هو عزام نفسه، بعد أن أغراه السفر للعمل الدبلوماسى ، يقول
عزام:

سيدى الأستاذ الجليل

أقدم لك وللسيده والنجلين أخلص تحية، وأدعو لكم بكل عافية وسعادة
جاء الكتاب الكريم وأنا فى غمرات من فهرس الشاهنامه ومقدمتها ومما ورطت نفسى
به من العمل فى كتب الأمير إبراهيم حلمى، ومن حر الصيف، فكان كتاب سيدى روحا
خففت بعض الآلام ، وجلا بعض الغمرات فأنشدن مع مهيبار:

أذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قربت من نزحا

ولسيدى الشكر العظيم على هذه الذكرى

وبعد فإن ما سميتوه مكرة العام الماضى كانت صدقا ولكنى حمدت الله على أن انقلب
الأستاذان عما عزمنا عليه، فانقلب الصدق كذبا، وقد سرنى أن خسرت الصدق وربحت
الأستاذين الصديقين. وفى كلية الآداب هذا العام أخبار وأخبار "وما معنا أن نرسل بالآيات
إلا أن كذب بها الأولون" وستعلم حين تقدم أنى لو أردت لأرسلت.

ضاق علينا زمن الأجازة ولا أزال ناصبا ، وأقصى ما أرجوه أن أظفر بأسبوعين قبل بدء
الدراسة ، فادع الله أن يظفرنى بهما.

ثم أختم بتكرار التحية والتسليم وتقديم أوفر الشكر

١٣ أغسطس ١٩٣١

المخلص

عبد الوهاب عزام

حزن وحنين

وفى رسالة تنقصها السنة التى كتبت فيها يستعيد عبد الوهاب عزام حنينه وذكرياته مع طه
حسين ، بعد أن فارقه إلى عمله الدبلوماسى فى الخارج فيقول:

أستاذنا الدكتور الكريم

السلام عليكم وكل عام وأنتم بخير

ولعلكم كما أرجو عافية وسروراً.

وبعد.. فقد سمعت صوت أستاذنا يتحدث عن الأدب العربي وما يأخذه المحدثون عليه،

فعادت بي الذكرى إلى سنوات هي أحسن ما في العمر ، وأحبّه.. وأوغل فكري في ذكرى كثيرة لسنوات طويلة، منذ جلست إليك لأستمع تاريخ اليونان، وأقرأ عليك كتاب تسديد إلى أن تركنا الجامعة أو افترقنا في الجامعة.

ويعلم الله أنى لأشفاق إلى مجلسك وحديثك حيثما كنت من الجزيرة العربية أو أرجاء الهند.

وقد منعني من الكتابة إليك بعد تجشمك المشقة للتكلم في احتفال أهل الجزيرة أن نفسى من هذه الذكريات ، وأخذها من الحنين ومن الحزن ما جعلها تهاب الكتابة وتشفق من إمساك القلم لتخط إلى الأستاذ بعض ما جال في خاطري ، بل سعد من زفرائى وسال من مآقى.

إن إعر شئ في هذه الدنيا ذكرى خلان اجتمعوا على طلب العلم فجمعهم الحب حيناً ثم افترقوا ، ولست أدري أهذه الذكرى أعظم لذة في الحياة أم أشد ألم. لقد قلت مرة إن عيب الدكتور طه في معاملته إخوانه أنه لا يرضن عليهم بما يستحقون وما لا يستحقون ، وأنه يسرف في رعايتهم، ويستحل المحابة لهم. اعترف بهذا من اعترف وججده.

وكذلك صدقت كلمتى يوم احتفال الجزيرة. ويشهد الله لقد عزمت على أن أزورك بعدها، فلما فاتتنى الزيارة عزمت على الكتابة فما نسيت وما تهاونت ، ولكن لم أجرؤ على الكتابة قبل هذه الساعة. وقا. أقدمت عليها وفي النفس حنين وفي العين دموع. ثم ختمتها عجزاً عن المضى فيها. وحسبى هذا العجز شكراً وثناء.

والسلام على أستاذنا الكريم ورحمة الله

المخلص

كراجى ١٩ رمضان

عبد الوهاب عزام

٢٣ مايو

الإسلام وأصول الحكم

يبين على عبد الرازق وطه حسين

يعرف^(١) الشيخ على عبد الرازق بكتابه القنبلة "الإسلام وأصول الحكم" .. بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام" والذي حطم به آمال الملك فؤاد في تنصيب نفسه خليفة للمسلمين بعد إلغاء خلافة أتاتورك، حيث قرر على عبد الرازق أن الإسلام دين فقط وليس نظاما للحكم، وأن الخلافة لا أصل لها في الدين ، وبإيعاذ من الملك تم اضطهاده وإخراجه من زمرة العلماء ، وإخراجه من وظيفته كقاضى فى محكمة المنصورة ، وبعد فصله حصل على الدكتوراه" فى الاقتصاد من جامعة أكسفورد، وبعد وفاة الملك فؤاد بدأ يعود إلى الحياة العامة وتولى وزارة الأوقاف .

وقد ارتبط طه حسين بآل عبد الرازق وكان دائم التردد على دارهم بل والإقامة فيها، وهم الذين ساعدوه كثيرا فى بعض المحن والأزمات المادية التى واجهها. ولم يتردد طه حسين فى الوقوف إلى جانب الشيخ على عبد الرازق فى محنته وراح يكتب "إبه أيها الطريد من الأزهر تعال نتحدث ضاحكين عن هذه القصة المضحكة.. يجب أن نحمد الله على السلامة.. فلو أننا فى تلك العصور التى يحكم فيها الأخبار والكهان لحرقت مع كتابك".

وقد كان طه حسين على موعد مع محنة شبيهة عندما أخرج كتابه "فى الشعر الجاهلى" ، ولم يعبأ "برأس الذنب الطائر" ، مما جعل البعض يظن أن طه حسين نفسه هو مؤلف "كتاب الإسلام وأصول الحكم".

والعلاقة بين طه وعلى عبد الرازق قديمة كما يقول^(٢) "عرفت الأستاذ على عبد الرازق منذ أيام الطلب فى الأزهر، ولم تقتصر علاقتى به وحده فقد شملت الأسرة كلها، وكانت لنا جلسات ممتعة فى بيت آل عبد الرازق فى عابدين ، وأذكر أننى رثيت والدته على عبد الرازق وكذلك والده وكان هذا الرثاء شعرا ونشر ذلك فى "الجريدة" "إن صلتى بعلى عبد الرازق كانت وثيقة جدا، وأذكر أن عليا وهو طالب فى الأزهر قد استأجر حجرة قرب الأزهر ليستريح فيها بين الدروس ، نظرا لبعده منزل الأسرة عن الأزهر، وكان يصبر على أن أذهب معه إلى هذه الحجرة

(٢) مواليد ١٩٠٨ بقرية أبو جرح بمحافظة المنيا.

(١) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره - د. محمد الدسوقي.

طوال فترة بقائه فيها، وكنا نقضى الوقت فى مذاكرة بعض العلوم وقراءة كتب الأدب" وبعد صدور الحكم على الشيخ على عبد الرازق "كتبت مقالين فى "السياسة" عن هذا الموضوع، وهاجمت شيوخ الأزهر لتجريدهم الشيخ على عبد الرازق من درجة العالمية وإبعاده من القضاء الشرعى، وخاصمت بعض هؤلاء مع اعترافى بفضلهم على مثل الشيخ سيد المرصفى، بسبب اشتراكه فى محاكمة الشيخ على" "والواقع أن الملك كان وراء محاكمة الشيخ على، كما كان من وراء ما أثير حول كتاب "الشعر الجاهلى"، وأذكر أن المرحوم عبد العزيز فهمى كان وزيرا للعدل حين صدر الحكم ضد الشيخ على فاستقال احتجاجا على هذا التصرف"^(**)، على أنى قرأت أصول كتاب الشيخ على قبل طبعه ثلاث مرات، وعدلت فيه كثيرا"^(***).

وسوف تدلنا الرسالة التى كتبها الشيخ على عبد الرازق إلى طه حسين على عمق الصداقة بينهما، وطرافة الجدل بينهما حول قضية: من أولى بالاهتمام: السياسة أم العلم؟

ملوك الشاى

يقول الشيخ على عبد الرازق فى رسالته:

عزيزى طه

أحييك وأحبيى زوجتك العزيزة وأنجالك وأبلغكم جميعا تحية عائلتى وأرجو أن تجدوا فى مصيفكم من الراحة والمتاع ما يزيدكم عافية وصحة وسعادة، ولعل أخانا مصطفى، واصل إليكم قريبا، فقد أنبأنى أنه اعتزم أن يبحر من مصر يوم ١٧ الجارى وأظن أنه ذاهب مباشرة إلى "ليدن" عن طريق باريس، أما أنا فمصيف بالإسكندرية مع زوجتى فى منزل استأجرناه، وقد وجدنا والحمد لله مقنعا فى هذا المصيف المتواضع وغنينا بمنظر البحر وهوائه وبمعيشتنا القانعة الهادئة فوق ربوة تشرف على البحر من قريب، وترينا حركة التيارات وتسمعنا صوت الأمواج، ونجد عندها سكنا ودعة واعتباطا، وهنينا لقوم آخرين المصايف الأخرى. وجميع العائلة تقريبا فى أبو جرج. وكلنا بخير والحمد لله.

لقد سرنى كثيرا أننى خطرت ببالك، وسرنى أكثر أنك كتبت إلى وأعجبنى هزلك وجدك، ونصحك ولومك، وخطأك وصوابك، وكل ما كتبت، فشكرا لك وهات زدنا من

(**) وانهار الائتلاف الحكومى وقتها.

(***) ربما هذا ما حدا بالبعض إلى الاعتقاد بأن مؤلف الكتاب هو طه حسين.

هذه الأحاديث، على أن شكرى إياك وإعجابى بك، وسرورى من أنك تفضلت فذكرتسى ، وكتبت إلى، لا تمنعنى من مخالفتك على بعض ما قلت خطابك، لا أبالى ضاق صدرك بهذا الخلاف أم اتسع، فقد أخذ الله علينا نحن الزعماء ألا نقر الناس إلا على الحق. ونحن نعلم أنكم يا رجال النبوغ العبقرى أخرج الناس صدراً بمن يخالفكم أو ينقدكم، والينهم أذنا لسماع المديح والتمليق ، ولكن الذى بنى على هذه الصفة نفوسكم، بنى نفوسنا على حب الخلاف والجدل واستكراه الملق والمديح، فأقام بذلك أسباب التفاوت كبيراً بين الزعامة الحقيقية والنبوغ الحقيقى حتى لا ينبغ زعيم ولا يتزعم نابغ ، ولا يتعارف نابغ وزعيم . ولولا أن الله حرق لك القاعدة وجعلك بين رجال العبقرية شاذاً فجمع فيك بين النبوغ والزعامة ، لما كان للتعرف بيننا من سبيل، ولكن الزعامة دوحه تضمنا معا، ثم يميزك بعد ذلك النبوغ المعقر، فإذا نحن مختلفان ، وإذا بعض الذى قلت فى خطابك الأخير يثير فى نفسى إنكاراً عليك ويفريها بالشغب والجدل. ولقد يكون من اللغو أن آخذ الآن فى مناقشتك بعد إذ تبينت فيك اجتماع العبقرية النابغة والزعامة ، وأنت تضيق صدراً بالخلاف والنقد، وتلين أذنك لسماع المديح والتمليق، ثم يتسع صدرك فتحب الخلاف والجدل، وتكره الملق والمديح وأن الله ألف فيك بين الغريب والغريب، والنقيض والنقيض ، فأنت تخلص ملحداً، وتلحد مخلصاً، وأنت تجد هزلاً وتهزل جداً، وأنت تطول أيامك فى باريس وتقصر، وأنت عن أصدقائك راضٍ ساخطاً وساخط راضياً. وبعد فهل يكون إلا من تخليط النبوغ بالزعامة أن يجد المرء شيئاً من اللذة المرة فى أمر من الأمور.

ولقد نعرف نحن الزعماء فقط أن المرء يكون على نوع من التساهل للذيذا ، فأما اللذة فلا نعرفها إلا حلوة ولا نستسيغها إلا كذلك فإذا أمرت فأنحرف والعياذ بالله فى الصحة وشئى فى الذوق، فأما أنتم أيها الزعماء النابغون فمذاهبكم فى الأمور غير مذاهبنا، وحكمكم عليها غير حكمنا، فعندكم البارد والحرار، والمربع والمدور، والسرور الحزين والبكاء الضاحك، ثم هل يكون إلا من تخليط النبوغ بالزعامة أن تريدنى على أن أفرغ وإياك "لهذا الجهاد العقلى الذى يجلو ويمر ويلد ويؤلم ، ولكنه يفيد الناس ويفيدنا نحن على كل حال" "وأن أترك السياسة لأصحابها وأصرف نفسى عن هذا النحو من اللعب المضنى إلى شئ من الجد فى العلم والدين" إلخ. لو أريت أيضاً أن أجعل هذه الدعوة موضع جدل بيننا بعد الذى قلت لك من قبل فلعل ذلك كلام جمع الله فيه بين أسرار الزعامة وأسرار النبوغ مما لم نصل إليه ولم نهتد بعد إلى حكمته ومعناه، ولكن الذى يستطيع أن يفهمه أمثالى من فقراء النبوغ والعبقرية هو أن مجال السياسة خير من مجال العلم وأجدى، وإلا فلتكن

السياسة والعلم على حد سواء. أما أن يكون هذا الجهاد العقلي الذى ذكرت خيرا من السياسة فشئ تقولون به أنتم نوابغ العلماء وحدكم - إلا فقولوا - لقد أخشى أن أكون من الملحدين فى العلم بأشد من إلحادك فى السياسة ، وأن يكون إنكارى عمل العلماء أكثر من إنكارك عمل السياسيين.

سألت مرة بعض الإخوان: ماذا يعيب الكون لو أن الله أرسل فى لحظة واحدة شيئا يدمر كل ما فى المكاتب العامة والخاصة من كتب قديمة وحديثة مطبوعة ومخطوطة، فلم يترك كتابا ولا صحيفة؟ أفهل يرجع ذلك بالعالم إلى الوراء، وهل يغير من نظامه شيئا؟ والآن أوجه إليك هذا السؤال وأزيد فيه، لو أن الله جمع أولئك العلماء وأعنى فطاحلهم - وفطاحل العلماء عندكم هم المنقطعون للعلم لا يريدون غير العلم - فرفعهم إلى السماء فى لحظة واحدة، أو خسف بهم الأرض حتى لم يبق فوق ظهرها كتاب ولا عالم من أولئك العلماء ، أفترى هل يضطرب لذلك شئ من نظام الكون وتنحط درجة هذا التمدن الحاضر، أم يعضى كل شئ فى طريقه قدما كأن لم يحدث حادث ، ولم ينقص من الدنيا عنصر من عناصر كمالها وبهجتها؟

وهل سيتعطل سير المراكب أو التزاموايات أو البوابير أو الأتومبيلات أو الطائرات، وهل تتأثر أثمان القطن وأسعار البورصة، وهل تسقط وزارة أو تغيير حكومة، أم ماذا يحصل فى الأرض أم فى السماء؟

إن غاية ما يمكنكم أن ترفعوا إليه قدر هذا العلم أن تجعلوه حشيشا كالذى يحرقه الحشاشون، أو دخانا يدخن، أو أفيونا يبتلع، أو حمرا تشرب، وغاية ما تصل إليه دور الكتب أن تكون غرزة أو قهوة أو حمارة ، وغاية أولئك العلماء ، وإياهم أعنى - أن يكونوا فى طبقة ملوك الشاى وأهل الكيف البارعين تطاردهم وتقاومهم وتنايذهم ، فإذا ماناهم أذى بكينا عليهم وقلنا كانوا جمال الأرض ومظهر التجليات الفنية ، وغذا الأرواح، كما بكت الجارية العجوز عمر بن أبى ربيعة لأنه كان أمير الغزل وشاعر التشبيب والنسيب .

فأما السياسة فأقل شأنها فى مصر أن ترفت عمدة أو تعينه، وأن تقدم موظفا أو تؤخره، وأن نرهب حاكما أو نؤمنه ، وأن ترضى أناسا أو تغضبهم ، فإذا ما ارتقت عن ذلك شيئا، ففسركات تنسأ، وفناطر تبنى واحتكاكات تعطى، ومشروعات - أعزك الله - قد تنفيذ الناس وتفيدنا نحن على كل حال . فإذا ما ارتقت عن ذلك فثمت من النعيم والملك الكبير ما تعرف وما لا تعرف، وما تفهم وما لا تفهم من لذة غيرة مرة، ومن جهاد يحلوه فلا يمر ويلذ فلا يؤلم.

وبعد فانت تشكك كثيراً في أن الزعامة السياسية مخصصة منتجة، فهلا شككت كذلك في أن الجهاد العلمى محضب أيضاً ومنتج؟ وهلا تأذن لى أن أشكك أنا ذلك الشك وأن أستعير بعض عباراتك وطريقتك فى التدليل، فأشفق عليك من زعامتك العلمية ، فهى ثقيلة شاقة لا تخلو من مرارة ، وربما شككت كثيراً فى خصبها وانتاجها لا لأنك عاجز عن أن تأتى بالمعجزات وتغير الحال بين مشرق الشمس ومغربها ، بل لأن بلادنا لم تنضج بعد ليشتغل فيها أمثالك بالعلم، فمثلك إنما ينتج بشرطين : الأول أن يشتغل فى بلد حر حقاً يجب الحرية كما يجب الحياة، ويحرص عليها كما يحرص على الهواء أو الماء، وما تزال امام مصر مسافة بعيدة جداً يجب أن تقطعها قبل أن تبلغ هذا الطور. الثانى أن يشتغل فى بلد قد بلغ الرشد وجاوز الصبى ، ومازلنا والحمد لله فى العلم أطفالاً وصبياناً، فلو تركت العلم لأصحابه وصرفت نفسك عن هذا النحو من اللعب المضحى إلخ. إلخ. وأرانى قد أطلت ولما أبلغ من القول ما أريد، ودون أن أبلغ المراد مسافات أخرى طوال قصار، ومتعبة مريحة، وخفية واضحة، أو لعلى قد بلغت بك الغاية من حيث تدرى ولا تدرى.

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة. وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم.

ففكر فى هذا وسأفكر فيه أيضاً حتى إذا التقينا إن شاء الله فقد ننتهى إلى قرار.

والسلام عليك ورحمة الله

٨ أغسطس ١٩٣١ بالإسكندرية

على عبد الرازق

الشيخ مصطفى عبد الرازق صاحب أول عمامة فى مجلس الوزراء

الشيخ مصطفى عبد الرازق^(١). هو أول وزير يدخل مجلس الوزراء وفوق جسمه الجبة وليس البدلة الأفرنجية ، وعلى رأسه العمامة وليس الطربوس، وفى داخل رأسه مزيج رائع من خلاصة أفكار الأفغانى وآراء الشيخ محمد عبده، لقد كان وزيراً للأوقاف، تعلم فى الأزهر، والتحق بجامعة السوربون ، وألقى محاضرات فى جامعة ليون، وعمل أستاذاً للفلسفة بآداب القاهرة، وصار شيخاً للأزهر فكان أول من أدخل اللغات الأجنبية إلى الجامعة الأزهرية، ويرى د. عبد الحميد يونس أنه "رائد الفلسفة الإسلامية فى مصر".

وندع د. طه حسين ليحدثنا بأسلوبه الفريد عن صديقه ، حين رثاه متذكراً مواقفه فى المروءة والصبر على أذى الناس.

يقول طه حسين فى رثائه الذى حرص على الاحتفاظ بنصه بين أوراقه:

العقاب على المروءة

"فما أعرف أن أحداً شكاه أو أضمر له شراً أو احتفظ له فى نفسه بموجدة أو ضغينة؛ لأنه كان مكفوف الأذى عن الناس جميعاً، مسووط الخير للناس جميعاً. وأكثر ما يسئ بعض الناس إلى بعض حين يعجلون فى الرأى والقول والعمل . ولم يكن يعجل فى شئ من هذا ؛ فلم يكن يسئ إلى أحد. وقد كان الناس يعجلون عليه فيلقونه بالكلمة النابية أحياناً، ولكنه كان يعرف كيف يستأنى بهم ويحلم عليهم ويردهم إلى الحياء من أنفسهم قبل أن يستحووا منه. وفى الطبيعة الإنسانية شر كثير ؛ فقد كان بعض الناس يكيدون لهذا الرجل الذى برئت نفسه من الكيد، ولكنه كان من طهارة القلب وصفاء النفس ونقاء الضمير بحيث لا يؤذيه كيد الكائدين. كان يرتفع عن

(١) مواليد ١٨٨٥ بأبو حرج بمحافظة المنيا.

(١) عادل اللك - أكتوبر ١٩٨٧/٦/١٤.

الصغائر كلها، وأى شئ أصغر من الكيد! كانت صلته بالناس كلها صفواً. وكان هذا الصفو يأتي منه أكثر مما يأتي من الناس؛ وكان هذا الصفو يأتي منه لأنه كان يستأني بالناس دائماً ولا يعجل عليهم فى شئ. وأذكر أنه فى ذات عام من الأعوام تعرض لبعض الشر فى منصبه الذى كان يشغله بوزارة العدل، فلم يعجل ولم يسرف على نفسه ولا على أحد بقول أو عمل، وإنما ابتسم للمكروه حين أقبل عليه، وابتسم للمكروه حين أدبر عنه، ولم يصرفه هذا المكروه لحظة عن حياته النقية الصافية، وصلاته الأبية الكريمة بالناس.

كان ثروت باشا رئيساً للحكومة، وكان الخلاف عتيفاً بين الحكومة والوفد، وكان سعد بعيداً عن مصر فى منفاه فى أقصى الشرق أو فى أقصى الغرب، لا أذكر. وكانت أسرة مصطفى عبد الرازق مؤيدة للحكومة مخاصمة للوفد، ولكن صلوات قديمة كانت تصل بين سعد وبين أسرة عبد الرازق، فلم تستطع الخصومة على عنفها أن تبلغ هذه الصلوات فى قلب هذا الصديق الكريم. وقرأ الناس فى الصحف ذات يوم أن مصطفى عبد الرازق مر بدار سعد وترك بطاقته لمناسبة عيد من الأعياد، فلم ينكر أصدقاء مصطفى من ذلك شيئاً. ولكن أيام العيد تنقضى ويستأنف مصطفى عمله فى وزارة العدل. وإته لقى ذلك وإذا الوزير يدعوهُ فيسأله: أفى الحق أنك ذهبت إلى دار سعد؟ قال مصطفى: نعم. قال الوزير: أتعلم أنك موظف، وأن الموظفين لا ينبغي أن يسعوا إلى الدار التى تخاصم فيها الحكومة؟ قال مصطفى: لا أعلم إلا أن بينى وبين سعد صلوات مودة قديمة، وأن أيسر الوفاء لهذا الود يفرض علىّ أن أمر بداره أيام العيد. قال الوزير: فإنك منقول إلى أسيوط. فلم يزد مصطفى على أن ابتسم وانصرف.

وكان ثروت باشا غائباً عن القاهرة، فلما عاد وصل إليه النبأ، فتقدم إلى وزير العدل فى أن يلغى هذا الأمر السخيف؛ لأن ثروت باشا كان كـمصطفى عبد الرازق يقدر صلوات المودة بين الناس، ويعلم أن هذه الصلوات حقوقاً لا يقصر فيها الرجل الكريم.

وأشهد لقد سمعت ثروت باشا يقول متضحكاً: سامح الله وزير العدل! يريد أن يعاقب رجلاً على مروءته".

"إن الذين يألون لفقد مصطفى من أهله وذوى خاصته ومودته من الأصدقاء الأقربين ومن الذين وصلت بينه وبينهم شؤون الحياة الاجتماعية لقليلون جداً بالقياس إلى هؤلاء الناس الكثيرين الذين لا يعرفهم أحد أو لا يكاد يعرفهم أحد، والذين كان مصطفى يتلقاهم كما كان يتلقى أرفع الناس قدراً، ويسعى إليهم كما كان يسعى إلى أرفع الناس قدراً، ويرفق بهم كما كان يرفق بأقرب الناس إليه وآثرهم عنده، لا يتكلف ذلك ولا يشق على نفسه به، وإنما يراه شيئاً طبيعياً لا يحتاج إلى جهد أو عناء. كان يصنع ذلك حين كان طالباً فى الأزهر، يسمر إذا أقبل الليل مع أرفع

المصريين مكاناً في داره، ويسعى إذا أقبل النهار مع الطلاب من جميع الطبقات، يسعى بينهم كواحد منهم لا يجدون منه كبراً ولا شيئاً يشبه الكبر. وكان يصنع ذلك بعد أن أصبح عالماً من العلماء وأستاذاً في مدرسة القضاء. وكان يصنع ذلك طالباً في أوروبا مع رفاقه من المصريين والفرنسيين جميعاً قبل أن تثار الحرب الأولى وبعد أن أثرت. وكان يصنع ذلك بعد أن عاد من أوروبا وقد شغل المناصب المختلفة في الأزهر ووزارة العدل وفي الجامعة بنوع خاص، في الجامعة حيث يسعى الفقر والغنى مصطحبين، يظهر الغنى نفسه في بعض الطلاب من القحة، ويخفي الفقر نفسه في كثير من الحياء. في الجامعة حيث يذهب بعض الطلاب في السيارات وإن قربت الدار، وحيث يذهب بعضهم سعيًا على الأقدام وإن بعدت الدار. في الجامعة حيث تؤدي قلة قليلة أجور الدرس عن سعة، وحيث تشقى كثرة كثيرة بالعجز عن أداء هذه الأجور. في الجامعة لا يكون الأستاذ الصالح أستاذاً صالحاً لأنه يلقى الدرس على وجهه ويعلم الشباب كما ينبغي أن يتعلموا فحسب، وإنما يكون الأستاذ الصالح أستاذاً صالحاً حين يتفقد شؤون هؤلاء الشباب في أناة وخفة ورفق، وحين يعلم من خفى أمرهم ما يعلم، فيصلحه بالحب والعطف والعون الذي لا يصدر عن تفضل ولا عن تطول، وإنما يصدر عن محبة ومودة، لا يكاد يشعر به من يبذله، ولا يكاد يشعر به من يتلقاه.

وأشهد لقد كان مصطفى أصلح الأساتذة جميعاً في كلية الآداب من هذه الناحية التي لا يكون الأستاذ أستاذاً إلا بها.

هذا بعض آثار الأناة في الصلات بين مصطفى وبين الناس. ولكن للأناة آثاراً أخرى في حياته الخاصة، في حياة مصطفى الأديب الذي لم يكن يحب التعجل بما يكتب ولا بما يقول، وإنما كان يختار اللفظ ويلائم بينه وبين المعنى، يبذل في ذلك أعنف الجهد وأقساه، يخلو إلى ذلك حين يتفرق عنه الناس أي حين يتقدم الليل. يقتطع لذلك من وقت راحته ومن الوقت الذي كان ينبغي أن يختص به نفسه وأهله. يحكم المعنى، ويحكم اختيار اللفظ لهذا المعنى، ولا يكفيه ذلك حتى يلائم بين اللفظ واللفظ وبين المعنى والمعنى، وحتى يخرج القطعة الأدبية كأنها قطعة الحلوى قد صبغت كأحسن ما يصاغ الحلوى على أدق أصول الفن وقواعده. وما أعرف أن أديباً معاصراً أتاحت له الإجابة الفنية كما أتاحت لمصطفى، ومصدر ذلك أنه كان يستأني بإنتاحه، ولا يعجل به.

وللأناة أثرها البالغ في حياة مصطفى الأستاذ، وفي حياة مصطفى الباحث، فلم يكن يجب أن يجلس بالدرس قبل أن يتقن إعداده كأحسن ما يكون الاتقان، ولم يكن يجب أن يتعجل تلاميذه بالفهم عنه، وإنما كان يأخذهم بالأناة في القراءة وفي الفهم وفي التفسير كما كان يأخذ نفسه بها. ومن أجل هذا كان له تلاميذ بأدق معاني هذه الكلمة بين الشباب الجامعيين. وكان يستأني

ببحثه عن أى مسألة من مسائل العلم، يستقصى ما وسعه الاستقصاء، ويحلل ما وجد إلى التحليل سيلا، ويقلب النص على كل وجه من وجوه التقلب، ولا يتعجل بعد ذلك بإصدار الحكم، وإنما يضع أمامك النصوص ويعينك على فهمها واستخراج الحقائق منها.

ومن أجل هذه الأناة كان مصطفى أديباً مقلاً، وعالماً مقلاً. وربّ قليل خير من كثير."

"وكان مصطفى أعرف الناس بحقوق العلم على العلماء. وما أقل العلماء الذين يعرفون ما للعلم عليهم من حقوق! إنها نكبة في الإصلاح بأوسع معاني الإصلاح؛ فقد كان مصطفى أحسن خليفة يمكن للأستاذ الإمام، ورث عنه علمه وطموحه إلى الخير، وأضاف إلى هذا التراث من العلم بالحضارة الحديثة شيئاً كثيراً. وأتيح له منذ تولى أمر الأزهر ما لم يتح لأستاذه من السلطان. فكان خليفاً أن يمضى بالإصلاح الدينى والعلمى والخلقى فى البيئـة الأزهرية إلى أبعد الغايات. وأشهد لقد كان يعمل لذلك جاداً، ولكن فى أناة ورفق.

رحم الله مصطفى! وأعزز علىّ بأن أملى هذا الدعاء. رحم الله مصطفى! لقد كانت الأناة أخص صفاته، ولكن الأناة ليست من صفات الموت. ليت الموت أستاذى بمصطفى ليم ما يسر له من الخير. ولكن الموت لا يستأنى بأحد. وربما كان أبغض شئ إلى الموت أن يستأنى بالأخيار من الناس."

طه حسين

رديئها وجيدها

وبين أيدينا رسالة من الشيخ مصطفى عبد الرازق أرسلها أثناء مصيفه بالخارج إلى طه حسين أثناء أزمة الشعر الجاهلى التى وقف فيها الأحرار الدستوريون بجانبه، ونصيحة ثروت باشا له أن يتوقف عن الرد والرد المضاد فى الصحف، فى الوقت نفسه قاومت الحكومة ضغوط المشايخ والتزمت بحماية طه حسين .

يقول الشيخ مصطفى عبد الرازق فى خطابه:

١٩ أغسطس ١٩٢٦

أخى العزيز

أما كتابك الأخير فقد حمل إلى أخبار مصر وتركنى غير محتاج إلى قراءة الجرائد ولا السؤال عن الأحوال ، وقد عملت بنصيحتك فى الهجوم ما استطعت، ولعل تأخير كتابى عنك من أثر هذا الهجوم.

ومالى لا أهجع وتهجع معى مادام ثروت باشا يوحى إلى "السياسة" أن لا تكتب لك شينا ، ويوحى إليك ألا تكتب فى الصحف أى أن تهجع بعبارة أخرى.

لما تركت مصر كان آخر ما عندى من أنباء كتابك أن شيخ الجامع حشد وفدا من الشيخ بخيت والشيخ قراعة وأضرابهما، وطلبوا من عدلى باشا أن يحدد لهم موعدا يلقاهم فيه فأبلغهم أنه مستعد لمقابلة شيخ الجامع وحده، وسمعنا أنه قال للشيخ : إننا الآن فى حكومة دستورية تسيرها قوانين ولا تملى عليها إرادة الشيوخ.

لكن "كوكب الشرق" بقى وحده بيدى ويعيد فى الرد على "الكتاب" بقلم مصطفى صادق الرافعى، فهل حدثت بعدنا تطورات أخرى؟

ولست أدرى بأسا بأن تستريح من الكتابة إلى الجرائد فى هذه الأيام عملا بمشورة ثروت باشا. وهل جاء ثروت باشا إلى أوروبا؟ فقد كنت أعلم قبل سفرى أنه على نيته الجنى بحرمه فى أوائل أغسطس.

فى "إكس" بعض المصريين ، بل إن معى فى الفندق منهم نساء ورجالا ، لكننى بعيد عن هؤلاء وهؤلاء، وكانت معنا أميرتان، أما إحداهما فشاب فى ميعته وأما الأخرى فشاب إلى حد ما ولكنها أقل ميعه، وقد مضتا إلى باريس من قبل أن أتعرف إليهما، كأنما كتب علينا ألا نجنى من تلك العائلة إلا أردأ ما فيها . ولتذهب إلى الشيطان بردينها وجيدها. وسلام عليكم جميعا وتحيات زكيات.

مصطفى عبد الرازق

مؤامرات السنهورى وتناقضات طه حسين!

د. عبد الرازق السنهورى عبقرى القانون الذى كان يوصف بأنه "يفلق الشعرة بالطول" ، يجمع بينه وبين عبقرى الأدب طه حسين أن كلا منهما قد تولى أمر وزارة المعارف ولكن فى حكومات متعادية، ورغم اختلاف المشارب السياسية التى مسار فيها الرجلين إلا أن بعض وجوه التقارب كانت تؤلف بينهما مع وجود بعض وجوه التباعد فى الرؤى والأفكار والنظرة للأشياء، وإن كانت السياسة قد أفسدت فى النهاية ما بينهما من ود وصداقة ، على الأقل من جانب طه حسين.

وأمر السياسة نفسها وتقلباتها غير المأمونة هى التى أفسدت كثيراً من العلاقات بين آدباء أصدقاء نتيجة لانتماؤاتهم الحزبية، وهى طبيعة العصر الذى لم يكن بقدرة الأديب أن يجتمى بأدبه دون اللجوء إلى حزب يستند إليه ويتحدث من خلال صحفه حتى وإن لم يكن عضواً فى الحزب أو حتى مقتنعاً بمجمل أفكاره ومبادئه، فكان انتقال الأديب بين الأحزاب ظاهرة أخذت عليهم ونالت من أقدارهم ومكانتهم الأدبية الرفيعة ، ولعل ذلك ما حدا بإحدى الصحف آنذاك لأن تنتقد هذا المسلك فى معرض الإعجاب بطه حسين والسنهورى ، وإن أرجعت المسؤولية فى ذلك إلى الأحزاب نفسها التى تريد أن تقوى نفسها بأمثال هؤلاء العباقرة، فتقول هذه الصحيفة "هو "أى السنهورى" وطه أستاذ جامعة، كل "منهما أهله مواهبه لالتقاط الأحزاب فجاء دورهما السياسى مثل البقعة السوداء فى الثوب الأبيض.." "مثل هؤلاء الأفاضل كان يجب ألا تتخلى عنهم الجامعة ولا مناصب الأستاذية ، ولكن ما الحيلة فى أساليب الأحزاب السياسية، إنها كلما افتقرت التقطت ، وكلما احتاجت اقتنصت"^(١) وقد كانت بعض مواقف وآراء طه حسين السياسية مما أخذ عليه لتحويله على سبيل المثال من ذم الملك والحملة عليه إلى الدرجة التى حاربه فيها الأخير وأغلق عليه كل المنافذ فى الجامعة والصحافة حتى اضطر طه حسين إلى التفكير فى الهجرة ومغادرة الوطن بلا عودة. وتحول طه حسين من معاداة الملك إلى الإشادة به وبوالده، مما جعل طه حسين يبرره بالمهادنة من أجل الهدف الأكبر الذى كرس حياته له من أجل نشر التعليم وجعله حقاً للجميع كالماء والهواء، وهو ما حاول تحقيقه أثناء تقلده لمنصبه كوزير للمعارف بعد اعتراض الملك على ترشيحه وإصرار النحاس باشا على نفاذ ذلك الترشيح وهو ما تحقق بالفعل.

(١) المصدر ١٩٤٨/٧/٩

وكذلك كانت الحالة بالنسبة لعبد الرزاق السنهورى الذى كان يضطر لمخالفة قناعاته بسبب السياسة ، أو كما تصفه الصحيفة المشار إليها سابقا أنه "يجيد الكلام كل الإجابة إذا اقتنع ولا يجيده متصنعا إذا لم يقتنع، فهو محامى القضايا السليمة ذات الوضوح لا القضايا العليلة ذات الرضوض والجروح، يملك زمام ذهنه ولسانه إذا تكلم وشرح شرح المحاضرين ، ويفلت منه الزمام إذا خطب بأسلوب السياسيين" ولعل هذا التناقض الذى شاركه فيه صديقه طه حسين هو ما حدا به "أى السنهورى" إلى اتخاذ مواقف متطرفة ضد الوفد وزعيمه حين صار وصديقه سليمان حافظ "المفتيان القانونيان للثورة ورجالها" حيث كان فيما يبدو يصفى حسابات قديمة لمعاداة الوفد له، لمشاركته الخارجيين والمنشقين على الوفد وزاراتهم التى اضطهدت الوفديين ونكلت بهم ، وقد دفع السنهورى ثمن تجاوزه عن القانون والدستور لصالح الثوار، وضد الوفد، ما انتهى به إلى الاختفاء عن الحياة العامة، لأن الاقتراب أكثر مما يجب من السلطة لا نتيجة له فى الغالب إلا الاحتراق، وإن كان طه حسين أكثر ذكاء وخبرة فى التعامل مع الثوار فكان اعتداله سببا فى نجاته.

الكوارث المنكرة

ومن العجيب أن السنهورى حين صار وكيلًا لوزارة المعارف التى صار النقراشى (أستاذه بالمدرسة الثانوية بالإسكندرية) وزيرًا لها ١٩٣٩ ، أبرق إليه طه حسين وهو فى باريس والحرب العالمية الثانية تدق أبواب أوروبا، مهنا إياه والنقراشى معبرا عن سعاده "لأن أمور وزارة التعليم قد صارت آخر الأمر إلى النقاء وطهارة الضمير" متمثلين فى الوزير ووكيله ، بل ويؤكد طه فى رسالته أن له فضلا فى المنصب الذى وصل إليه السنهورى، ومن العجيب أن طه حسين الذى عبر عن هذه المشاعر الفياضة نحو صديقه السنهورى. الذى صار وكيلًا لوزارة المعارف هو نفسه الذى اشتكى منه "حين عين وكيلًا لوزارة المعارف مع النقراشى، أخذ السنهورى يكيد لى ويتآمر على وأنا لا أدرى"^(١) وقبل أن نتحدث عن أسباب تهنة طه حسين للسنهورى ثم النظر بعد ذلك فى شكواه منه، علينا أن نقرأ رسالة التهنة أولا وهذا هو نصها كما كتبها أو أملاها طه حسين الذى أشار فيها على الوكيل ووزيره بما يجب لإصلاح التعليم، يقول فى :

(٣٠ أغسطس ١٩٣٩) حيث كانت الحرب العالمية الثانية تدق الأبواب.

(١) طه حسين يتحدث عن أعلام عصره - د. محمد الدسوقي - دار المعارف ١٩٩٢.

أخي العزيز

تحققت أمس أنك أصبحت زعيماً من زعماء التعليم بعد معالي الوزير فهمت أن أبرق إليك مهنتاً، ولكن استحييت من عامل البريد الفرنسي ، فإن هذه الظروف التي نحن فيها لا تسمح للناس بأن يتبادلوا التهئات مهما تكن أسبابها ومصادرها، واكتفيت إذن بأن أرسل إليك هذا الكتاب طائراً كما يقال إن كانت الظروف العامة لا تزال تسمح للرسائل بأن تطير.

وما أظنني في حاجة إلى أن أعرب لك عن اغتباطي بهذه التضحية التي فرضت عليك فلعل معالي الوزير يذكر أنني اقترحتها عليه حين كان وزيراً للمواصلات أيام حكومة الوفد. فأنا إذن سعيد لأن أمنيّة من أمانتي قد تحققت، وأنا أشد سعادة لأن أمور وزارة التعليم قد صارت آخر الأمر إلى النقاء وطهارة الضمير، وهل يستطيع الإنسان أن يتمنى خيراً من أن يكون النقراشي باشا وزيراً للمعارف والسنهورى وكيلاً.

وأنا أعلم أن النقراشي باشا لم يحسن إليك حين كلفك هذه المهمة ، فقد وضعك في بيئة ما أظنك تحبها حباً شديداً، وقد حملك أثقالاً ما أشك في أنك كنت تفضل عليها أثقال الفقه القديم والحديث ، ولكن التضحية واجبة على الأكفاء دائماً، وهي أوجب عليهم في هذه الظروف الخطرة التي تحيط بحياة الناس، وكل ما أتمناه الآن هو أن تصلح الظروف العامة وأن يظل السيف والمدفع صامتين ، وأن تظل الكلمة للعقل والقلب، فيستطيع وزير المعارف ووكيلها في مصر أن يصلحاً وأن يصلحاً كثيراً ، وأن يصلحاً في أشد مواطن الحياة المصرية حاجة إلى الإصلاح. وما أشك في أن وزارة المعارف ووكيلها يتمنيان ذلك أيضاً، ويقرران أن أساس الإصلاح التعليمي في كل مكان وفي مصر خاصة إنما هو تقديم الأداة قبل كل شيء. تقويم الديوان ، ثم تقويم المعاهد التي تعد المعلمين، فأما برامج التعليم ومناهجه فإن العناية بها تأتي بعد ذلك . ولكن أخشى أن أكون طفيلياً وأن أتحدث فيما ليس لي أن أتحدث فيه، فأنا رجل جامعي والجامعة مستقلة عن وزارة المعارف. ووزارة المعارف مستقلة ويجب أن تكون مستقلة عن الجامعة كما كان يقال في البرلمان منذ أسابيع. فتقبل إذن تهنتي خالصة صادقة بمنصبك الجديد وإن كانت وزارة المعارف أحق منك بهذه التهنة .

أما أنا يا سيدي فموحوس ("فمحبوس" كما تدل العبارة التالية وإن كان الذي أملاه طه قد أخطأ في سماعها ومن ثم في كتابتها) في فرنسا لا أدرى كيف أخرج منها في هذه الظروف العصية، فنحن مهددون بالكارثة بين حين وحين وما ينبغي أن نركب السفينة الآن لتعرض للخطر بعد يوم أو يومين ، ولست أنا بالذي يحسن الاجتهاد لنفسه ولأسرته إن حاق

بالسفينة بعض الخطر. فلا بد لي إذن من البقاء هنا حتى تنجلي الأزمة ولكن هل تنجلي؟ وعلى أى نحو تنجلي؟ أما إن صارت الأمور إلى السلم فإنى عائد إن شاء الله، وتارك كلود "الاسم الفرنسي الذى اختارته زوج طه لتنادى به ابنتها مؤنس" ليتم تعليمه فى باريس، وأما إن صارت الأمور إلى الحرب لا قدر الله فهذه عقدة العقد المعقدة تعقيداً كما كان يقال فى بعض القصص التمثيلية المضحكة، ولعلك تذكر أنى كنت طلبت أجازة طويلة فرفضت، فيظهر أن الأقدار تريد أن أمنح هذه الأجازة، وما أظن أن الحكومة المصرية تأبأها على، وأن كنت لا أدرى ماذا أصنع بها وقد تركت كتبى وسافرت سفر من قرر العودة. وإن كنت لا أدرى أيضاً كيف نعيش فى فرنسا بما يبقى لنا من مرتبنا بعد الذى نفقه منه آخر الشهر فى أداء ما لابد من أدائه.

هذه هى الخواطر التى نعيش فيها منذ أسبوع وهى كما ترى قائمة مظلمة أشد الإظلام، فلعل الله أن يصنع للإنسانية وأن يجنبها هذه الكوارث المنكرة.

وأنا آخر الأمر أريد أن أعتقد أن لى فى مصر أصدقاء لن ينسونى ولن يقصروا فى الاحتياط لمصلحتى، إن كان ما لا نرجو أن يكون.

وأنا أهدى إليك وإلى السيدة الجليلة والأنسة نادية (ابنة السنهورى) تحياتنا جميعاً طيبة صادقة وتهنئتنا جميعاً عميقة خالصة، وأرجو أن تقرآن تحيتى على حضرة صاحب المعالي الوزير. ولعل هذا الكتاب أن يصل إليك.

طه حسين

حياة القرن العشرين مع القرن الثانى

وتبدو مخاوف طه حسين واضحة من خطر قيام الحرب وهو فى باريس فيصبح أمر عودته لمصر صعباً إن لم يكن مستحيلاً وهو فى ذلك يستنجد بـ "أصدقاء لن ينسونى ولن يقصروا فى الاحتياط لمصلحتى"، ولعل من هؤلاء الأصدقاء د. عبد الرزاق السنهورى نفسه الذى يكتب إليه مهنتاً إياه كوكيل لوزارة المعارف فى ظروف "لا تسمح للناس بأن يتبادلوا التهئات" وهذه الصداقة لما تاريخ يعدد فيه طه حسين أفضاله على صديقه السنهورى، فيقول:

"بعد عودة الدكتور السنهورى من فرنسا وتعيينه بالجامعة، جاءنى يشكو لأنه لم يرق إلى درجة أستاذ، على حين رقى غيره، وقد سعت لترقية الدكتور السنهورى إلى درجة أستاذ،

وبعد مدة جاءني وطلب مني أن أسعى لدى مكرم كبيد لتعيينه قاضيا بمحكمة المنصورة المختلطة، لأن في هذا راتبا يفوق راتب الجامعة، وكلمت مكرم وصدر قرار بتعيين الدكتور السنهورى قاضيا بالمنصورة ، وبعد مدة جاءني وطلب مني أن يعمل فى قضايا الحكومة، ولم أضق بكثرة طلباته وكلمت الدكتور عبد الحميد بدوى (وزير الحقانية أو العدل الذى عمل وكيلا لمحكمة العدل الدولية الدائمة) فنقله إليها"^(١).

فما الذى يجعل السنهورى يتنكر لطفه حسين الذى أحسن إليه، ويظن أن "السنهورى يكيدي ويتآمر علىّ وأنا لا أدري".

لا يذكر لنا طه حسين نوعية هذا الكيد أو نوع ذلك التآمر ، الذى يبدو لنا أنه ليس له مبرر على الإطلاق من السنهورى تجاه طه الذى كان مفيدا له طول الوقت رغم "كثرة طلباته ورغباته". ورغم إحساس طه حسين بأنه قد فقد مودة وصدقة السنهورى بسبب إحساسه بتنكره له، إلا أن ذلك فيما يبدو لم يكن منيا على حقائق وأدلة وبراهين حقيقية بدليل أن مواقف طه حسين تجاه السنهورى بعد ذلك لا تدل على رد فعلى سلبى تجاه السنهورى بل هى مواقف تدل على دوام الصداقة والحفاظ عليها. كما سوف سنرى بعد قليل؟

إذن فما الذى كان يجعل طه حسين يستشعر مثل هذا التنكر من صديقه مقابل إحسانه له؟

يفسر لنا توفيق الحكيم (والذى كان صديقا أيضا لطفه) ، مثل هذه الأمور من طه حسين بسبب وشاية أو سوء فهم من طه لآراء أو تصرفات بعض أصدقائه دون أن يقصدوا إلى الإساءة إليه، فيرى الحكيم "أن الحساسية عند طه حسين كانت تضخم له هذه الأشياء وأمثالها مما كان يتراكم فى نفسه دون أن يظهره".

وهو ما فعله مع السنهورى فلم يعرف أحد بمشاعره نحوه إلا بعد موته من خلال إفضائه لسكربتيره الأخير محمد الدسوقي الذى نشره فى كتاب أشرنا إليه سابقا، ولولا ذلك ما عرفنا شيئا مما تراكم فى نفسه، إلا أن يفضى به إلى صديق أو يظهره هو بعد أن يكون قد مضى وقته وانقضى زمنه كما فعل مع العقاد بعد موته فأعلن أنه لا يفهم عقرياته ، وقد كان من قبل قد بايعه بإمارة الشعر، وكما فعل مع صديقه د. محمد حسين هيكل بعد موته ، فلم يعلن غضبه منه فى حينه، بعد أن ظن أن د. هيكل قد حرض عليه الطلبة للاعتداء عليه فى حين أنه كان قادما لزيارة لطفى السيد فى الجامعة هو وتلميذه حافظ محمود ، فاستثمر بعض الطلبة الموالين للأحزاب الأخرى ، وجوده فألقى عليهم كلمة كزعيم للمعارضة، فهتفوا ضد الوفد وزعيمه ومن والاهم

(١) طه حسين يتحدث - السابق.

كطه حسين الذى اقتحموا مكتبه، ولولا أن حافظ محمود شهد الواقعة فى حينها وأوضح لطه حسين حقيقتها، لظل سوء الفهم والشعور بالمرارة قائما فى نفسه من صديقه د. هيكل، وهكذا يمكن أن نفهم حساسية طه حسين تجاه بعض الأشخاص والأحداث أو كما يصفه صديقه أحمد أمين بأن "صداقته متعبه وعداوته أيضا متعبة"، ويزيد الأمر التباسا وتعقيدا قدرة طه حسين على كتم مشاعره المؤلة تجاه أصدقائه فلا يظهرها ولا يواجههم بها، فيظل سوء فهمه لهم معلقا فى نفسه، ومما يزيد الأمر غرابة فى نفس الوقت هو استطاعة طه حسين أن يتجاوز تلك المشاعر السلبية دون أن ينساها، وتبدو لك صداقته قوية بغير شك أو لبس لأن مواقفه تجاه تلك الصداقات رغم ما فى نفسه تجاهها، لا تظهر على حقيقة ما فى نفسه وما يعتمل فيها، فرغم مشاعره تجاه صديقه السنهورى إبان توليته وكيلا لوزارة المعارف، بسبب اعتقاده أن السنهورى يكيدله ويتآمر عليه، رغم إحسانه إليه، إلا أن طه حسين يرى (أن نكران الجميل لا يؤثر فى نفسى لدرجة أن يحول بينى وبين عمل الخير ما استطعت) ولعله من هذه الرؤية لم يتردد لحظة واحدة فى الاستعداد الصادق للوقوف ضد الملك فاروق الذى يريد حل مجلس الدولة الذى يرأسه صديقه السنهورى، وذلك للتخلص منه بسبب عداوته له، بل وقيام طه حسين الذى كان وزيرا فى ذلك الوقت باستعداد رئيس الوزراء النحاس باشا ضد الملك بسبب موقفه، والاتفاق مع النحاس باشا إن أقدم الملك على خطوته العدائية هذه، فلا يبدل عن تقديم النحاس لاستقالة حكومته احتجاجا على تصرف الملك ضد السنهورى ومجلس الدولة إن خرجت نواياه إلى حيز التنفيذ، والقصة كما يرويها محسن عبد الحافظ أحد أصدقاء السنهورى (الذى شغل منصب نائب إدارة الفتوى والتشريع بالكويت) هى أنه "حين أوعز الملك وحكومته إلى أحد النواب بمجلس النواب للتقدم بمشروع قانون يقضى على حرية الصحافة، وطلب الديوان الملكى من مجلس الدولة إعداد مذكرة فى هذا الشأن تؤيد ذلك المشروع، كانت كلمة السنهورى - رحمه الله - لعضو مجلس الدولة الذى كلفه بإعداد تلك المذكرة: (اسمع يا فلان لا تدخل ذلك التهديد فى حسابك، فليبلغوا مجلس الدولة إذا شاءوا، اكتب المذكرة كما يمليه عليك ضميرك ... فإما أن يكون هناك مجلس دولة أو لا يكون). وقد كان وقدمت المذكرة إلى السراى على غير ما كانوا ينتظرون، إذ جاءت إنكارا لمشروع القانون ودفاعا عن حرية الصحافة"^(١).

ولذلك - يكمل طه حسين الصورة - "حاول الملك فاروق إلغاء مجلس الدولة - حينما كنت فى الوزارة - وهذا من أجل التخلص من الدكتور السنهورى رئيس المجلس، فقلت للنحاس: أبلغ الملك أننا نرفض إلغاء مجلس الدولة، وإذا كان الملك مصراً على ما يريد فستقدم الوزارة استقالتها،

(١) مجلة العربى الكويتية ١/٥/٧٤.

وسكت الملك عن محاولة إلغاء مجلس الدولة أمام هذا الموقف المتشدد^(١) ولا ندرى كيف اقتنع النحاس بمشورة طه حسين ، وحكومة النحاس نفسها هي التي أرادت التخلص من السنهوري "بمحنة أنه كان وزيرا حزبيا في وزارة حزبية (إشارة إلى وزارته للمعارف في حكومات الأحزاب المناوئة للوفد"^(٢)) ، ورفض السنهوري الإدعان للحكومة وناصره في ذلك جميع مستشاري مجلس الدولة" وكانت تلك هي الأزمة الأولى مع مجلس الدولة ١٩٥٠ ، تلتها أزمة أخرى في العام التالي أطلقت عليها أزمة الصحافة وهي التي أشرنا إليها سابقا، وكانت الحكومة القائمة في الأزمتين هي حكومة الوفد، والنائب الذي تقدم بمشروع تقييد حرية الصحافة كان نائبا وفديا، واتسعت جبهة المعارضة لذبح الصحافة لتصل إلى أعضاء بارزين من الوفد نفسه كان على رأسهم وزير الخارجية محمد صلاح الدين الذي عارض بشدة هذا المشروع ، فكيف تسنى لطله حسين أن يستعين بالنحاس رئيس الحكومة التي تقدم أحد نوابها بتشريع كهذا إلا أن يكون الأمر متوقفا عند هذا الحد فقط ، حتى إذا تعدى الأمر مجرد الرغبة في إصدار قانون أراداه الملك ولم تعارضه الحكومة ، فتعداه إلى إلغاء مجلس الدولة كان على الحكومة أن تفترق مع الملك، مما جعل النحاس مستعدا لأن يعود إلى مواقفه الصلبة فاستجاب لمشورة طه حسين ليحول بين الملك ورغبته في إلغاء مجلس الدولة، وهو ما حدث بالفعل كما ذكر طه حسين، ثم يقف طه حسين موقفا إيجابيا آخر عندما كان رئيسا للمجمع اللغوي والسنهوري عضو فيه، فنجح بعد رجائه في إقناعه بالعدول عن استقالته التي كان قد قدمها بالفعل في أولى جلسات الجمع في دورته الجديدة في شهر أكتوبر ١٩٦٦ ، وذلك لرغبته في التفرغ لإنهاء موسوعته عن القانون المدني.

مثل هذه المواقف من طه حسين لا تدل إلا على الصداقة الصادقة والمودة غير المصطنعة ، مما يدل على أن طه حسين كان يحتفظ في نفسه فقط بأثر المواقف التي يظن أنها قد أساءت إليه، ثم لا يجعلها تتحكم في سلوكه نحو من ظن أنهم تنكروا له. وتلك تمثل قدرته على التكتم نحو سلبات أصدقائه فلا يظهرهم عليها، أما أعداءه أو من يظن أنهم أعداءه فيأدهم عدااء بعداء ويواجههم بقوة وشجاعة نادرة دون خوف أو حساب للعواقب، فعل ذلك مع رئيس الوزراء الديكتاتور إسماعيل صدقي رافضا التعاون مع صحيفة الحزب الذي يرأسه، وتحمل في سبيل ذلك كل سبل الحصار والتضييق التي فرضها عليه الديكتاتور إلى درجة أنه فكر في الانتحار، ففكرة الانتحار لديه أهون من فكرة الخضوع والاستسلام لعدوه حتى لو كان رئيس الوزراء بنفوذه وجبروته، وحين كان منتدبا كمدير لجامعة الإسكندرية واستشعر أن رجل القصر الذي جئ به سكرتيرا عاما

(١) طه - مجلة العربي الكويتية ١/٥/٧٤.

(٢) الوفد ٣/٩/١٩٩٩ طلعت الغرياني.

للجامعة ، قد وضع عينا عليه لمراقبته وإعاقته عن الارتقاء بالجامعة، لم يتورع عن مجابته وكشفه أمام الجميع مخاطبا إياه "ما أنت إلا كبير الكتبة" ليضعه بذلك في حجمه الطبيعي.

وهكذا كان طه حسين رفيقا بمشاعر أصدقائه فلا يسوءهم بإظهار مشاعره نحوهم حتى لو أساءوه أو تنكروا له ، ولكنه على النقيض من ذلك تجاه أعدائه لا يحتاط للنتائج ويبادرهم بسهامه وسخريته فينال منهم غير هيب بما سوف تسفر عنه المعركة من خسائر قد تصل إلى حد إجاعته وتشريده، فهو رحيم شديد الرحمة على أصدقائه حتى ولو على حساب نفسه، وهو على أعدائه حرب عليهم شديد الحرب، وهكذا كان طه حسين يجمع بين المتناقضات إلى أبعد الحدود، وهو يعترف بذلك بل ويجد فيه متعة ولذة ، فيقول "من أهم الأشياء التي تعجبنى فى حياتى كلها وتلذ لى : المتناقضات ، ووقوعها عندى فى وقت واحد"^(٣) ويضرب لذلك الأمثلة من قبيل "ما يحفزنى على الكتابة والتأليف فى شئون عربية بحثه ، أن أكون فى بيئة أوروبية صرفة، فأعيش حياة القرن العشرين مع القرن الثانى فى وقت واحد". فالمتناقضات هى فلسفة طه حسين فى الحياة وفى الإبداع.

مع المرأة وضدها

أنظر وتأمل معى شكواه العجيبة إلى صديقه السنهورى، حين يشتكى من التعب وهو أمر مفهوم، ثم يشتكى من الراحة أيضا، فأى شئ أدل على التناقض الذى جمعه شخصية طه حسين أشد من هذا التناقض، الذى لم يجد السنهورى تفسيراً له إلا أنه من "أعراض الجنون" يقول السنهورى فى معرض رده على رسالة لطفه حسين أرسلها إليه فى باريس حيث مصيفه هناك فكتب إليه من "القاهرة فى ١٢ أغسطس ١٩٣٥ :

"تزعم أنك لا تعرف إلا السأم والملل. تشكو التعب فى القاهرة ، وتشكو الراحة فى فرنسا . لا أشك فى أن هذا الكلام يحمل فى طياته أعراض الجنون. فاسمع نصيحة عاقل: إذا كنت تشكو التعب فى القاهرة وترتاح فى فرنسا. فما عليك إلا أن ترتاح فى القاهرة فلا تشكو تعباً، وأن تتعب فى فرنسا فلا تشكو راحة. هذا هو العلاج الناجع. ولا أتقاضى منك عليه أجراً وإن كلفتى كثيراً من التفكير العميق فى التعرف على حقائق الأشياء واكتناه أسرارها". وهكذا رد السنهورى على شكوى صديقه طه حسين بمل يجمع بين الفكاهة والسخرية، وهو ما

(٣) أهرام ٧ أكتوبر ١٩٣٨.

يجمع أيضا بين طه والسنهوري في بعض طبيعتهما التي قد تبدو جادة شديدة الجدية، إلا أن بعض المواقف سرعان ما تكشف عن روح مرحة ساخرة.

وليست هذه فقط إلا إحدى نقاط الاتفاق والالتقاء بين الرجلين على ما بينهما من اختلاف في الشخصية والرؤية للأشياء.

فإذا صح أن طه حسين هو عميد الأدب العربي الذي وضع أساسا للمنهج النقدي في الأدب العربي، فإن السنهوري هو "الإمام الخامس" بعد الأئمة الأربعة، كما تراه وتنظر إليه البلاد العربية التي وضع قوانينها، لبقانون المدني الذي وضعه لمصر ١٩٤٨ استزدت مصر سيادتها التشريعية بعد إلغاء الامتيازات التشريعية القضائية الأجنبية، وإلغاء المحاكم المختلطة، وأصبح القانون المدني الذي وضعه لمصر هو المصدر الذي استلهم منه القوانين التي وضعها لبلاد العربية، أو التي وضعتها البلاد العربية مستمدة منه مع بعض التعديلات التي اقتضتها ظروف كل دولة، وهذا القانون الذي استفادت به كل من: مصر وسوريا وليبيا والعراق والجزائر والأردن والبحرين والسودان والكويت واليمن، وضعه السنهوري في عشرين سنة في (١٢) مجلدا في نحو (١٥) ألف صفحة، هذا القانون كان "سببا في إيجاد وحدة فكرية في الميدان القانوني بين أبناء البلاد العربية" وكان السنهوري "يؤمن أن توحيد القوانين هو إحدى الوسائل الناجحة لتوحيد الأمة العربية"^(١). ويرى طه حسين في الثقافة وسيلة أخرى ناجحة لتوحيد العرب.

وإذا كان طه حسين أديبا اشتغل بالصحافة فقد تبنى السنهوري "لو تم لي أن اشتغل في الأعمال الحرة لاشتغلت بالصحافة و"المخامة"^(٢) ويقابل أمنية السنهوري التي لم تتحقق أمنية لطه حسين لم تتحقق أيضا، فقد أراد أن يدرس القانون إلى جانب دراسته للآداب، وما أكثر مالم نفسه وشق عليها في اللوم لأنه لم يتم ما حاول من دراسة القانون (انظر "الأيام" لطه حسين) وتجمع الصديقين ثقافتهم الفرنسية، وحصولهما على الدكتوراه من فرنسا، أحدهما في الآداب والآخر في القانون.

وقد وصل كلا منهما إلى منصب الوزارة، تقلدها السنهوري أكثر من مرة في الفترة ما بين سنة ١٩٤٥ حتى ١٩٤٥ كوزير للمعارف أربع مرات على التوالي في وزارة أحمد ماهر، وزارة النقراشي الأولى والثانية، وزارة إبراهيم عبد الهادي، وكلها حكومات مناوئة للوفد، ورؤساؤها قد انشقوا عن الوفد.

(١) عبد الباسط الجميبي - مجلة الفكر المعاصر ١٩٧١.

(٢) عبد الرازق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية - نادية السنهوري - توفيق الشاوي - دار الزهراء العربي.

بينما طه حسين قد تولى وزارة المعارف لمدة سنتين فى وزارة الوفد الأخيرة (١٩٥٠-١٩٥٢). وكان طه حسين مشغولا بمجانبة التعليم باعتباره حقا للجميع كالماء والهواء، وأبلى فى ذلك بلاء حسنا حينما تولى الوزارة فنجح فى جعل التعليم مجانيا فى المرحلتين الابتدائية والثانوية، ولولا اعتراض الملك لجعل التعليم الجامعى مجانيا إلا أن الملك فاروق رفض "بشدة" وقال للنحاس: إن طه يريد أن يجعل البلد شيوعية^(١).

أما السنهورى كوزير للمعارف فتبدو جهوده مجهولة فى هذا الشأن بالمقارنة لصديقه طه حسين، ولكننا سنحاول الكشف عنها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وسنلاحظ أول اهتمام للسنهورى بالتعليم فى رسالته إلى طه حسين ١٩٣٥ التى أشرنا إليها سابقا حين يقول "وما دام مقضيا على الإنسان أن يكافح فى الحياة فلا أقل من أن تعطى الناس جميعا أسلحة متساوية لهذا الكفاح، وأرى أن خير وسيلة لذلك هو أن يجيبى من الميراث ضريبة كبيرة تصرف فى تعليم أبناء الأمة جميعا بالجان وفى إعطاء كل منهم القدر الذى يلزمه من المال للدخول فى معترك الحياة. ثم يترك بعد ذلك إلى كفايته وجهوده"، بل إننا نعتز على اهتمام السنهورى المبكر بالتعليم فى "أوراقه الشخصية" التى كان يكتبها لنفسه ونشرته ابنته بعد رحيله، حيث يرى أن التعليم شاغل أساسى من مشاغله وطموحاته لنهضة مصر، يكرر الحديث عنه بطول أوراقه الشخصية فى أكثر من موضع من مواضع تلك الأوراق والمذكرات، بدءا من المذكرة الثانية والعشرين التى كتبها فى مدينة "ليون" الفرنسية أثناء دراسته هناك للحصول على درجاته العلمية، فيكتب "عن الجنديّة والتعليم" فيقول "أرى أن أول إصلاح يجب إدخاله فى الأمة المصرية هو جعل الجنديّة والتعليم إجباريين" بينما يرى طه حسين التعليم أيضا إجباريا، وإن زاد عليه السنهورى تقديمه للجنديّة على التعليم فيقول "وفى اعتقادى أن نهضة الأمة الألمانية فى العلم والصناعة جاءت تالية لنهضتها الحربية والسياسية ومؤسسة عليها". بينما طه حسين يرى أن التعليم مقدم على كل شئى اللهم إلا المسألة الكبرى التى كانت تشغل مصر آنذاك وهى قضية الاستقلال، ولم يربط طه حسين التعليم بالجنديّة كما فعل السنهورى، بل ربطه بالحياة الديمقراطيّة السليمة كأساس تقوم عليه، وكمفتاح تؤدى إليه.

وكان السنهورى ينادى بتوحيد التعليم العام والأزهرى، وهى نفس دعوة طه حسين من أجل توحيد الأمة "فطالب بالقضاء على ثنائية التعليم عن طريق تطوير الأزهر، وتوحيد التعليم فى المرحلتين الإعدادية والثانوية، وهو ما أشار به على عبد الناصر قائد الثورة، وتحقق له بالفعل. وإذا

(١) طه حسين يتحدث - السابق.

كان السنهورى يرى التعليم إجباريا للذكور والإناث من منطلق إسلامى لقوله صلى الله عليه وسلم "العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" فقد كان طه حسين أول من أدخل المرأة ، التعليم الجامعى سراً بالاتفاق مع لطفى السيد تجنبا لثورة الرأى العام المحافظ تجاه تعليم المرأة، وفى الوقت الذى اتفق فيه الصديقان على حق المرأة فى التعليم اختلفا فى رؤيتهما لتقلدها المناصب العامة، فبينما لا يقيد طه حسين ذلك بقيود أو شروط إلا الكفاءة والموهبة، يرى السنهورى أن الأمر يحتاج إلى التدرج، تتذكر زوجته "حينما كان وزيرا للمعارف حان ترقية السيدة إنصاف سرى" ناظرة الثانوى إلى مدير عام، فاتصلت بى السيدة هدى شعراوى تريد ترقيةها إلى وكالة وزارة انتصارا للمرأة وتشجيعا لها .. فقال إنها تستحق أن تكون وزيرة ، ولكن لكل أمر وقته وزمانه"^(٢) وإذا كان طه حسين قد أسس جامعة الإسكندرية ثم صار مديراً لها، فقد كان السنهورى هو الذى وضع مشروع قانونها سنة ١٩٤٢ . ويذكر السنهورى أنه أثناء وزارة طه حسين سمع خبرا كان هو واضع بذرته "تقدم لأول مرة فى هذا العام (١٩٥٠) تلاميذ المدارس الأولية لامتحان الشهادة الابتدائية ، وهذا نظام كنت وضعته وأنا بوزارة المعارف لأفتح أمام أبناء الشعب أبواب العلم والرقى فينتفع البلد بالنبوغ الكامن فى أبنائه المغمورين وها قد أنبت النظام ثمرته الأولى" ويتذكر السنهورى أيضا "عندما كنت وزيرا للمعارف عنيت بأن أنظم تعليم اللغة الفرنسية كإحدى اللغتين الأجنبيتين اللتين تعلمان فى المدارس الثانوية" "وعرف عنه اهتمامه بوضع سياسة ثابتة للتعليم يكون قوامها وأساسها إنصاف المعلم، وتوفير الاستقرار والكرامة له مع توسيع قاعدة تعليم وتوجيه الطلاب إلى ما يتلاءم مع احتياجات المجتمع من أنواع التعليم الفنى: الزراعى والصناعى - الذى ثبت أنه التعليم المفيد الذى يساعد على تقوية البنيان الاقتصادى للدولة ، وقد عرف عن السنهورى أيضا اهتمامه بالنوايح من الطلاب ، وبذل كل ما يمكن من الرعاية والمساعدة لهم"^(١) . وقال السنهورى للدكتور مهدى علام زميله فى مجمع اللغة العربية : أترك وزارة المعارف وقد نجحت فى معظم مشروعاتى، وأخفقت فى أمرين: الدروس الخصوصية وتوزيع الحجرات على كبار الموظفين".

وأثناء عضويته فى مجمع اللغة العربية منذ ١٩٤٦ حتى وفاته شارك فى وضع الكثير من المصطلحات القانونية.

(٢) حلمى النمنم - حواء ١٣/٥/١٩٨٩ .

(١) مجلة الفكر المعاصر - السابق.

جمعية السنهورى

وكما أصاب طه حسين والسنهورى من السياسة فوصلا إلى أرفع مناصبها كوزراء ، إذا كان فى تقلدهما منصب الوزير إصابة ، فقد أصابتهما السياسة واكتويا بنارها، سنكتفى بواقعتين حدثت لهما فى سنة واحدة. فى خطابه المشار إليه سابقا إلى طه حسين ، يقول السنهورى: أتذكر أننا فى مثل هذه الأيام من السنة الماضية (١٩٣٤) كنا معا معلقين فى كفة القدر لا نعلم ماذا يأتى به الغد. أنت من أمر "الوادى" فى قلق وهم. وأنا من أمر "جمعية الشبان المصريين" فى شغل ونصب. وكانت تقرب بيننا الهموم". وتفصيل ذلك فيما يتعلق بطه حسين، حدث عندما استنقذه النحاس باشا من أزمته مع إسماعيل صدقى الذى أقاله من الجامعة وسد أمامه كل سبل المعيشة والحياة بسبب رفضه التعاون مع حزب الديكتاتور ورئاسة الصحيفة الناطقة باسمه ، ليعيش طه وأسرته فترة المجاعة كما أسمتها زوجته، ليجد النحاس أن طه حسين يشاركه وحزبه محاربة الديكتاتور فيطلب إليه الكتابة فى صحيفة "كوكب الشرق" إحدى الصحف الناطقة باسم الوفد، وفى هذه المرحلة ينتقل طه حسين "من التجدد الفكرى إلى التنشئة الاجتماعية والاقتراب من مشكلات المجتمع، التى تجسدت فى الأزمة الاقتصادية ، وما نجم عنها من تهديد للعقائد الثابتة عند الناس من خلال التبشير ، وفساد الحكم، ويتخذ من هذه المشكلات مواقف عنيفة جريئة، يساق بسببها إلى النيابة والقضاء" ثم يشتري طه حسين امتياز جريدة "الوادى" بعد استقالته من "كوكب الشرق" فى إبريل ١٩٣٤ ، ويشرف على تحريرها حتى ديسمبر ١٩٣٤ إذ أعيد إلى الجامعة فى الوزارة النسيمية (سبب استقالته اختلافه مع صاحب كوكب الشرق حافظ عوض لرفضه دفع غرامة حكمت بها المحكمة ضد أحد المحررين بالجريدة وإن كان قد عاد بعد ذلك) ، وقد أصدر هذه الصحيفة على نفقته فى أعقاب الأزمة الاقتصادية، مواصلا مهمته الصحفية فى "كوكب الشرق" وتجديد المجتمع إلى جانب التجديد الفكرى والثقافى، وينتقل معه إلى "الوادى" تلاميذ الذين عملوا معه فى "كوكب الشرق". وقد خسر طه حسين فى "الوادى" ثلاثة آلاف جنيه كانت دينا عليه لموزع جريدته "المعلم الفهلوى" ، وربما لبعض أصدقائه ، ولم ينقذه من هذه الأزمة إلا عودته للجامعة، وبداية الانفراج السياسى. ومن ذلك يتبين أن طه حسين قد تألق ككاتب مقال صحفى ولم ينجح كصاحب جريدة أو مدير^(١). هذا ما كان من أمر طه حسين فى "الوادى" وما

(١) فن المقال الصحفى فى أدب طه حسين - د. عبد العزيز شرف .

سبب له من "قلق وهم"، أما السنهورى وحكايته مع "جمعية الشبان المصريين" التى جعلته فى شغل ونصب فقد "دعا إلى تكوين جمعية تضم الشباب المثقف وتعمل على توجيهه وجهة صالحة لنفسه وللمجتمع المصرى، وترمى الجمعية إلى بعث الروح القومية، وإعادة الحياة القومية المتدفقة إلى شرايين الشباب، وهى تدعو إلى اعتناق مذهب القوة فى كل شئ: فى العقل والروح، والجسم. وكان قسم الجمعية "أقسم بالله العلى الأعلى أن أخلص النية للجمعية، وألتزم مقاصدها، مؤازراً لزملائى، حريصاً على استكمال وسائل القوة فى خلقى وعقلى وجسمى، وأن أنزه قولى وعملى عما يشين، وأصمد إلى الكمال"^(١).

ويشير توفيق الحكيم إلى هذه المرحلة من حياة صديقه السنهورى فى "عودة الوعى" أنقلها كما هى لما تدل عليه من بساطة رجلين عظيمين، يقول الحكيم: "كنت مديراً لإدارة التحقيقات بوزارة المعارف وكان هو إذ ذاك أستاذاً بكلية الحقوق. وكان نسكن فى منطقة الجيزة.. ونسير على أقدامنا ساعة العصر على كوبرى عباس نتحدث طويلاً.. وفى يد كل منا قرطاس من التمس، وفى ذات يوم جاءنى يقول إنه فكر فى مشروع نافع لتكوين الشباب وغرس روح البطولة فى نفوسهم، وجعلنا نستعرض أبطال تاريخنا الذين يمثلون المبادئ العظيمة مثل عمر بن الخطاب، وطارق بن زياد، ورمسيس الثانى، ونحو ذلك.. ومضت أيام، وبينما أنا جالس فى مكتب وكيل الوزارة إذا بى أجد حركة غير عادية - وكانت الوزارة يومئذ ضد الوفد والوفديين، وسمعت وكيل الوزارة يقول: إن مجلس الوزراء منعقد لفصل الدكتور السنهورى من الجامعة لأنه ألف جمعية سياسية من الطلاب لنشر الدعوة للوفد بإيعاز من صديقه عضو الوفد النقراشى (لم يكن قد خرج بعد على الوفد).. فتعجبت عجباً شديداً. وبعد مدة قصيرة استقالت الوزارة وأعيد السنهورى للجامعة". ويحرص السنهورى نفسه على الإشارة إلى هذه المرحلة من حياته فى أوراقه الشخصية فى اليوم السابق لكتابته رسالته إلى طه حسين مذكراً إياه ونفسه بهمومهما فى العام الماضى فيقول فى أوراقه، المؤرخة بـ ١١ أغسطس فى ١٩٣٥ "فى مثل هذه الأيام من العام الماضى كنت فى شغل شاغل من أمر جمعية الشبان المصريين. تتوعدنى الحكومة التى كانت قائمة وقت ذلك بالفصل، وأنا أدبر أمر المعاش فأنظر فى خروجى من المنزل الذى أقيم فيه، ثم فصلت ورجعت ثانية، وها قد مضت سنة على هذه الحوادث، وأنا الآن أفكر فيها وأقارن أمسى بيومى.. لا يحق لى أن أقول: ما أشبه الليلة بالبارحة، فالليلة، أحس قلق البارحة ولا أفكر فى خروجى من المنزل الذى أقيم فيه، بل فكرت فى أن أوسع من سكنى.

(١) المجلة الجديدة الأسبوعية ٣ نوفمبر ١٩٣٤.

ما أشد تقلبات الأيام، وما أجدر المرء بالثبات عليها، لا تفرغه البأساء ولا تستهويه النعماء". ويعود طه حسين والسنهوري إلى الجامعة بعد أن ذهبت حكومة صدقي وتابعتها التي تلتها وزارة عبد الفتاح يحيى التي كانت استمرارا لسياسة سلفه، ويعودة الأستاذين الجامعيين المفصولين يكون قد رد إليهما اعتبارهما "ولكن إذا كانت الثقافة المصرية رحبت برجوعهما ، فإن الصحافة ستخسر الدكتور طه حسين ، كما تخسر المحاماة د. عبد الرازق السنهوري"^(١) ولكن الجامعة لم تكن لتمنع الرجلين من مواصلة دورهما في الحياة المصرية والعربية، فقد كانا قد تخطيا دورهما المحدود داخل أسوار الجامعة ليحدثا أثرهما البالغ في تاريخ الثقافة بمعناها الأوسع، فطه حسين بمشروعه الأدبي التعليمي ، والسنهوري بمشروعه في القانون المدني، وكلاهما امتد تأثيره إلى خارج مصر ليشمل الدول العربية ، وكلاهما مفكر عالمي، أحدهما في الأدب والآخر في القانون، وإن كان السنهوري يوصف أيضا بأنه "أديب من أدباء القانون له أسلوب أدبي ممتاز تغطي عليه اصطلاحات القانون".

عبد الحميد بدوى صاحب أول دكتوراه فى القانون

هو صاحب أول دكتوراه يحصل عليها حقوقى من المصريين ، فقد كان عبد الحميد بدوى يتلقى علومه فى مدينة "تولوز" الفرنسية ولكنه لم يرتح لنظام التعليم هناك فنقل نفسه إلى "جرينوبل" فقامت قيادة وزارة المعارف بالقاهرة ، وهالها أن ينقل الطالب نفسه من معهد إلى آخر دون إذن منها، ولكنها اضطرت للموافقة بعد أن بعث إليها بوجهة نظره، وقد قال عميد الجامعة فى تقريره الذى بعث به إلى وزارة المعارف المصرية: إن رسالة د. عبد الحميد بدوى أساسية فى الفقه المدنى لا يستطيع باحث أن يستغنى عنها.

ذلك هو عبد الحميد بدوى المولود بالمنصورة ١٨٨٧، والذى نشأ بالإسكندرية وحصل على ليسانس الحقوق ١٩٠٨، ليخطو مع حصوله على الدكتوراه إلى مناصب الدولة العليا، فكان أول رئيس وطنى للجنة قضايا الحكومة بعد أن كانت حكرا على الأجانب من كبار المشرعين ، وكان قبلها أول مستشار ملكى وطنى عين عضوا بها، وشغل بعض المناصب الوزارية: الخارجية فى وزارة النقراشى الأولى ١٩٤٥، كما اختير وزيرا للمالية ١٩٢١ واضطر للاستقالة منها لأن كرامته ومبادئه حالت دون أن يغمض عينيه عن تصرفات وطلبات القصر الملكى، وكان عضوا بارزا فى اللجنة التى وضعت دستور ١٩٢٣، وكان أول من دعا لإنشاء مجلس الدولة ، وكان رئيسا للوفد الذى مثل مصر فى اجتماع اللجنة التحضيرية التى تقوم بإعداد اللوائح الداخلية والأنظمة الخاصة باللجنة التنفيذية لبيئة الأمم المتحدة فى نوفمبر ١٩٤٥ ، ورأس وفد مصر فى مجلس الأمن، ثم اختير كأول قاضى شرقى ضمن قضاة محكمة العدل الدولية، وكان نائبا لرئيس محكمة العدل الدولية.

وقد فاجأه مجمع اللغة العربية باختياره عضوا فيه ١٩٤٥، وقد قال عنه د. طه حسين "عاد عبد الحميد بدوى من باريس موقفا سباقا كما تعود أن يكون موقفا سباقا، ومنذ ذلك الوقت أصبح عبد الحميد بدوى هو الشاب ثم الرجل الذى عرفناه ونعرفه الآن، وقد كملت خصائصه وكملت مزاياه وأصبحنا نستطيع أن نتعرفه وأن نتعرف عقله ومزاجه الفكرى والثقافى وشعوره

أيضا. فهو صاحب فكر وشعور ، وليس من هؤلاء الذين قصروا حياتهم على الناحية العقلية الخالصة. وعبد الحميد بدوى من أكثر الناس قراءة ولعله أن يكون أكثر الناس قراءة في مصر فى اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية، وهو بهذا استطاع أن يكون لنفسه هذه الثقافة العالية الرفيعة المترفة المتميزة التى لا يستمتع بها كثير من المصريين فى هذا العصر" إنه "صاحب خيال بديع بعيد المدى وصاحب نظرات واقعية .. كون لنفسه مزاجا بديعا من هذه الواقعية والخيالية فى وقت واحد" "ما أعرف من المثقفين الممتازين من المصريين أقدر منك على تحديد الألفاظ ، وما أعرف بين المثقفين الممتازين أقدر منك على تحديد المعانى قبل أن تختار لها اللفظ، ثم أنت صاحب فقه، وأظنك توافقنى على أن أحدا لم يخدم اللغة العربية فى تاريخها القديم كما خدمه الفقهاء ، فهم الذين مهدوا هذه اللغة ، ويسروها، وجعلوها حقا لغة علم وفلسفة وتفكير عقلى عميق رقيق".

أما العقاد فيصنمه بأنه "قيد من القانون، وقيد من الكياسة ، وقيد من التكاليف الرسمية ، ويمشى بينها، فيخيل إليك من سلامة المشية أنه لا يتعثر بقيد من القيود، الشريعة عنده طبيعة، والثقافة عنده فن وذوق"

طالب يرمى

وفى رسالتهالتي كتبها "قريبا من انفجار بركان الحرب العالمية الثانية، يوصى د. عبد الحميد بدوى طه حسين على أحد الطلبة ليرسله فى بعثة ، فيقول:

عزيزى الدكتور

أرسل لك أطيب التحيات وأرجو أن تكون قد عدت موفور الراحة والنشاط، وقد سمعت من صديقى جاكبه بأخبار رحلتكم فى بلجيكا وباغتباطه بمرافقتكم . فلعلها كانت موفقه.

أكتب لك ونحن نعيش قريبا من انفجار بركان الحرب، والأخبار تفيض بأسباب الزعر ونذر الخطر. وكان من شأنها أن تمنع من التفكير فى الشئون الصغرى من الحياة. ولكن الحياة تأبى إلا أن نسير فيها كما لو كنا نعيشها أبدا. كذلك أرجو المعذرة إذا كانت كتابتى لك على البعد فى شأن من تلك الشئون الصغرى.

ولعلك تذكر أنى حدثتك يوما فى شأن طالب اسمه أحمد صادق موسى راجيا تسهيل إلقاه بكلية الآداب. وقد علمت أنه فى دور مايو ١٩٣٧ حصل على ليسانس الآداب قسم التاريخ وبترتيب حسن ، وأن أساتذته راضون عن عمله ، وأنه درس بمعهد الآثار الإسلامية، فهل لى أن اطمع فى أن يكون أحمد صادق موسى من بين من يرسلون فى هذه البعثات، وإنى لأكون شاكرا كل الشكر إذا كان لطلبى هذا حظ من موافقتك وعنايتك. وأرجو أن تقبل لك ولمدام طه بك أصدق التمنيات.

عبد الحميد بدوى

سليم حسن و"الروح" فى بيان رسمى!

لا ينجل الرجل العظيم من تاريخه مهما كانت بداياته متواضعة، وكذلك كان سليم حسن صاحب أول دكتوراه فى الآثار المصرية وصاحب أعظم موسوعة فى تاريخ الحضارة المصرية القديمة، والتي بلغت ٣٢ مجلدا، إنه يقول عن نفسه "باعث أمة حليها لأتمم دراستى"، وقد كان هو ومحمود على حمزة أول مصريين يدخلون المتحف المصرى كأمينين مساعدين للمتحف، حيث كانت وظائف المتحف وفقا على الأجانب، ويتذكر "فى نهاية عام ١٩٢٨ استعدتني كلية الآداب لتدريس علم الآثار فيها بدلا من أستاذ فرنسى ترك الكلية، ويرجع الفضل فى إسناد هذا العمل إلى أنا بالذات إلى الدكتور طه حسين الذى زكاني لدى المسئولين".

وقام بجفائر لحساب الجامعة المصرية بجوار "بول حول" وهو الاسم الحقيقى لأبى الهول، ومعناه "مكان عبادة الشمس"، وكان أول مصرى يعمل فى ميدان الجفائر الذى كان حكرا على الإنجليز لذلك فوجئوا بهذا المصرى الذى يتحداهم فحاولوا تخويفه بلعنة الفراعنة، ولكنه كان مصمما على أن يتحدى أعداء بلاده، ومصمما فى الوقت نفسه على أن يثبت خرافة "لعنة الفراعنة"، فاكتشف أكبر مقبرة ظهرت فى الدولة القديمة كلها، "رع ور" والتي ظلت الصحف العالمية تكتب عنها وعن صاحبها الشاب المصرى، لمدة عشرة سنوات ما بين ١٩٢٩ إلى ١٩٣٩، كما اكتشف سليم حسن "المهرم الرابع" واكتشف قبر أول امرأة ملكة (ختن كوس).

ورأت الحكومة المصرية أن تكافئ فتاها المصرى بتعيينه مديراً للمتحف المصرى بدلا من مديره الفرنسى غير أنها لم تستطع أمام الضغوط الفرنسية المسيطرة على المتحف الذى كانوا يعتبرونه إرثا خاصا لهم.

ولم يمكن مكافأة سليم حسن إلا بأن يتولى كأول مصرى معين وظيفة وكيل مصلحة الآثار، وحينما أعاد الملك فؤاد ما كان يحتفظ به من آثار إلى المتحف المصرى، تم تسجيلها، ولما تولى فاروق العرش طالب باستردادها باعتبارها إرث أبيه، فتصدى له سليم حسن باعتبار أن هذه الآثار بعد تسجيلها قد صارت ملكا للدولة وإذا كان لابد من تسليمها فلتسلمونا أيضا بذلك، هكذا قال.

وكان رد فاروق: الفلاح ابن الكلب يأخذ مال أبويا!

أما رأى أبيه الملك فؤاد فقد قال: إن سليم حسن شاب يعمل ويجتهد غير أنه لا يرغب أن

يرى أفرنجيا في البلد بل يريد أن يكون هو المسيطر على المتاحف والآثار المصرية^(*).

وتواطأ بعض المهريين مع بعض علماء الحفريات الأجانب ضد سليم حسن لتفريق التهم له بتحريض من فاروق نفسه ، وكانت التهمة المضحكة هي أن سليم حسن يسرق أجور العمال ولم يستطيعوا إثبات ذلك، ولكن سليم حسن أثبت أن الملك نفسه هو الذى كان يسرق المتحف، بعد أن قام بجرده ليكتشف أن تسع قطع من المتحف مسروقة، ليتبين أنها موجودة فعلا بقصر فاروق الذى علم اكتشاف سليم حسن لهذه السرقات فقرر إبعاده بأى ثمن ، ولما تولى د. محمد حسين هيكل وزارة المعارف وكانت الآثار تابعة لوزارته ، أعاد سليم حسن إلى المتحف ليكتشف وجود سرقات أخرى رهيبية، ليحاولوا بعد ذلك لتفريق التهم له، ولكن ياسين أحمد النائب العام آنذاك قام بتبرئته بعد التحقيق معه وأبلغ السراى ببراءته ، فكان جزاؤه إبعاده من منصبه بسبب نزاهته، ولم يكن هناك بد من إبعاد سليم حسن للمرة الثانية، لتعيده حكومة النقراشى باشا إلى العمل يوم أربعاء ليثور الملك ويطلب إبعاده، فيجتمع مجلس الوزراء يوم الخميس ويقرر إبعاده استجابة للرجة الملكية. ولكن سليم حسن . وجد أن الملك قد خدمه خدمة العمر "أراد فاروق أن يكيد لى بإخراجى من المتحف ولكنه فى الواقع منحنى الفرصة لأسجل أعمالى وأكتب تاريخ بلادى".

وكتب فى إهدائه لأول كتاب من موسوعته الرائعة عن تاريخ الحضارة المصرية، معرضا بفاروق ساخرا منه حيث كان من "أولئك الذين باعدوا بينى وبين الوظيفة والذين قربوا بينى وبين العلم" وكان الفضل لسليم حسن فى حماية آثار توت عنخ آمون من الضياع، وأثار أزمة مع الإنجليز بسبب تصميم عالمهم "كارتر" الحصول على ثمن اكتشافه بمحصول الإنجليز على بعض هذه الآثار، فتصدى سليم حسن لهذه المحاولة وطلب من الحكومة المصرية أن تقدر التكاليف التى أنفقها كارتر وتمنحها له.

وكما أبلى سليم حسن فى مجال الآثار وعلوم الآثار، فقد أبلى فى تخريج الكثيرين الذين عرفوا على يديه لأول مرة كيف يجون تاريخ بلادهم.

إنه يتذكر المحاضرة الأولى له فى الجامعة المصرية^(*) "لقد كان موقفا شدا أعصابى حينما دخلت إلى الجامعة المصرية بعد عودتى من فرنسا بشهرين، دخلت كأستاذ مساعد لعلم الآثار، وكان الفضل فى ذلك للدكتور طه حسين.

لقد كنت أول مصرى يدرس هذا العلم ، ودخلت إلى القاعة وفجأة ران الصمت على

(*) من حديث سليم حسن إلى رؤوف توفيق بصياح الخير ١٩٥٩/٨/٢٧ .

(*) المصدر السابق

الجميع ، وذهبت إلى المنصة وبدأت أتكلم.

تكلمت عن آثار بلادنا بحماس وبصدق وبكل مشاعري ، ورأيت الدهشة على وجوه الطلبة، إنهم يرون شخصا يتكلم باللغة العربية في هذا العلم لأول مرة ، ويشاهدون شخصا يتكلم عن آثارهم بهذا الحماس.

وانتهت المحاضرة ووجدت جميع الطلبة الذين كانوا يسمعونني يلتفون حولي ويشدون على يدي بحرارة".

وفي كل فترات حياة هذا الرجل العظيم لم يسلم شرفه الرفيع من الأذى، فعندما طلبته وزارة الثقافة في نهاية الخمسينيات ليشرّف على جرد المتحف المصري ، اكتشف أنه خربان، وواصل مهمته لوضع سجل علمي محتوياته ليكون جزاؤه أن تخرج وزارة الثقافة بيان رسمي تتهم فيه الرجل بسرقة المتحف وتفتح ملفه أيام فاروق لتؤكد به ما جاء في بيانها رغم أن الرجل قد برئ آنذاك ، مما دعا الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين ليتصدى لما أسماه بـ "الردح في بيان رسمي" ، متسائلا : كيف يتهمون سليم حسن بأنه "لص" في الوقت الذي ائتمنوه فيه على المتحف الذي لا تقدر محتوياته بثمن ، فكيف عهدوا إليه بجرده وهم يعلمون عنه أنه لص قديم.

وتحفل خطابات سليم حسن التي أرسلها إلى طه حسين حيث كان يحصل على أرفع الدرجات العلمية من باريس وفيينا ، بالحديث عن التلقيقات ضده وهي الفترة التي كان يعمل فيها بمصلحة الآثار، وكان في كل ما طعن به يتمثل بيت شعر لعبد الله النديم يقول فيه:

إذا الدهر صافانا مرضنا وإذا عدنا إلى خطب شفينا

وقد ظل ابن قرية ميت ناجي بميت غمر دقهلية يعمل حتى لحظاته الأخيرة من حياته الممتدة منذ الثامن إبريل ١٨٩٣ ، فحاول أن ينجز عملا عن كليوباترا يبرئها فيه من كل التهم النسوية إليها والأساطير العالقة بها، كما حاول أن ينجز كتابا في خمسة أجزاء عن نهر النيل بتكليف من الرئيس جمال عبد الناصر، ولكن الموت كان قدرا مقدرا عليه ليكتب له الخلود في سجل العظماء، كريما في عطائه ، كريما في نفسه ، حتى أن أحمد الصاوي محمد كتب عن منزله الذي استأجره ويفرشه لاستقبال المبعوثين المصريين في باريس "إنه بيت الأمة في فرنسا" .

ولتصفح خطابات سليم حسن إلى طه حسين . ولنقرأ خطابه الأول ، ومحتوياته الحافلة بمختلف الثقافات التي لم يكن أولها ولا آخرها التاريخ الفرعوني والحضارة المصرية القديمة لنقف على مدى الموسوعية التي كان يتمتع بها مثل هذا الجيل الرائد.

إنهم يشوهون سمعتي

يقول سليم حسن وهو يكتب من :

باريس في أول أغسطس ١٩٣٥.

عزيزي طه

أكتب إليك هذه الكلمة بعد أن فقدت كل أمل في أن يصلني منك شيئا حسب الاتفاق وبعد أن قابلت عبد الوهاب باشا على ما أظن.

أريد أولا أن أقص عليك ما حدث طول المدة التي لم أرك فيها سواء كان ذلك في أوروبا أم كان في مصر.

ذهبت من مصر قاصدا فيينا لاجتياز امتحان الدكتوراه في الفلسفة ، ولم أخير أحدا بذلك لأنني كنت أخاف سوء العاقبة وبخاصة بأنه كان امتحان مسابقة لا بد أن يحصل الطالب على درجة فائق في كل مادة ، وقد كنت أجهز له منذ عامين . والمواد كما يأتي:

أولا اللغة المصرية القديمة بفروعها، وعلم الآثار ورسالة على جبانة أهرام الجيزة في ٣٠٠ صفحة باللغة الألمانية.

(٢) ما قبل التاريخ (٣) تاريخ الفلسفة الإسلامية

(٤) بحث خاص في فلسفة جلال الدين الرومي وشعره الفارسي

(٥) التاريخ الإسلامي (٦) تربية الطفل من جهة علم النفس

كل هذه المواد كانت موضع الامتحان باللغة الألمانية، وفعلا انتهى الامتحان كله بخير بالدرجة المطلوبة، وقد أرسلت الدكتوراه إلى الجامعة .

بعد ذلك ذهبت إلى بروكسل، حيث المؤتمر، وقد قدمت لهم مختصرا على أعمال الحفر، وألقى سامي (جبره) محاضرة جيدة كانت موضع الإعجاب (.....) بعد ذلك قامت حملة في الجلسة الأخيرة دبرها "كايار" ضد "لاكو" ومن المدهش أن رئيس الجلسة كان أمين متحف اللوفر، ثم قام المسيو "جوجيه" مدير المعهد الفرنسي واحتج على الجرائد المصرية لأنها تريد أن تهدم المعهد الفرنسي، وكذلك احتج على المسيو "لاكو" وبعد ذلك انبرى "كايار" ولم يترك أى سخافة لم يذكرها ضد مصلحة الآثار وعندئذ قام سامي جبره وقال: إنه ليس هناك

أى شئ ضد المعهد الفرنسى ، وأن المصريين يحزومون المعهد كـمعهد ، ثم رد على كايار عندما هاجم لـأكو، قائلاً: لا تحمّلوا الناس جرائم بدون ذنب اقترف .

كل هذا وأنا لا أقول كلمة واحدة ، غير أن سامى بعد الجلسة قال : إن زميلى سليم موافق على كل ما قلته . فنظر إلى كايار وما يريد أن يصل إليه، يريد فى كل هذا أن تعينه الحكومة المصرية مستشارا فى المتحف المصرى .

بعد ذلك عدت إلى باريس وهنا وصلنى قصاصة من جرنال روز اليوسف اليومية وفيه أن سيدة فرنسية رفعت دعوى على أستاذ فى الجامعة المصرية تطالبه بمبلغ ٨٠٠٠ جنيه، وأنه كان سيتناها أمريكى ولكن تركته لأجل هذا الأستاذ، وأنها صرفت هذا المبلغ عليه وعلى أصدقائه ومنهم وزيراً من العهد البائد (.....) ما علينا بلغنى هنا من رجال الآثار أن هذه الحملة مدبرة وموعز بها ضدى لأجل تشويه سمعتى ولكن هذا لا يضير .

وقد كتبت لكل الرجال المختصين فى هذا الموضوع . وهذه السيدة تقول الآن أنها محبة من السفارة الفرنسية والقنصل الفرنسى ، وأن خطاباتها تصل إليها بواسطة البريد السياسى، وأنها تجمع وتعمل وثائق ضدى ، الغرض منها التشنيع، وأن هناك من المصريين من يساعدها ، ولكن كل هذا لا يهم ، وما كنت أخافه قد كان .

والآن أكتب إليك هذا بالتفصيل حتى تكون على علم من كل شئ (.....) وفى الختام أرجو أن تبلغ سلامى إلى السيدة حرمك وكلود والسيدة جييجيت والسيد فريد ومنى لك ألف سلام .

المخلص

سليم حسن

فى شدة الحيرة

وفى خطاب آخر:

تحريراً فى ٧ أغسطس ١٩٣٥

عزيزى طه

تسلمت جوابك على خطابى وسررت به كل السرور ، ولقد حزنت كثيراً لأنك لم تقابل عبد الوهاب باشا وبخاصة أنه بعد ذلك على ما سمعت وصله خطاب تهديد أو ما أشبهه،

ولكن كل ذلك صرخة فى واد.

يؤلمنى كل الألم أن أتخذ ضد هذا الشخص إجراءات قاسية ولم يكن بد من اطلاع
فخرى باشا على الموضوع وهو صديق لى ، وقد أظهر من الاهتمام والشهامة ما جعله فى
عينى من العظماء بحق.

وقد توصل إلى معرفة أشياء عن هذا الشخص وكتب عنه تقريراً يخجل له وجه
الإنسانية عامة وهو الآن معى ولا يزال هو مستمر فى بحثه وقد وضع نفسه تحت تصرفى فى
هذا الموضوع، ولكن رغم هذا تجدىنى لا أريد الأذى لهذا الشخص الضعيف وبخاصة لأنه فى
حالة سيئة. وكل ما يؤلمنى أن أسمع أن رجال المعهد الفرنسى قد دفعوا له مبلغاً من المال،
ولكى استبعد ذلك كل البعد لأقدر ما يصل إليه ذهنى. وتجدىنى الآن فى شدة الحيرة: هل
أستمر فى عملى لطرده من مصر بأشنع ما يكون أو أتركه يستمر فى القضية حتى يجيب
وأظهر التقرير الذى معى؟

كل هذا جعلنى لا أذوق النوم إلا غرارا ، هذا مع كثرة مشغولياتى العلمية، فما رأيك
فى هذا، التقرير خطر جدا على هذا الشخص لأنه جعله لا شى . ومع هذا فبأنى أحفظ
الذكرى.

وقد طلب إلى فخرى باشا أن أكتب للأمن العام وأن أتصل به باستمرار فى هذا
الموضوع ، وأملى أن ينتهى بأحسن الطرق وأسهلها (.....) ما علينا من كل هذا أرجو أن
تكون قد وفقت إلى وجود مكان للراحة فى قمة الجبل وأن تكون الست والأبجال على
أحسن ما يكون من الصحة والعافية وأن يكون فريد مسرور فى الجبال العالية المريحة.

سأذهب إلى برلين يوم السبت ١٠ أغسطس لأستمر فى أبحاثى فى القاموس المصرى،
وبعد ذلك أعود إلى باريس حوالى عشرة سبتمبر ثم أذهب إلى رومه (روما) فى الوقت الذى
ستكون أنت فيه، فلو كتبت لى عن ميعاد ذهابك إلى رومه كنت معك فى نفس الوقت
(.....).

وفى الختام أرجو لك كل الصحة والعافية أنت وجميع الأسرة الكريمة والسيد فريد،
وتقبل تحياتى.

المخلص

سليم حسن

فى مطالعة أفلاطون

وفى خطابه الأخير يقول سليم حسن:

عزىزى الدكتور طه

سلامى عليك بقدر شوقى الشديد إليك . وبعد أبعث إليك بهذه الكلمة من برلين بعد أن كتبت لك من قبل وأنا فى باريس على العنوان الذى كتبتة فى خطابك لى ، ولم يصلنى منك إلى الآن رداً.

وها أنا أكتب لك أولاً لأستفسر عن صحتك وصحة الأبنجال والسيدة حرمكم والسيد فريد . أما أنا فقد اعتلت صحتى كثيراً لدرجة كنت فيها مع اليأس ولكن الله سلم وأخذت صحتى فى التحسن بعض الشئ. لقد كاد الكبد أن يقف دفعة واحدة فأظلم العالم فى وجهى وضاق صدرى ولكن الحالة أحسن (.....). أنا اشتغل الآن رغم المرض فى مطالعة أفلاطون ثم حل رموز لوحة عشر عليها حديثاً فى المعبد الذى يرجع عهده إلى الرعامسة (عشر عليها من بضعة أيام قبل قيامى من مصر).

من الغرائب أن هذه اللوحة الحجرية هى لأكبر أولاد رعمسيس الثانى ويتكلم فيها عن وجود معبد فى الجهة القبلىة الشرقية من الهرم الأكبر ويسميه معبد الوادى، وقد أدهش هذا علماء الآثار عامة.

على كل حال قد أطلت عليك ولكن الصنعة جبكت . وفى الختام تقبل منى كل تحية وكل محبة صادقة.

سليم حسن

فى ٢١ أغسطس ١٩٣٥

أحمد بدوى فى بلاد العجائب

ليس أبلغ للدلالة على شخصية إنسان مهما كان وأيا كان سوى لحة إنسانية بسيطة تظهر معدنه الأصيل وروحه الوثابة نحو الخير، ولم يلفتنى إلى د. أحمد بدوى فى تاريخه العلمى الحافل سوى هذه القصة الواقعية الإنسانية القصيرة البليغة والتي تقول سطورها^(*):

د. أحمد بدوى مدير جامعة عين شمس طلب من وزارة الثقافة والإرشاد علاج موظف يعمل بالجامعة منذ ثلاثين سنة" أصيب بانفصال فى شبكية عينيه، على نفقتها فى ألمانيا، ظهر أن العملية تتكلف خمسمائة جنيه، اعترضت اللوائح رجاء المدير. بعث المدير يطلب صرف المبلغ واقتطاعه من مرتبه على أقساط، قررت الوزارة الاستجابة لطلب المدير".

ذلكم هو د. أحمد بدوى المتخرج من جامعة القاهرة بعد أن تتلمذ على طه حسين وشفيق غريال وسليم حسن وسامى جبره، والذي صار فيما بعد أستاذ الآثار، وفاقه اللغة المصرية القديمة، واللاهوت المصرى القديم بعد ما تخصص فى ألمانيا حيث نال درجة الدكتوراه فيها، وإليه يرجع الفضل فى الكشف عن كثير من حفائر ميت رهينة، وله مؤلف شديد الأهمية بعنوان "فى موكب الشمس" من جزئين:

فجر الحضارة المصرية إلى آخر ضحاها، وتاريخ مصر الفرعونية من آخر الضحى إلى أول الأصيل. والذي يعترف أحمد بدوى لطفه حسين "والله يشهد - أننى لم أضع منه حرفا، ولم أسطر سطرا إلا ورأيتك معى تشجعنى، وتعيننى، وتلهمنى أجمل اللفظ، وأحسن الرأى"، فلم يبتعد أحمد بدوى عن طه حسين، ولم يبتعد طه حسين عن أحمد بدوى، رغم أن طه حسين قد حاول عندما كان عميدا لكلية الآداب أن يغير مجرى حياة الدكتور أحمد بدوى بأن يجعله من علماء الأدب العربى، ولكن بدوى أصر على أن يمضى فى دراسته عن فروع مصر، ليقدم لنا أول قاموس عربى هيروغلىفى هو "معجم مفردات اللغة المصرية القديمة" بالاشتراك مع هيرمان كيس "أستاذ الدراسات المصرية بجامعة "جوتنجن" بألمانيا، وقدم لنا "وحدة وادى النيل وأسسها الجغرافية ومظاهرها فى التاريخ" - مشترك - كما قدم لنا: "أيام الهكسوس، و"حور محب" وأسترف على إنقاذ آثار النوبة، وعهد إليه بإنشاء أول معهد لتسجيل الآثار فى مصر، وحائز على جائزة الدولة التقديرية. وشغل منصب رئيس جامعة القاهرة، وما بين مولده بقرية أبو جرج بمركز بنى مزار

(*) جريدة الأخبار ٥٩/٩/٨

بمحافظة المنيا فى ١٣ مارس ١٩٠٥ إلى وفاته ١٩٨٠، عاش حياة ملؤها الحب والوفاء والإنسانية، وتجدده فى رسالة قصيرة معبرة إلى طه حسين خلال أزمته التى طرده فيها رئيس الوزراء الديكتاتور إسماعيل صدقى لرفضه التعاون معه ومع حزبه المكروه ، نجد أحمد بدوى عالم الآثار وفقه اللغة المير وغليفية، يتمتع بحس أدبى سنلمسه فى هذه الرسالة وسنستمتع به فى رسالة أخرى، ولعل إدراك طه حسين لقدرات تلميذه هى التى جعلته يحاول أن يجذبه إلى الأدب العربى، ولكنه انجذب إلى عصر الفراعنة ولم يتخل عن أدبه ككاتب، وأدبه كإنسان، يقول فى رسالته إلى طه حسين إبان محنته:

سيدى وأستاذى

لا عجب يُرى فى بلاد العجائب ومصر كأم العجائب.

كل شئ على النقيض تنعكس فيها طبيعة الأشياء "وجزاء المحسن أن يساء" ولكنها على الرغم تخدم وأنت خادمها المخلص حينما كنت وكيفما كنت جزاؤك على الله الخير.

تحية يحملها الشوق من تلميذكم المتألم الحزين.

أحمد بدوى

يا سيدى الدكتور لو حكمت قلبك دون سمعك

وفى رسالة أدبية بليغة طويلة تلمس فيها روح طه حسين وأسلوبه، نقرأ لأحمد بدوى عتابا مهدبا إلى أستاذه الذى صدق فيه الواشين فاتهم تلميذه بالجحود والنكران، ولكن الرجل يبرى نفسه فى هذه الرسالة التى تعتبر من الروائع فى أدب الصداقة، فلنقرأها كاملة فهى تشي بما فيها:

أستاذى الجليل

تحية حب ووفاء ، من قلب صورته خرابا من الحب والوفاء!

ولست أؤمك على ذلك ، فعذرك فى الحكم ظاهر ، وحجتك واضحة، تنهار أمامها كل حجة، ويبطل دونها كل دفاع. لأنك رأيت منى غير ما عودتك. وربتك من أمرى جفوة وقطية . فلقد كنت ألقاك فى الجامعة وأغشى دارك أيام الطلب، ثم أراسلك أيام الغربة . وكنت تبادلنى حبا بحب، ووفاء بوفاء. وكنت أجد لذلك لذة لا تفوقها لذة، وغبطة لا تعد لها غبطة ، وفرحة تبلغ بالنفس أبعد غايات الرضا، وتطير بآمالها إلى أبعد ما يصور القلب من آفاق السعادة فى هذا الوجود.

لقد عشت في الغربية دهرا، لونت لي الحياة أيامه بألوان مختلفة: منها الأبيض المشرق الذي يسعد النفس ، ويرضى القلب، ويشرح الصدر، ويملا الفؤاد فرحا وأملا. ومنها الأسود المنكر البغيض ، الذي تغتم له النفس، وينقبض الصدر، ويروع الفؤاد. ومنها الباهت الفاتر الذي تفر في الهمة، ويعتل النشاط، ويضعف الأمل.

عرفت هذه الحياة بألوانها المختلفة ، وجنيت من رياضها الباسمة كل ورد ، وروعتني ما حول ورودها من شوك . وشربت من كأسها المترعة كل صاب وشهد. أى والله شربت من ذلك كله بالكبير وبالصغير. وتلك كانت حياتي في دار الغربية: كل يوم بعمري، وكل ليلة بدهري. وهى والله الحياة التى عرفتها. وأنكرت من دنياى ماعداها ومازلت أذكرها، وأحنُ إليها، وأردد كلما ذكرتها قول الشاعر :

يومي بأيام لكثرة ما جرت فيه الحياة، وليتي بليالي. رحم الله عهدا. فانا أحب أيامها ، وأحن إلى لياليها، بل أحب الأرض التى أمضيتها عليها، والسماء التى أظلتني فيها. وأحب ما بين الأرض والسماء، من ناس وحيوان، وطير، وحجر، وشجر، وماء، وهواء.

أتدري لماذا ؟ لأننى من الذين يعرفون الحب والوفاء، كأصدق ما يكون الحب والوفاء. ولأننى من الذين لا يرون الوفاء كاملا عند الناس إلا إذا ادخروه للزمان والمكان، كما يدخره بعضهم لبعض. ولأنك كنت معى فى كل ذلك ! أى والله! لقد كنت معى يومئذ فى الزمان والمكان وفى كل ما سلكت من سبيل.

فانا أراك حين أستقبل الصباح لاضطرب فيما يضطرب فيه الناس من حياة النهار.

وأنا أراك حين يغشى الليل النهار فأسعى فى حواشيه جادا تارة وعابئا تارة أخرى.

أراك معى عند الشدة وحين الرخاء . وعند النعمة وحين البأس ، وفى أفراحي وأحزاني . وحين أكتب وحين أقرأ. ثم ألقاك فى قاعة الدرس. وما أكاد أغادرها إلا لأدبر معك ألوانا من الحديث حول ما نقلتُ أو أفدت.

ثم تصرعنى العلة فألقاك عند فراشى معزيا ومواسيا ومشجعا فأحاول أن أشكر لك كل هذا البر، فينعد لسانى لتريق عيناى بعض الدموع. ثم أراك بعد ذلك محزون القلب، ملتاع الفؤاد، دامع العين ، حين تشيع جنازتي فى القاهرة، فأبكي رحمة لك، وشوقا إليك، وإشفاقا من فراقك، ويفزعنى كل ذلك ، فأنفض فى النعش، وأحاول مجاهدا أن أفلت من قيود الموت، لأسعى إليك فأشكر لك برك بى ، وعطفك علىّ، ولأحمد لك أبوتك الكريمة ، وأخوتك الصادقة، ولأننى شعرت يومئذ أن قلبى قد كان ينطوى على أشياء، أشفقت أن

يغادر بها الدنيا، وينتهي بها إلى القبر، فيظل مطوبا عليها إلى يوم ينفخ فى الصور، وتنفضُ عنها الهامدين المقابر.

أى والله ، لقد كنت حريصا على أن استودعها إياك، لأنك أقرب الناس إلى نفسى ، وأحبهم إلى قلبى وآثرهم عندى، وأعزهم لدى، وأبرهم بى.

ثم تقع المعجزة الكبرى ، فإذا الله يبعث الميت ، ويرد عليه أثواب الحياة، فلم يكذب على الأرض، ويبلغ السعى مع نفسه وآماله ، حتى يفكر فيك. فيسعى إلى الوطن، ولم يكن له فيه – شهد الله من مارب غير لقائك، يجب أن يسعد نفسه به كما يسعدها بقاء أبويه وعشيرته الأقربين.

ويعود بعد اللقاء الكريم إلى أوربا ليستأنف دراسته وفى نفسه منه أجهل الذكر، وأطيب الأثر وأحلى الأمانى. وهو لم يكذب يبلغ أوربا حتى يلقى العلة فى انتظاره، فلا يعبأ بها ولا يخاف لها فتكا، ولا يشعر لها ببطش . لأنك كنت معه ، ولأن عطفك وبرك ووفاءك ، قد ملأ صدره بإيمان قوى وآمال عراض . فراح يسعى إلى الخلاص من علته ، وينس آلامها، ويطلب البرء منها، فيستسهل الصعب ، ويستهن بالشدائد، ثم يمضى فى دراسته بأمل الواثق وإيمان النبى.

ثم يبلغ الوطن آخر الأمر فيلقاك فى انتظاره، ثم يلقى عندك من البر والوفاء والمعونة والنصر فوق ما كان ينتظر ، فيمضى فى سبيله وفيا لك ، مقبلا عليك ، متعصبا لبعض رأيك، فخورا بحبك، معتزا بصداقتك ، شاكرا لفضلك، طامعا فى رجائك، يذكرك كما يذكر أباه، ويجد لنفسه عليك ما يجد على أبيه من دالة. ثم تجرى بنا أيام الحياة فى الجامعة سهلة هينة، حلوة بسامة ، ولكنها كانت مع الأسف قصيرة الأجل، محدودة العمر. لأن الظروف قد نقلتك من الجامعة إلى ديوان المعارف (لا كان ولا كانت أيامه السود). وإذا بك تطلبنى ذات يوم فأسعى إليك، لأسمع منك أنك ترى من الخير أن تكون حياتى العلمية مشاعا بين الجامعة ومصلحة الآثار (لا كانت هذه الأخيرة ، ولا كان عهدا، ولا كان أهلها ، ولا كانت أيامها البغيضة المنكرة). لبتك ما دفعتنى إليها. وليتنى عصيتك يوم أن فتحت لى السبيل إليها.

ترى هل كان فى وسعى يومئذ أن أعصيك ؟ كلا لقد كان الأمر أمرك ، وكان الخير فيما ترى . وكنت لا أطيع غير أمرك ، ولا أهتدى إلا بهديك.

قبلت ذلك راضيا ، ورضيت به مسرورا، ولم أكد أمضى فيه غير قليل، حتى رأيتك صاددا عنى ، تدبر حين أقبل ، وتعرض حين أقصد، لا أكاد أزداد فى التقرب منك حتى

تشتط في البعد عنى.

وأسائل نفسى عن أسباب كل ذلك فتزداد حيرتى، هنالك عرفت أن الواشين قد لعبوا بينك وبينى، فأسمعوك عنى ما لم تُعوِّدْ، وصورونى لك على غير حقيقتى . وإذا بى فى ديوانك ذات يوم لأسمع منكرا من الأمر، فأسمع أنى سفاح، وأنى أعرف كيف أقتل الناس، بل أعرف كيف أقتل أبر الناس بى ، وآثرهم عندى، وأحبهم إلى قلبى، وأكثرهم حفاوة بى، وعطفا علىّ. ثم أسمع أن رسائل عدة قد دست عليك فى هذا الأمر المضحك المبكى فى آن واحد. وأسمع منك ضحكا من ذلك ، وإنكاراً له، وتندرا عليه، ثم أخرج من عندك مشفق النفس، محزون الفؤاد مرتاع القلب، لا أكاد ألتمس فى هذه الدنيا غير ثقتى بنفسى وسخريتى من أخلاق الناس، وغير كلمات طيبات سمعتها منك، فيها استنكار لما افتراه الواشى وفيها طيف من عزاء لتلك النفس الخزونة، التى لم تعرف الحياة بغير الوفاء.

لقد خرج الرجل من عندك يومئذ وفى قلبه حسرة ، وفى فمه مرارة . ثم حاول أن ينسى ذلك سريعا. ولكنه لم يستطع.

ولولا بقية من إيمان، لألغى عقله ، وأنكر جهده، وجحد مروءته ، ونسى ماضيه ، ولعن الدنيا ومن فيها. ولكنه ثابت إلى رشده، وعلم أن الشر فى الدنيا أكثر من الخير، وأن الباطل أشد من الحق. وأخذ يرد نفسه إليك ، فيلقاك مرة ومرات ، ثم يقبل عليك ليراك كما عرفك ، ويلقى عندك ما تعود أن يلقى من مودة ورفق، فلا يكاد يحس من ذلك شيئا. وإنما هو يلقى منك إعراضا وفتورا . وأنا أترك لك وحدك تصوير النفس الخزونة حين تجد عند الأصدقاء إعراضا وفتورا.

أما أنا فلا أخفى عليك أنى أنكرت ذلك أشد الإنكار ، وأخذت أفاضل بين كرامة إنسانيتى وبين مظاهر الحب والوفاء ، فأثرت الأولى والتمست العزلة أملا فى أن ألقى بها شيئا من عزاء. وما حيلتى وقد علمنى أبى يرحمه الله أن أقبل عليه حين يرضى، وأعرض عنه حين يفتز، فأتكلم وأستعذب الألم فى سبيل ذلك؟

شاء الله قبل أعوام أن أخرج لقراء العربية كتابا فى تاريخ مصر – والله يشهد – أنى لم أضع منه حرفا، ولم أسطر سطرا إلا ورايتك معى تشجعنى، وتعيننى ، وتلهمنى أجمل اللفظ ، وأحسن الرأى. ثم حاولت أن أحمله إليك، فمنعنى – مكرها – ما كنت أحس من إعراض وفتور، واضطرت إلى أن أبعث به إليك عن طريق لجنة التأليف.

ذلك همّ طويته فى صدرى أعواما، ثم حملته ثقيلًا خشنا، لأصوره لك اليوم، وقد انتهى إلىّ على لسان صديق مارميتنى به من انعدام الوفاء، فلم أملك، ولم أعتب عليك، وإنما لُمت

نفسى.

وإنما السى الذى ألومك فيه، وأستاذك فى الثورة عليه – إن صح أن يستأذن للناس فى الثورة . هو أن تصورنى متقلبا بين الناس، جاريا فى ركاب الوزراء . لا يا سيدى! معاذ خلال المروءة، وحاشاى أن أكون من صوِّرت.

فأنا أعلم أننى امرؤ يعرف قدر نفسه ، ويقدر كرامة إنسانيته، ويؤثر الخروج من نعمة الحياة فى الدنيا والآخرة على أن يرى نفسه متقلبا بين الناس ساعيا فى ركاب الوزراء وغير الوزراء. لا يا سيدى الدكتور ارم بذلك من تشاء من الناس، فأنا أعلم أننى أكرم على نفسى ، وأشعر أننى أكرم على الدهر ، وأرجو أن أكون أكرم على الله من أن أزل على هذا النحو.

أحلُّ أن تصورنى كما تشاء إلا على هذا النحو المنكر.

ولعمرى يا سيدى الدكتور لو حكمت قلبك دون سمعك لوجدتني أبرأ الناس مما رميت به لديك. إلا أن تظن ما بدا لك والسلام.

ولتقبل منى تحية ود ووفاء والله يحفظك للمخلص

أحمد بدوى

من حسين مؤنس إلى طه:

عن معركة والت ديزنى ٩٩ فى مدريد ٥٤

هو "مؤرخ الحضارة الأندلسية" التى تخصص فيها رغم أنه، فقد كان^(١) د. حسين مؤنس يريد أن يتخصص فى تاريخ مصر، ولكن أستاذه فى السوربون، كما يروى لنا بنفسه^(٢) قال لى: لا أرى أن تكتب فى تاريخ مصر لأنك فيما أرى تحب بلدك حبا لا يبد أن يميل بك إلى الهوى، فأبحث لك عن ميدان آخر، وأنا أرى أنك كتبت الماجستير فى تاريخ المغرب، فإما أن تكتب الدكتوراه فى المغرب أو الأندلس".

وقد أحب حسين مؤنس الأندلس وتاريخها وحضارتها، ورغم ما قدمه فى هذا المجال إلى المكتبة العربية إلا أنه بكل تواضع العلماء يقول^(٣): "بالرغم من مشوارى الطويل إلا أننى أحس دائما بالسعادة حيث تمكنت من أداء جزء من رسالتى العلمية، من خلال مؤلفات عديدة من بينها: المشرق الإسلامى فى العصر الحديث، فتح العرب للمغرب، تاريخ الفكر الأندلسى، عالم الإسلام، رحلة الأندلس، شيوخ العصر فى الأندلس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس وتراث الإسلام، ابن بطوطة ورحلاته، وغيرها من البحوث، فضلا عن مؤلفات ومترجمات فى الأدب.

ولكن حبه الأول لتاريخ مصر الذى أراد أن يتخصص فيه جعله يضع كتابا مهما عن "مصر ورسالتها"، وكانت هذه^(٤) أول محاولة علمية لفهم مصر وتفسير تاريخها والتعرف على شخصيتها والكشف عن رسالتها بين الأمم".

ومن أهم الكتب التى قدمها حسين مؤنس للمكتبة الإسلامية "أطلس تاريخ الإسلام" والذى كان من المفروض أن تقوم به لجنة علمية على أعلى مستوى عندما كان يعمل رئيسا لقسم التاريخ بالكويت ولكن فقدان الروح الجماعية فى العمل العلمى جعل المشروع لا يتقدم خطوة واحدة،

(١) مواليد ٢٨ أغسطس ١٩١١ بمحافظة السويس.

(٢) مجلة الفيصل - السعودية - يوليو ١٩٩١.

(٣) أهلال ديسمبر ١٩٩٣.

(٤) السابق.

فأصر حسين مؤنس على أن ينجز المشروع الكبير وحده من ١٩٧٩ ، إلى عام ١٩٨٣ وعشر ساعات من العمل اليومي، وفقد في هذا العمل عينا ونصف عين فلم يعد يرى إلا بنصف عين مبصرة ، ولكنه مع ذلك كان يشعر بالسعادة الغامرة لأنه يؤدي واجبه العلمي بهمة وإخلاص.

وكان حسين مؤنس هو^(٤) "صاحب فكرة إنشاء معهد مصري في مدريد يقوم بدراسة اللقاء بين حضارتى الشرق والغرب، إذ كان قد تقدم بمشروع مكتوب بهذه الفكرة (...). للدكتور طه حسين (أثناء توليه وزارة المعارف) وقرأ د. طه حسين المشروع المقترح. ولأنه كان ذا بصيرة وأفق ذهنى واسع ، وافق مبدئياً على المشروع واستمر (حسين مؤنس) وراء مشروعه هذا حتى أوجدت له الوزارة الميزانية المطلوبة، ثم (...). تحقق مشروع المعهد وأصبح له مكان وجود" وحدث أنه بعد إنشاء المعهد فى عام ١٩٥٠ لم يعين حسين مؤنس أول مدير له، ولكن الرجل رغم ضيقه باعتباره صاحب المشروع إلا أنه كان سعيداً بخروجه إلى النور إلى أن صار مديراً للمعهد بعد ذلك فوضع من أجله كل جهده ليصير مصدر إشعاع حضارى إسلامى. وكان على اتصال دائم بطه حسين فى كل خطواته وإنجازاته، ويتذكر حسين مؤنس أول علاقة له بالعميد^(٥) "سمع صوتى أول مرة وهو فى مقعد العمادة ولكن عندما لقيته للمرة الثانية وجدت أن صوتى قد تطيع فى ذهنه، فعرفنى لأول ما فتحت فى، ثم لاحظت بعد ذلك أن ذهن ذلك الرجل يشمل الدنيا كلها" وتتذكر ابنة حسين مؤنس ما حكاها لها والدها عن فضل طه حسين عليه فتقول^(٦) "من الأشياء التى لم ينسها أبى أبداً للدكتور طه حسين أنه هو الذى رشحه فى البعثة التى سافر بها إلى أوروبا ونال بها درجة الدكتوراه. وحكى أبى أنه كان عليه أن يقوم بكشف طبي كامل قبل سفره للخارج (كان شيئاً مثل القومسيون الطبى الحالى)، ونجح أبى فى جميع الفحوصات إلا فى كشف النظر فكان طوال عمره يعانى من نظر ضعيف، وكان هذا العجز سيمنعه من السفر. فذهب للدكتور طه حسين وحكى له ما حدث - وكان على ما أظن فى وزارة المعارف حينذاك - فأمر بالإعفاء من شرط النظر".

وتواصلت العلاقة بين حسين مؤنس تلميذاً وأستاذاً ومستولاً عن معهد مدريد، وبين طه حسين ، ويخبره بفكرته فى رسالته التالية والتى ينوى تنفيذها بإطلاق اسم طه حسين على قاعة محاضرات المعهد "تقديراً للفضل".

(٤) فى بيت حسين مؤنس - مجلة أكتوبر - ٨ ديسمبر ٩٦.

(٥) أكتوبر ١٩٩٥/٨/٢٨.

(٦) فى بيت - السابق.

الطلاوة

يقول حسين مؤنس:

سیدی و أستاذی

تحية واحتراما وبعد

فإنني أعتذر إليكم عما أضيعة من وقتكم بهذه السطور، وأعتذر كذلك عن تأخرى في الكتابة إليكم، والسبب في التأخير أنني كنت أحسب أن ليس لي من نفسكم موقع يسمح لي بمخاطبتكم، وقد ظللت على ذلك حيناً حتى تحدثت إلى صديقي الأستاذ "غوسيه غومس" فأراح نفسي من هذه الناحية، وفهمت منه أنه لا زالت لي في نفس أستاذي بقية من حسن الظن تسمح لي بالتطفل بالكتابة، ويعلم الله مدى عرفاني لجميلكم.

وأحب أن أؤكد لكم أنني بازل أقصى الجهد في تهيئة هذا المعهد على الوجه الذي يمكنه من أداء رسالته كما رسمتموها له. وقد انقضت عليه فترة من عدم الاستقرار بسبب وضع أموره بين أيدي غير المتخصصين، ولكن كل شيء يسير الآن سيراً طبيعياً، وأنا اجتهد في أن أفرغ من مهمتي خلال الأشهر الباقية لي من عام الانتداب.

وقد كانت في نفسي فكرة كنت أتحين الفرص لإبرازها إلى حيز الوجود، ثم تحدثت إلى الأستاذ "غومس"، في أن نضع لوحة تذكارية في المعهد باسم المرحوم أحمد زكي باشا، إذ كان في الحق أول من لفت النظر إلى أهمية الدراسات الأسبانية، وقد اتفقنا على تنفيذ الفكرة، ووجدت أن الفرصة سانحة لتنفيذ فكرتي في نفس الوقت، وهي أن نطلق على قاعة المحاضرات في المعهد اسمكم تقديراً للفضل، واعترافاً بالجميل، وسيتم الأمران بإذن الله في يوم واحد.

وتعلمون كذلك أن الأستاذ "غومس" قد ترجم كتاب "الأيام"، والترجمة الآن في المطبعة، وقد كتب مقدمة لها غاية في العمق والطلاوة، وقد رأيت أن أترجمها إلى العربية، وأنشر الترجمة في المجلة في عددها الذي نعده الآن. وسيعطيني أصول المقدمة بعد غد لأترجمها.

معذرة عما أضعت من وقتكم، وألف شكر على ما سبق من فضلكم عليّ وعلى هذا المعهد.

المخلص

م ٥٤/١/٢٠

حسين مؤنس

المعهد المنافس

ويحاول حسين مؤنس تدعيم دور المعهد المصرى بمدريد فى مواجهة المنافسة التى يلقاها من معهد الثقافة العربية ، الذى أنشأه الأسبان، ويفاجئنا بالدور الذى يلعبه بعض ممثلى الدول العربية المتعاونين مع المعهد الأسبانى، مما يجعلنا نربط بين ما فعله بعض العرب فى الخمسينات وما فعله بعض العرب فى التسعينات عندما دعموا شركة والت ديزنى فى مواجهة الموقف الذى أراد العرب اتخاذه ضدها حينما سمحت بالترويج لفكرة أن القدس إسرائيلية فى معرضها ١٩٩٩ بأمريكا، وبعد أن كانت الشركة على وشك اتخاذ موقف تراجع فيه، اتصلت بها بعض الدول العربية لطمأننتها من عدم اشتراكها فى المقاطعة التى اعتزم العرب اتخاذاها إذا ما استمر الجناح الإسرائيلى فى المعرض يروج لفكرته التى تتعارض مع الحقوق العربية ، فما أشبه اليوم بالأمس.

يقول د. حسين مؤنس فى رسالته ونصها:

وزارة المعارف المصرية

المعهد المصرى للدراسات الإسلامية

مدريد - أسبانيا

سيدى وأستاذى

تحية واحتراما

أتشرف بأن أقدم إليكم المجلد الثانى من صحيفة المعهد، وهو يضم العديدين الأول والثانى لهذا العام، وقد جعلناهما فى مجلد واحد، نظرا لتأخر الكثيرين فى تقديم أبحاثهم فى الموعد الذى كان محددًا لصدور العدد الأول. وترون من تصفح المجلد أنى حرصت على أن أضع به أساساً لما سيصدر من أعداد هذه الصحيفة فى الأعوام المقبلة، وقد استعنت فى ذلك بخير ما وجدت من نظم ترتيب المجالات العلمية ، وأضفت بابا لنقد الكتب قمت بكتابة معظمه بنفسى، وبابا للأنباء قمت بتحريره أيضا، وجعلته معرضا لنشاط المعهد والنشاط المصرى الثقافى العام فى أسبانيا.

والمجلد يضم أحد عشر بحثا لباحثين مصريين فى القسم العربى، وخمسة أبحاث فى القسم الأفرنجى، منها اثنان بأقلام مصرية . وجعلت فى نهاية القسم العربى بابا لخصت فيه الأبحاث المنشورة فى القسم الأفرنجى، وكذلك قمت بتلخيص المقالات العربية فى نهاية القسم الأوروبى.

وقد نشرت في العدد الترجمة العربية لمقدمة الترجمة الأسبانية لدرة الأدب العربي الحديث، وهي كتاب "الأيام"، وقد راجع الترجمة "غرسية غومس" وأقرها.

وبعد، فهذه يا سيدى ثمرة متواضعة من ثمرات غراسكم، فإن هذا المعهد مدين لكم بوجوده، ومع أننى أنتظر بين لحظة وأخرى أن يصلنى الأمر بالرحيل، فإننى أرجو أن تضيفوا إلى أفضالكم على هذا المعهد فضلاً جديداً، فتبعثوا إليه بمقال يكون فاتحة العدد الأول من المجلد الثالث بإذن الله.

وقد كتبت إلى الوزارة أكثر من مرة أرجو أن تتخذ قراراً بشأن انتدابى هنا، وعلمت أن الوزارة تفضلت فطلبت إلى كلية الآداب تجديد الانتداب، فاعتذرت، فرجوت انتداب زميلى وتلميذكم الدكتور عبد العزيز الأهوانى، ولازلت أنتظر ما يستقر عليه الأمر.

والواقع أننى فى حرج شديد، لأن صالحى الشخصى يستدعى عودتى إلى الجامعة بسبب ما أحمله الآن هناك من مسئولية كبيرة، وأنا أخشى فى نفس الوقت أن يوكل هذا المعهد بعدى إلى غير مختص فيضطرب أمره من جديد ويعجز عن أداء رسالته، ونحن اليوم فى منافسة شديدة لا يحفى على سيادتكم أمرها، فإن الأستاذ "بروفنسال" مع صداقته لنا يضاعف الجهد فى الأندلسيات ليصغر شأن المعهد المصرى بالنسبة إلى معهده هو فى باريس، بل هو يجتهد فى التدخل فى شئوننا ويرجو أن يفرض علينا وصاية تؤذينا، وقد اجتهدت هذا العام فى دفع هذه التيارات كلها، وأنا أسرُّ إليكم بذلك، لأنه سيكون فى القاهرة عن قريب، وسوف يحوم حول هذه الأمانى فى أحاديثه معكم ومع المسئولين.

ومن ناحية أخرى أنشأ الأسبان معهداً جديداً سموه "معهد الثقافة العربية الأسبانية" رئيسه الأستاذ "غوسيه غومس"، وهدفه البعيد إجمالاً أمر المعهد المصرى بمزاجته فى ميدان عمله، ومن أسف أن بعض ممثلى الدول العربية هنا يعينونه على ذلك ويعملون على استدعاء أساتذة من بلادهم للمحاضرة فى المعهد الأسباني من ناحية، ونشر أبحاثهم فى المجلة التى سيصدرها من ناحية أخرى، إلى أشياء أخرى يطول شرحها وليس مقامها هذه السطور. وهذا هو الذى يجعلنى أميل إلى التضحية بل المخاطرة بمصالحى فى سبيل حماية هذا المعهد، والحفاظة على رسالته. ولو أتى الأهوانى لاطمأننت بعض الاطمئنان. لقد أطلت عليكم بهذا الحديث، ولكننى أعرف أنه يهكم، ولهذا أذنت لنفسى فى الاستطراد.

مع أصدق التحيات وأخلص الشكر.

تلميذكم

٥٤/١٠/١١

حسين مؤنس

سعد زغلول

ينقذ مصطفى مشرفة من لطفى السيد!

كان د. على مصطفى مشرفة باشا، أول مصري يحصل على الدكتوراه فى العلوم^(١) "وفى سنة ١٩٢٦ طلب من جامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) أن تعينه أستاذا للرياضة، فأبى المدير وكان وقتئذ لطفى السيد باشا وبلغ الأمر "سعد زغلول" وكان رئيسا لمجلس النواب ، فسأل لطفى باشا: لماذا يرفض تعيينه ؟ وكان الجواب: أن على مشرفة لم يبلغ الثلاثين.. قال سعد: إن صغر السن لا يجوز أن يحول دون الانتفاع بمواهب النابغين". لقد كان مشرفة كذلك أول من حصل على دكتوراه فى الفلسفة ، وأول عميد لكلية العلوم، وله أكثر من ٢٥ بحثا علمياً فى علوم الرياضة الطبيعية، وله أكثر من ١٢ كتابا علميا فى مختلف نواحي النشاط العلمى، وقد دعت^(٢) "جامعة برنستون" الأمريكية لإلقاء سلسلة من محاضراته القيمة فى الذرة (فى بلد الذرة) كأستاذ زائر فيها ، وفى المرة الثالثة ١٩٤٧ فى هذه الجامعة تقابل مع إلبرت أينشتين أحد عباقرة العلم وأكبر علماء الطبيعة منذ نيوتن، صاحب النظرية النسبية التى أدت إلى صنع القنبلة الذرية.

وقد لفت مشرفة نظر ألبرت أينشتين بعمله وعبقريته الممتازة وقال عنه بالحرف الواحد: إن هذا العالم المصرى الفذ صاحب عبقرية ممتازة. لقد ألقى مشرفة عددا من المحاضرات القيمة فى الذرة حضر إحداها إلبرت أينشتين وصفق له". ولم يكن مشرفة عالما فقط بل^(٣) "كان فنانا أتقن العزف على البيانو والكمنجة وألف قطعا موسيقية ، وترجم بعض الأوبرات إلى اللغة العربية واشترك فى إنشاء جمعية موسيقية لتمصير الموسيقى الأجنبية ، وكان يترجم الأغاني الإنجليزية إلى اللغة العربية.. شعرا".

بل إن مشرفة كتب رواية لم يستكملها هى "قنطرة الذى كفر" ، عن ثورة ١٩ ، التى حولت بطل الرواية الشهير، بقنطرة ،^(٤) "من متملق وضيع لا يعف حتى عن القوادة إلى بطل فدائى يقدم

(١) المصور ١١/٢٧/١٩٥٠.

(٢) أكتوبر ١٦/٧/١٩٩٥.

(٣) المصور السابق.

(٤) الجمهورية د. شكرى عياد. ١٥/٩/١٩٩٦.

على الموت مطمئنا في سبيل بلاده، ورغم أن الرواية مكتوبة باللغة العامية إلا أن الناقد الأدبي د. شكرى عياد يؤكد^(٥) "أن رواية الدكتور مشرفة تظل درسا عظيماً في الفن الروائي لأنها تستعمل هذه الوسائل كما ينبغي".

لقد كان^(٦) مشرفة نابغة وعبقريا متعدد المواهب، إنه يقول^(٦) "في أعماق كل عالم فنان .. هذا إذا صح أنى عالم" لقد كان أول عالم مصرى يشترك في الموسوعة العالمية للشخصيات العلمية، طبعة نيويورك ، وطبعة لندن.

^(٧) ونحن لا نكاد نتذكر أحداً من علمائنا على امتداد القرن العشرين - الذى يوشك على الأفول - سوى د. مصطفى مشرفة الذى نحتفل بمئويته والذى ارتبط اسمه كواحد من عشرة في العالم يفهمون نظرية النسبية "لأينشتين" ناهيك عن بروز اسم د. أحمد زويل فى الفترة الأخيرة، غير أن وجود عالمين أو ثلاثة إذا أضفنا اسم د. فاروق الباز عالم الفضاء الذى رسم خريطة للقمر حتى قيل إنه يعرف سطح القمر كمعرفته لكف يده، عدد لا يكفى (وإن كان لطف حسين رأى آخر حول ندرة العلماء سنورده من خلال نص مجهول له عن د. مشرفة) على مدى قرن من الزمان لكى يقول شعب إنه دخل عصر العلم أو أن أبنائه قد شاركوها فى المسيرة العلمية العالمية ، خاصة إذا علمنا أن هذه المساهمة تصب خارج بلادهم لا داخلها، ولعل ذلك يتعلق أساسا بدقة التخصصات العلمية التى قد لا تتوافر فى بلادهم النامية ومن ثم تصبح الاستفادة بهم غير ممكنة، وإن كانت د. فينيس كامل وزيرة البحث العلمى السابقة قد علقت هذه المسألة على قلة الإمكانيات حين ذكرت فى حوار مشهور لها بمجلة "المصور" الغراء أثناء وجودها بمنصبها أن ثمانين بالمائة من ميزانية البحث العلمى تذهب كمرتبات ولا يتبقى للبحث العلمى ذاته سوى عشرين بالمائة ، مما يجعلنا نتساءل: لماذا؟ ونعتقد أن الإجابة ضرورية جدا لإعادة النظرة فى هذه النسبة أو هذه القسمة التى يجب أن تصب لصالح البحث العلمى لأنه لم يعد هناك مجال فى العالم سوى للأقوياء. والقوة هنا هى القوة العلمية فى المقام الأول لأنه على أساسها تبنى أى قوة كانت سواء سياسية أو اقتصادية أو عسكرية ، حيث لم تعد القوة بمقدار ما نمتلك من وسائلها كمستهلك لها ولكن بمقدار ما نمتلك من مواردها كصانع لها. ومن هنا لم يكن مستغربا أن يموت يحيى حقى - أدينا الكبير - وهو يقول "أعطونى ولو ربع مخترع".

(٥) السابق

(٦) مواليد ١١ يوليو ١٨٩٨ بدمياط.

(٦) الهلال سبتمبر ١٩٦٢.

(٦) مقال للمؤلف نشر بأهرام ١٠/٧/١٩٩٨، بمناسبة مئوية مشرفة.

وإذا كانت بداية دخولنا عصر العلم قد بدأت مع د. على مصطفى مشرفة فإن الاحتفاء بمنويته تصبح حقا ليس واجبا فقط بل ضروريا ولازما لكي نغرس في نفوس الأجيال الجديدة قيمة العلم والعلماء ليصبح رجل العلم قدوة يقتديها الشباب ويتمنوا التمثل بها كما يحدث بالنسبة لأهل الفن وأهل الرياضة.

وقد اخترنا أن نخفل بمصطفى مشرفة من خلال وثيقتين : إحداهما خطاب لم يسبق نشره أرسله العالم الكبير إلى د. طه حسين الذى كان الجميع يتحلقون حوله ويراسلونه ويزورونه باعتباره رمزا لعصرهم أو كأنه أباهم، يستوى فى ذلك أهل الأدب وأهل العلم.

وقبل أن نقرأ خطاب مشرفة إلى طه حسين ينبغي أن نتعرف على علاقته بطه حسين. وهى علاقة يحدتنا عنها العميد نفسه فى الوثيقة الثانية وهى نص مجهول تحت عنوان "كلمة حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين بك وزير المعارف العمومية فى تأبين المغفور له الدكتور مصطفى مشرفة باشا وذلك فى مساء يوم الأربعاء الموافق ٨ مارس ١٩٥٠" كان مشرفة بالنسبة لطفه حسين كما يقول "الصديق الكريم والزميل العزيز والأخ الوفى، الذى لم يعرف إخاؤه ضعفا ولا وهنا على اختلاف الظروف".

أما مشرفة العالم فقد رأى فيه العميد "مثلا قائما للجد والدرس والتضحية فى سبيل العلم، مثابرا على المكروه فى سبيل العلم والطموح المتصل الذى لا يعرف الضعف ولا الوهن فى الوصول إلى المثل العليا، واتخاذ المادة وسيلة لا غاية".

وأما قيمة مشرفة لبلده فهو فيما بدأه "من تكوين لجيل من أجيال الشباب" العلماء بطبيعة الحال.

كما أن قيمته ظهرت فى أن "مصر كلها امتحنت فى علم من أعلامها بل ومن أعظم أعلامها ارتفاعا وبعد ذكر فى الآفاق".

ثم يؤكد طه حسين حقيقة ندرة هذا الصنف من العلماء حين يقول "فأمثال مشرفة من النابغين النابهين الذين يرفعون ذكر أوطانهم والذين يضيئون منار الإنسانية بالعلم والمعرفة - أمثاله قليلون، إذا خسروهم الوطن فلا بد له من صبر طويل، وانتظار مستطبل قبل أن يظفر بمن يخلفهم . وإذا فقدهم فلا بد له كذلك من الانتظار حتى يجد من يتم ما بدأه".

أما رسالة د. على مصطفى مشرفة إلى د. طه حسين فعلى قصرها فسوف تكشف لنا عن الكثير.. تاريخ الرسالة "الاثنين ١٨ يوليو ١٩٣٨ ويقول نصها:

سیدی العزیز الدكتور طه بك

أشكرك على مساعدتك القيمة وعلى لطفك الذي لن أنساه.

لم أسمع بعد بنتيجة مسعاه بعد، وقد كتبت اليوم أسأل. على العموم إذا حصلت على الوظيفة فسوف أكتب لك بذلك.

هذا وأنا أتمنى لك أجازة سعيدة وأرجو أن تقبل تحياتي واحترامي.

المخلص مصطفى مشرفة

أما محتوى الرسالة فيدل على شيئين هما من أخص صفات طه حسين: مساعدته للنابعين ومساعدته للمحتاجين.

وكلا الأمرين شيء واحد تلخصه كلمة "العطاء" فهو في الجامعة يلتقط النبهاء النابعين. ويأخذ بيدهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، حتى يبرز نبوغهم، وفي خارج الجامعة يقدمهم إلى الناس ويشجعهم بكلماته ويدشن وجودهم، فمن يحتاج إلى بعثة يسهلها له. ومن يحتاج إلى تقديم يقدمه. ومن يحتاج إلى وظيفة يساعده إليها ويسرها له عند أولى الأمر.

وفي حالة د. مصطفى مشرفة فما هو ياترى نوع المساعدة "القيمة" التي قدمها طه حسين لمشرفة. ليس لدينا ما يؤكد نوعية هذه المساعدة ولكن نرجح أنها إما كتاب نادر، أو مجموعة كتب علمية نادرة يبحث عنها مشرفة ، فنجح طه في العثور عليها له، وإما تعريفه بمجموعة من العلماء الأجانب أفاد منهم مشرفة.

أما الوظيفة التي يتحدث عنها مشرفة فكما هو واضح من الرسالة أن طه حسين قد توسط لأحد ممن يتوسط لهم في الحصول على وظيفة في اتجاه قدرة مشرفة على توفيرها. وبين أيدينا رسالتان من الشيخ المراعي، والشيخ الباقوري يبيان فيها طه حسين إلى وظيفة أرادها لاثنتين من تلامذته قد تتوافر لهما مناسبة أخرى في غير هذا المقام.

وتدل الرسالة الوحيدة النادرة التي أرسلها مشرفة لطله حسين على أن طريق الرسائل لم يكن هو وسيلة التلاقي بين رجل العلم ورجل الأدب. بل كانت الزيارات المتكررة هي الوسيلة الأوفر حظا ونصيبا في الحوار بين طه حسين ومصطفى مشرفة كما يدل حديث العميد عن آخر عهده بمشرفة قبل رحيله في النص المجهول المشار إليه سابقا حين يقول مخاطبا مشرفة:

"وإني لأذكر ذلك الحديث الذي تحدثت به إليّ في التليفون ذات مساء حين أخذت النهار ينقضي مجرراً أذباله الشاحبة. وحين أخذ الليل يقبل مرسلا ظلماته القاتمة - دعوتني فأسرعت

إلى التليفون وتحدثت إلى .. فكان صوتك بعيدا وكان صوتك ضعيفا . وكان أشبه الأصوات بصوت المتحدث حين يتحرك القطار، يتحدث من النافذة فيسمع إليه الواقفون، وإن حديثه ليتناثر شيئا فشيئا.

كنت ترسل إلى تحياتك من بعيد، وكنت تبني بأنك مريض، وبأن المرض هو الذى آخر زيارتك لى، وبأنك ترجو أن تخرج غدا أو بعد غد، ثم تزورنى، فما أكثر ما بينك وبينى من حديث.

وكنت ألح عليك فى ألا تتعجل الخروج، فإن خروج المرضى قبل أن يتم لهم البرء خطر بغىض، ثم أصبح فأسمع نعيك يأتى من بعيد، فيصعقنى ، كما جاءتى أمس تحياتك من بعيد فملأت قلبى حبا وحنانا وذكرى، ثم نسعى فنشيع جنازتك ذاهلين، لتسعى أقدامنا وتتحرك أجسامنا ولا تصدق عقولنا، ثم تمضى الساعات وتمضى الأيام ونفتدك فلا نراك".

ولكن طه حسين يفرق بين حياتين:

"فإن الأحياء حين يفارقون هذه الدنيا لا يقبرون فى قبورهم وحدها إلا أن يكونوا من الأحياء الذين ليس بين حياتهم وموتهم فرق، فأما الأحياء الذين تنفع حياتهم والذين تعمم حياتهم بالجد والطموح فى المثل الأعلى ، فهؤلاء لا يقبر فى قبورهم إلا أضعف أشخاصهم وهو الجسم، أما قبورهم الخالدة المتجددة الحياة التى توغز وتشير العبرة وتشجع على الحياة وتشجع على احتمال المكاره - قبورهم هذه الخالدة - فهى فى قلوب الذين عرفوهم واتصلوا بهم. وما أشك فى أن لمشرفة فى قلوبنا جميعا مكانا ممتازا من هذه الأمكنة".

محمد عوض محمد .. كن طه حسين!

تعتبر^(١) مؤلفاته الجغرافية بمنزلة اللبنة الأولى في المكتبة العربية الراهنة، بل إنه اشتهر وهو في مدرسة المعلمين العليا بقصيدة وطنية استلهمها من ثورة ١٩٠٩، وحين نشرت في "الرسالة" علق عليها طه حسين بقوله: "إن شعر هذا الجغرافي لا تنقصه الروعة".

وكان مترجماً متمكناً أجاد قواعد اللغات الإنجليزية والفرنسية والفارسية والتركية والألمانية التي ترجم منها مباشرة "لفاوست" شعراً كالأصل قال عنه طه حسين أيضاً في مقدمته "لقد بهرتني الترجمة العربية فما ينقضي إعجابي بها وما أجد إلى تحقيق الثناء عليها سبيلاً" وكان د. محمد عوض محمد (مواليد ٣ مارس بالمنصورة ١٨٩٥) عالماً باللغة العربية أيضاً - كما يقول عنه د. محمد سليمان عضو المجمع اللغوي "وعوض عالم لغوي خبير بالنحو والصرف، متمكن من قواعد اللغة"، وقد انتدب لتدريس الأدب في معهد الدراسات العربية العالمية.

رشحته مكانته للمشاركة في وضع ميثاق الأمم المتحدة، وإعلان حقوق الإنسان، بل عهد إليه بوضع الوثيقة الخاصة بالرق، وتواصل عمله بهذه المنظمة الدولية بانتخابه عضواً بالمجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو، ثم باختياره عضواً بلجنة حقوق الإنسان التابعة لها، ويجسد اهتمامه العلمي بإفريقيا وشعوبها، بتأسيس معهد الدراسات الأفريقية، بالقاهرة، ويعين وزيراً للمعارف ١٩٥٤ لفترة قصيرة يعود بعدها للجامعة، ثم ليقضي سنواته التالية عاكفاً على مؤلفاته ومترجماته استكمالاً لمشروعه المزدوج في الجغرافية والأدب، ومن كتبه المهمة في هذين المجالين: فن المقالة، فن الترجمة، حديث الشرق والغرب، ملكات الجمال، سكان هذا الكوكب، التوجيه الأدبي (بالاشتراك مع طه حسين)، الاستعمار والمذاهب الاستعمارية، نهر النيل. وقد قال عنه د. مهدي علام أنه "أول من كتب الجغرافية بلغة أدبية".

وفضلاً عن هذه الثقافة الموسوعية التي يتمتع بها محمد عوض محمد، فقد كانت له مواقف وطنية وشخصية تعبر بصدق عن مقولة أن: الرجل هو الموقف، فقد اعتقل^(٢) وهو في السنة النهائية بمدرسة المعلمين العليا، حيث شارك في قيادة الطلبة في مظاهرات ضد الإنجليز قبل ثورة ١٩٠٩ بثلاث سنوات، ونفى إلى جزيرة مالطة قبل نفي سعد إليها، ثم عاد ليحصل على دبلوم

(١) د. عمر الفاروق - مجلة العربي أغسطس ٩٦، وأهرام ٣/٣/١٩٩٥.

(٢) إبراهيم الأسير طي هلال إبريل ١٩٧٤

المعلمين العليا من منازلهم ، ثم ذهب فى بعثة دراسية إلى إنجلترا ليتخصص فى الجغرافيا التى اختارها بدلا من التاريخ، حيث كانت البعثة المطلوبة لهذين التخصصين فقط، وقد رأى أن تخصصه فى التاريخ فى هذه البعثة سيجعله يدرس تاريخ إنجلترا أكثر من أى تاريخ آخر، كما تقضى المناهج بذلك، فأثر أن يدرس الجغرافيا ، فحصل على البكالوريوس من جامعة "ليفربول"، ثم حصل فى عام واحد (١٩٢٦) على الماجستير ، ودكتوراه الفلسفة من جامعة لندن.

وحينما كان محمد عوض محمد فى مؤتمر اليونسكو لتمثيل مصر فى المجلس التنفيذى لليونسكو ، حدث العدوان الثلاثى، فوقف يهاجم هذا العدوان، واستطاع أن يجذب تمثلى الدولى الأخرى للتصفيق له ويجعلهم يخطبون منددين بالعدوان ، ولأول مرة فى تاريخ اليونسكو يفشل ممثلو فرنسا وإنجلترا فى الانتخابات.

وقد اشترك د. محمد عوض محمد مع الدكتور طه حسين فى الجهاد العلمى الأخلاقى بالجامعة وترسيخ تقاليدها، واشترك مع طه حسين فى رفض منح الدكتوراه الفخرية لبعض السياسيين ، من كلية الآداب، كما كانت تريد حكومة صدقى، وذلك حفاظا على كرامة الجامعة وقديستها من استخدامها فى السياسة والمجاملات، وكان العقاب لطه حسين عميد كلية الآداب بإحالة إلى التقاعد، والعقاب ل محمد عوض محمد الأستاذ بكلية الآداب، بنقله إلى مدرسة التجارة^(١) "فأثر محمد عوض محمد الاستقالة ، ولكن طه حسين رفض وقال له: لا تقدم استقالتك يا عوض فسوف نقتسم مرتبك لنعيش منه نحن الاثنان.

وفعلا لم يقدم الدكتور محمد عوض محمد استقالته وظل فى وظيفته يقتسم كل شهر مرتبه مع الدكتور طه حسين".

(٢) كن طه حسين

وأول خطاب من خطابات الدكتور طه حسين كان خطابا أرسله لصديقه من روما وهو يمثل مصر فى مؤتمر المستشرقين بروما فى ٣١ أغسطس عام ١٩٣٥ . والخطاب يعد وصفا فكاهيا لحال أهل بيت طه حسين وهم يتهيأون للسفر، ويطلب منه فيه أن يمثله فى حفل تكريم الأستاذ "ليتمان" فكتب يقول :

(١) بعم البار بآخر ساعة ١٣/٦/١٩٧٩ .

(٢) المصدر السابق.

أخى العزيز

أدركنى كتابك الطريف صباح اليوم قبل أن ترتحل عن "سالنش" ولست أكتب هذا ردا على ما فى كتابك من فن، فإن ذلك يحتاج إلى هدوء لا سبيل إليه فى يوم تحزم الأمتعة وتهبأ الأسرة فيه لسفر مهما يكن قصيرا فليس بينه وبين السفر الطويل فرق فيما عيس جمع المتفرق، وتفريق المجتمع، وحمل الأثقال وما يتصل بذلك من الأمر والنهى ومن الزجر والوعيد .

إنما أكتب إليك لأرجو منك مع الشكر الكثير أن تقوم عنى بالرد السريع على الذين يريدون تكريم الأستاذ "ليتمان" ، فأنا حريص جدا على أن أشترك فى هذا التكريم، ولست أدرى كيف أكتب إلى هؤلاء الناس ولا كيف أرسل لهم ، فأكتب إليهم بالنيابة عنى، وتقبل فى سبيل ذلك شكرا كثيرا ، ولكن أحب أن تكتب باسمى أنا لا باسمك أنت، أى تفرض أنك طه حسين. وكم أحب أن يكون هذا الفرض صحيحا ، إذن لاحتملت أثقالا لا أدرى كيف تحتملها ولا كيف تستقبلها، ولكن هذا يصلح موضوعا لقصة طريفة ما أظن أن أحدا يحسن كتابتها غير "أوسكار وايلد" ومهما يكن من شئ، فكن طه حسين ساعة من نهار، واكتب إلى هؤلاء الناس فقل لهم: إن كتابهم لم يصل إلى إلا بعد أن طوف فى أقطار الشرق والغرب، وإنى أشارتهم بكل قلبى فى تكريم الأستاذ العظيم ، ثم ضع عنوانى فى مؤتمر المستشرقين بروما حتى لا تكتبوا إلى فى برلين حيث أنت .

أما بعد فإنى استغفر الله فإننا جميعا آسفون لأنك لاتستطيع أن تلقانا فى أنس.

ولست أدرى لماذا أستقبل مؤتمر المستشرقين كارها له معرضا عنه فى هذه المرة ، ويكفى أنى أهيب له شيئا، ولعلى لا أهيب له شيئا، فقد مضى الوقت أو كاد.

وما رأيك فى هذه الحرب المقبلة أتحبها أم تبغضها؟ أنتظر منها لمصر خيرا أم شرا؟ أتظن أنها ستضعف الإمبراطورية البريطانية؟ أما أنا فأذكر مقالك الخطير، وألاحظ كل يوم أن جماعة من كبار السياسة الإنجليز يكتبون فى الصحف الإنجليزية مقالات تذكر بهذا المقال التاريخى العظيم الذى يدل على أن نبوءتك لم تكن أدبية ولا فلسفية، وإنما كانت نبوءة عالم يتقن الجغرافية بعض الاتقان، على أنى أكره الحرب وأشفق منها وأتمناها مع ذلك بقوة لأنى أنتظر منها ضعف أوروبا. وتقدم الشرق نحو الحرية، فهل ترانى مخطئا؟

وبعد فقد أطلت، ويبقى أن يسافر هذا الكتاب الآن، فتقبل منا جميعا تحية فيها أسف كثير وحب لا حد له ، وسأكتب إليك متى استقر بنا المقام فى آلسن.

طه حسين

شاهد على عصر هتلر

وبين أيدينا رسالة للدكتور محمد عوض محمد أرسل بها في ألمانيا سنة ١٩٣٩ والحرب على الأبواب، ومن هناك يصف أجواء الحرب التي تنبأ بها، وهي شهادة هامة جدا من قلب الأحداث المتسارعة. يقول:

في ٢٦ أغسطس

أخي العزيز

تحية صادقة ، وسلاما عظيما

لست أدري أيهما أكثر تجهما، وتلبدا بالغمام، أجو هذا البلد الأمين، المنعزل عن العالم، أم جد السياسة الحمقاء: الذى يزداد كل يوم تجهما واكفهراراً. ولست أنكر عليك أنتى حينما كنت بألمانيا - ولم أبرحها سوى أمس - كان الاستعداد للحرب على قدم وساق. فقد عطلت جميع الأعمال تقريبا والصناعات، مكتفية بربع أو ثلث عمالها، بينما الآخرون يعملون فيما له صلة بالحرب من قريب وبعيد؟ ولقد رأيت أسوار المنازل الحديدية تنتزع ، ويقام مكانها أسوار من الزرع . لأن ألمانيا تريد ألا تترك قطعة من الحديد يمكن الانتفاع بها.

وكان الناس يعطون ربع كيلو - استغفر الله بل مائة وثمانين جراما - من الزبدة كل أسبوع، إذ لا بد من التوفير للأيام العصيبة . ولقد رأيت بعينى الشبان حتى طلبة الحربية والبرية يؤتى بهم من أقاصى البلاد للإسراع فى جمع المحصول، ولا تزال فى ألمانيا جهات تحتاج إلى بضعة أيام أخرى لكى يتم فيها هذا العمل.

فأمامنا بضعة أيام للتفكير ، قبل أن تقوم الحرب التى لم يعد من قيامها بد.

وقد تركت ألمانيا منذ ثلاثة أيام حينما رأيت الأزمة قد تناولت البنزين الذى تتغذى به أوليفيا. فقد مرت ثلاثة أيام لم ير الناس فيها البنزين إلا شيئا يسيراً ، ثم انفرجت الأزمة يوماً أو يومين، وكنت حينئذ على سواحل البحر البلطى، وبينى وبين سويسره ألف كيلو متر ، فقطعتها فى ثلاثة أيام.

وقد ألقىت عصى النسيان هنا، فى بلدة صغيرة، أردت أن استريح فيها أياما قلانل، ولأفكر فيما يجب علينا عمله. وكذلك لأستشفى من السعال الذى لا تزال فى الحلق منه بقية ، وما ينبغى أن نواجهه الأيام العصيبة بالسعال والزكام.

هنالك ناحية في الاتفاق الروسي الألماني، لست أدري هل خطرت لك ولم أرها في الصحف القليلة التي قرأتها.

ذلك أن الاتفاق قد تم بعد أن أخذت المحادثات الحربية تجرى مجراها. ولا بد من الفرض بأن المفاوضات الألمانية الروسية كانت جارية في الوقت نفسه؟ أليس من الممكن أن الروس قد أرادوا أن يعلموا شيئا عن خطط الحلفاء الحربية، لكى تنتفع روسيا وحليفاتها الجديدة بهذا العلم؟

وهذا يدخلنا في افتراض جديد، وهو أن الصداقة الجديدة بين روسيا وألمانيا، ستبنى على خطة مشتركة جديدة، والصحف الألمانية تتحدث جهاراً في اقتسام بولونيا مرة أخرى. فإن حدث هذا، فليس من الضروري أن تعتدى ألمانيا على وازاج أو على بولونيا. ويكون الاعتداء من روسيا نفسها! فلا يستطيع الحلفاء أن يفعلوا شيئا.

وهكذا يجنى العالم ثمرة شرمطة الإنجليز! بقى التحدث فيما نحن في أمره: لست أدري هل أنت بعد في كنتال أم في باريس، وهأنذا أرسل هذا إلى كنتال لعلك تجده قبل أن تسافر إلى باريس.

من رأيي إذا دام هذا الكفهرار في الجو السياسى ألا نظل جامدين، بل نعود إلى مصر فوراً.

أما أنت والأسرة الكريمة فمن الصواب أن تفكروا جدياً في إمكان تعجيل العودة، وكذلك يجب التفكير - إذا تلبد الجو تلبداً شديداً - في تعديل برنامجكم الخاص بالأستاذ كلود. ورأيي أنا ألقيه بكل تحفظ واحترام: أن يبقى هو وتعود الست معكم. يؤلنى أن تكونوا في باريس في هذا الوقت العصيب، فلا أقل من تطمينى بكلمة ترسلها إلى بعنوانى (....) بزوربخ.

وأنا شخصياً سأذهب إلى زوربخ يوم الاثنين للسعى في تعجيل موعد السفر.

وتقبل تحياتى الصادقة وسلامى للأسرة جميعاً وللصديق العزيز فريد.

عوض

لم أقل كلمة عن حكومتنا الجديدة، ومن رأيي الضعيف أنها أحسن من القديمة ألف مرة بالإغاظة في فريد.

لا كباب ولا عوض

وسندرك كثيرا قيمة د. محمد عوض محمد عند طه حسين حين نقرأ له هذه السطور من رسالة بعثها إلى صديقه الغائب في فترة إقامته بالسودان، حيث يخبره بحدث ثقافي هام هو ميلاد مجلة "الثقافة" ولكنه يعتبره ميلادا ناقصا فاترا لأن "عوض" لم يشارك فيه،^(١) يقول طه حسين: وقد حدث حادث خطير ولكن غيبتك جعلته فاترا، فقد ظهرت مجلة الثقافة، ولو كنت حاضرا لكان ظهورها حريا أن يعجب ويغرب وأن يغيب ويخفق، ولكنها من غيرك أشبه شيء بطعام الفرنسيين أو بطعام الإنجليز الذي يخلو من الفلفل وما يشبهه، وقد كدت أشبه الثقافة بالكاروت أو بجساء البوردج فاقوم، فلعلك تستطيع أن تشيع فيها شيئا من القوة والحدة وترد عنها بعض الفتور.

ومن الأحداث الخطيرة عندنا: أن أزمة الخدم مازالت حادة فقد ذهب الطياخ بعد أن ذهب السفرجي، ونحن نستقبل في كل يوم طارنا يرمينا من الطعام أشكالا وألوانا، ولو قد شهدت ماندتنا لضحكنا وأضحكت، ولكنك بعيد عنها، فهي مظلمة قائمة يسودها الغيظ والخصام" ما أشك في أنني لست الوحيد الذي يطالبك بهذه العودة، وما أرى إلا أن أصدقاءك جميعا يكتبون إليك كما أكتب الآن".

"وعلى كل حال فأنا أكتب إليك في الساعة التي تعودت أن تأتي فيها قبيل عودتهم من السيسما (يقصد أسرة طه حسين) وبعيد الفراغ من ترجمة مقالة الراديو.

وقد سئمت كل شيء حتى العشاء الذي لا سمك فيه ولا كباب ولا عوض!"

* * *

ولمحمد عوض محمد مقال جميل مجهول يحلل فيه شخصية صديقه طه حسين رأيت أن أقدمه كاملا لأنه يقدم شهادة من رأى وسمع، وهي شهادة على عصر بقدر ما هي شهادة على شخص.

(١) المصدر السابق

جن .. طه حسين^(*)

هذه الأعوام الطوال، التي تقف بيننا وبين الماضي، كأنها الحجب الكثيفة والأستار المسدلة، وكل عام يزيد فيها حجاباً جديداً وستراً قاتماً. أريد اليوم أن اخترقها بضوء الذكرى، وأعود بنفسى وبالقارئ، إلى يوم قد مر عليه نيف وعشرون عاماً، وأنا إذ ذاك تلميذ أختلف إلى دور العلم إذا أقبل النهار، وأغشى الخافل والجماع إذا أقبل المساء.

لم أكن أسمع بحفل حافل إلا هرعت إليه، ولا بخطيب ذى خطر إلا احتلت فى الوصول إليه، وما دام الحفل شائقاً والخطيب ذا شأن، فبهيات أن يحول بينى وبينه حاجب سمج أو جندى شديد المراس، وفى إحدى هذه الحفلات ألفت نفسى فى دار الجامعة المصرية القديمة وسط جموع من الناس قد احتشدت، وعلى المنبر وزير مصر ثروت باشا ومن حوله جماعة من خيرة رجال مصر، وقد جلسنا صامتين معجبين، نصغى إلى الخطيب إثر الخطيب، وكل يتحدث إلينا عن فنى من أبناء الجامعة المصرية، قد منحته الدكتوراه، فكان أول أبنائها المبرزين.

ثم استطالت الأعناق، وتحولت الانظار صوب المنبر، وساد الصمت العميق، لأن هذا الفتى، الذى كنت سمعت به، ولم أكن رأيت من قبل، قد وقف ليشكر الذين احتفلوا به وكرموا هذا التكريم. فإذا فتى ذو وجه طلق، تكسوه لحية سوداء ذات طول وعرض، وعلى رأسه عمامة أزهريّة، أو ما يشبه العمامة الأزهرية، وعلى جسده جبة وقفطان أو ما يشبه الجبة والقفطان.. أخذ يتكلم فإذا صوت يجمع بين الشدة والعدوية، ولسان عربى قوى، من ورائه جنان ثابت، وبديهة حاضرة لا تغيب، هذا الصوت الذى استرعى انتباهى فى ذلك اليوم، قد ألقته فيما بعد فلم أعد أتنبه إليه، ولكن كثيراً من أصدقائى أسروا إلى أن هذا الصوت ركن لا يستهان به من أركان هذه الشخصية التى كلفت أن أصفها هنا اليوم.

لقد أخذ الفتى طه يتحدث إلى الناس فى ذلك اليوم، فلم يحاول أن يستتر وراء غشاء من التواضع الكاذب، بل أخذ يشكر الذين كرموه واحتفلوا به. لا لأنه يستحق التكريم بل لأن فى هذا تكريماً للعلم، ورفعاً لشأن العلم. وأذكر أنى انطلقت إلى دارى مساء ذلك اليوم، وأنا معجب بما وفق إليه ذلك الطالب فى موقف ليس الكلام فيه بالشئ الهين اليسير.

لم أكن أدرى فى ذلك اليوم – وأنى لآدمى جاهل أن يدرى؟ – أن سيدور الزمان دورته،

(*) هذا مقال مجهول لمحمد عوض محمد بمناسبة احتفال جامعة ليون بفرنسا بتكريم طه حسين ومنحه الدكتوراه الفخرية، وقد نشر المقال فى عدد الهلال ديسمبر ١٩٣٨، واحتفظ به بين أوراقه الخاصة.

وتجمع بينى وبين هذا الفتى المكرم ظروف الحياة، فإذا أنا جرم صغير وسط هذه المجموعة الكوكبية العظيمة، التى امتلأ بها ذلك الفلك الخطير، الذى تدعوه كلية الآداب.

إن الذين لا يعلمون عن كلية الآداب سوى أنها إحدى كليات الجامعة، لم يكلفوا أنفسهم عناء فى تعرف الحياة العلمية والثقافية فى مصر. فإن فى جدران هذا المعهد صفاء وإخلاصاً وإنكاراً للذات يعز عليك أن تجد له نظيراً فى أى معهد آخر. وليس من شك أن هذا البناء الراسخ القواعد، القوى العمد، الذى ضم بين جدرانه أفضل ما فى مصر من جهود وتضحية. لم يكن ليبلغ ما بلغ من قوة ومثانة، لولا ما بذله طه حسين من خدمة صادقة، وجهود متصلة.

إن ما فى طبع طه من دماثة ورقة، ومن بعد عن الكبر والغرور، قد جعله قوة تجذب وتقرب، وتؤلف. فلم تكذب تستقر قدمه فى معهده هذا حتى أخذ يضم إليه جماعة من خيرة أبناء مصر، وأنبههم نفساً، وأكرمهم قلباً. وكان شأنه فى هذا كالباحث عن الكنوز، التى لا يعلم سواها مفرها، ولا كلمة السحر التى يجتذبهم بها. وهكذا استطاع هذا الساحر الخلاب أن يضم إليه ما بين عتية وضحاها، أعلاماً هائلة مثل أحمد أمين ومصطفى عبد الرازق. فقل لى بحقك فى أى ركن من أركان هذا القطر السعيد كنت تجد نجوماً ثلاثة، باهرة النور ساطعة الضياء، مثل طه حسين ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين. ثم لم يمض وقت حتى تلاهم من صفوة أبناء مصر مثل إبراهيم مصطفى وعبد الوهاب عزام وأمين الخولى.

وقد قصرت الكلام على هؤلاء لأنهم جميعاً قد اتفقوا فى صفة واحدة جليلة، لم يدركها ولم يقدرها إلا القليل، ذلك أنهم قد جمعوا إلى الثقافة الإسلامية الخالصة التى أحاطوا بها إحاطة نادرة، ثقافة عصرية غربية، قد تزودوا منها بأقدار متفاوتة، ولكنها أقدار صالحة على كل حال. وإنى - وأنا من الذين حرموا هذه النعمة - أقرر فى غير تردد أن هذه العصابة التى جمعت بين الثقافتين هى خير من يسهر على إرشاد مصر، وتوجيهها فى هذا الوقت العصيب، الذى تتنازعها فيه المؤثرات المتباينة المتنافرة.

أجل، وإن شخصية طه حسين قد كبرت، وتعددت نواحيها حين ضرب بسهم عظيم فى كلا الثقافتين، وبلغ فى كل منهما منزلة ليس من السهل على المتخصص المنقطع لإحدهما أن يبلغها، فإنك قد تجلس إلى الرجل المثقف - وليكن حظله من الذكاء وافرأ - وتحدث إليه، فتراه يدور فى دائرة واحدة لا يستطيع أن يعدوها، فإذا كانت هنالك مواقف جديدة، لم يستطع أن ينهض فيها إلا بمضدار محدود. أما طه الذى جمع إلى حدة الذكاء وحضور الذهن - ثقافة الشرقيين والغربيين، فقد أصبح نبوغه متعدد الأركان، مختلف الفنون، فهو الكاتب الذى أسلست له العربية قيادها. والخطيب الذى يجمع إلى البيان النادر، مقدرة مدهشة على اختيار الكلام الذى يلائم كل

موقف، وهو في النضال ذو الحجة القوية ، والموفق في إيجاد حل لكل مشكل. ويبحث الغربيون الذين يفدون إلى ديارنا، عن مصرى يستطلعون من حديثه نواحي النهضة المصرية الحديثة فلا يجدون مثل طه في قوة بيانه إذا تحدث إليهم بلسانهم الأعجمي، فأطلعهم على ثقافة الشرق، وعلى نهضة مصر، وما يجيش بصدرها من آمال، وما تعانیه من صروف. لم يكن - بعد ذلك - بد من أن يسير ذكر طه في الآفاق وأن يسمع به أهل الصين في الصين، وأن تحتفل به معاهد العلم في فرنسا أو غير فرنسا من الأقطار.

ستقول: ما أشبه الليلة بالبارحة، بالأمس البعيد وزير مصرى جليل مثل ثروت ، وجامعة مصرية ناشئة ، تقيم حفلة رائعة لتكريم طه حسين الطالب، وبالأمس القريب وزير فرنسى خطير مثل هريو، وجامعة فرنسية عريقة كجامعة ليون تحتفل بطه حسين الأستاذ.

أجل، ولكن حياة طه حسين لم تكن كلها حفلات تكريم وتقدير. فإن هذه السفينة العجيبة لم تلق بها يد الدهر، في بحر كله هدوء وصفاء، بل كثيراً ما عصفت بها العواصف الهوجاء، وتقاذفها الموج الثائر الأحمق. حتى أشفق عليها محبوبها أن ترتطم بصخر قاس، أو يلقي بها في ساحل موحش مقفر.

وفي استطاعتك أن تعجب - ما وسعك العجب - في أن القائمين بالأمر في مصر بدلا من أن يفتبطوا بطه، قد أخذوا يضطهدون طه، ثم يعنون في اضطهاده إلى درجة يصعب أن يتصورها عقل عاقل. وأكبر مظهر لهذا الاضطهاد ما حدث في ربيع سنة ١٩٣٢ حين أخرج من الجامعة إخراجا، ثم أخرج من خدمة الحكومة إطلاقا، ثم أمعنوا في اضطهاده حتى طلبوا إلى شركة مصر الجديدة أن تخرجه من داره التي يسكنها. فأذعنّت الشركة لأمر أولى الأمر، وأبدلت طه من داره داراً أخرى لا تقل عنها رونقاً وجمالاً، وإن زادت عليها في الأجر قليلاً. ورأى الناس هذا الاضطهاد ، فأخذوا يقللون من التردد على داره. وأخذ بعضهم - حتى من كان يظنهم أصدقاءه - ينتحل ظروفاً ويختلقها اختلاقاً، لكي يتذرع بها إلى مخاصمته ومغاضبته. فلم يزل حتى قل زائروه وانقطعت تلك الجموع الحاشدة التي كانت تفد إلى داره كالسيل المتدفق.

وأذكر أني قلت لأحمد أمين في ذلك الوقت : إنى لأشتهى اليوم الذى أرى فيه طه وقد عادت إليه الدنيا، وأرى هل تستطيع تلك الوجوه الكالحة أن تتهافت عليه ذلك التهافت القديم، فضحك أحمد أمين ضحكته الفلسفية العظيمة، وقال: يا صديقى ، ما أعظم سذاجتك ، إنك سزاهم يومئذ وقد ازداد تهافتهم عليه وتزاجهم على داره.

ولقد زرت طه بعد ذلك حين رضى عنه السلطان، وكان اليوم عيداً من الأعياد، فألقيت فى داره أكداسا من الهدايا، ورسائل التهنية. ورأيت صاحبي مكتئباً، فسألته ما خطبك، قال إنى

ذكرت مثل هذا اليوم من العام الماضي، وجعلت أقرن بين اليومين فأحزنتني المقارنة، ولكن لعل هذا شأن الحياة.

على أن زمن المحنة هذا - الذى دام أعواماً ثلاثة - قد أظهر من أخلاق طه نواحى كانت خافية؟ وبرزت فيه شخصيته القوية فى مظهر لا بد للمنصف - مهما كان شعوره نحو طه - من اكباره واجلاله . فلقد كان فى ذلك العهد القاسى عظيما، عظمة لم يبد فى مثلها من قبل ولا من بعد. فى ذلك الزمن الذى انقطع فيه عن طه مورد رزقه الوحيد، وأمعتت دولة ذلك العهد فى اضطهاده، وهجره كثير من أصحابه وأقرانه، لم يمتلى صدر طه حقداً ولا موجدة على أحد. ولم يكتسب طبعه شيئاً من المرارة، وقد ظن الناس أن طه بعد أن ترك خدمة الحكومة وما تدره من رزق، سيعمد إلى حياة متواضعة، فيسكن فى منزل متواضع، ويكتفى من المعيشة بأخفها وأهونها على الجيب ، وأنه سياخذ نفسه وأسرته بشئ من الحرمان والاقتصاد، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن، وظل طه هو طه، ذلك المكساب المتلاف، الذى لا يستقر الدينار فى كفه إلا ريثما يطير عنها. ولم تغير معيشة طه فى شئ بل ظلت مائتته حافلة غنية، وداره فخمة واسعة، وموقده يبعث بالدفع والحرارة ، وسيارته تقطع الطرقات عدواً. وكان المقادير شاءت أن تكون أشد عطفاً عليه فى هذه الحال، فكانت لا تدعه فى الضيق إلا ريثما تيسر له طريق السعة. وقد اشتدت الأزمة مرة ثم إذا هى تفرج بتبونه عرش الصحافة الوفدية، وبين الوفد والأحرار الدستوريين فى ذلك الوقت صداقة أو ما يشبه الصداقة. ولعل عطف الوفديين على طه فى عهد المحنة هذا، هو الذى أسس بينه وبينهم صداقة ومودة. وبهذا لم يعد طه تابعاً لحزب دون حزب، أو جماعة دون أخرى، والناس فى أمر طه ينقسمون إلى قسمين ، هما كالقطين بعداً - ولا وسط بينهما - فقسم شديد الحب له والإعجاب به، وفريق يدل مظهره على البغض الشديد له والنقمة عليه. وبعضهم لم يتورع حتى عن ارتكاب الجرائم لإيذائه والإيقاع به. وإذا استثنينا قليلاً من الذين أكل قلبهم الحسد لطفه على نجاحه وتفوقه ، فإن أكثر الناقلين عليه يصعب أن نجد سبباً لبغضهم ونقمتهم. فهل هذا التناقض الغريب يرجع أمره إلى طه نفسه، أم إلى أخلاق الناس عامة وفى مصر خاصة؟ يغلب على الظن أن الأمر يرجع إلى كلا السببين. فتحن فى مصر - ويا للأسف - يغلب على خلقنا الإسراف، والبعد عن الاعتدال، فتحن نضحك فنسرف فى الضحك ، ونحزن فنسرف فى الحزن. ونحب فنغلو فى الحب، ونبغض فنسرف فى البغض. أليس من الجائز أن هذا هو شأن الناس فى طه، وأن بعدهم عن الاعتدال هو سبب تعصبهم الشديد لطفه أو عليه؟ هذا هو الراجح عندي، ولكن من الجائز أيضاً أن شيئاً من هذا يرجع إلى طه نفسه. فإن خلق الشجاعة قد يشرف أحياناً على التهور، وقد عشق طه الصراحة المرة فى أول حياته، واندفع فى سبيلها اندفاعاً شديداً لم يقف فيه عند حد، ولم يكن

يعرف، ولم يرد أن يتعلم كيف يدارى ولو قليلاً، فإذا خطرت له فكرة، وأراد أن يدافع عنها، أو رأى في إنسان، أو في مؤلف، أو في موضوع، رأياً، لم يتردد في الجهر بما يراه دون أدنى تفكير في العواقب.

ذلك كان عهده في أول حياته، وقد دفع ثمن هذا حتى وهو طالب بالأزهر، يوم حرم شهادة العالمية. وقد استغلت الخصومة السياسية هذا الخلق في طه، وجعل بعض ذوى الأغراض ينفخون في تلك الجمرة ويمعنون في إشعالها. وهذا الخلق الثائر كان لا بد أن يهدأ على مدى الزمن، وتنكسر حدته، ولكن هذا التطور لم يتم إلا بعد أن أشعلت نيران، أبست أن تخمد حتى بعد أن أصبح طه بعيداً عن ميادين السياسة، وفي معزل تامعن تلك الخصومات.

من الأسف المؤلم أن السياسة التي أفسدت كل شئ في مصر، لم تتورع عن أن تقتحم الحرم الجامعي، وتعبث يدها الأثيمة بنظم الجامعة واستقلالها، ولم تزل ويا للأسف تثير الضغائن بين الأخ وأخيه، فتقيم من الطلاب جماعات تقتتل وتشتجر. وطه يحاول جهده أن يقى الجامعة - أو على الأقل كليته - غوائل السياسة، فيفوز أحياناً ويخذل أحياناً، ولو أن طه في بلد هادئ آمن، والجامعة تزدى رسالتها في أمن وطمأنينة، لجت من جهوده وجهود أصحابه أضعاف ما تجنيه الآن، وبرغم هذا كله، فقد استطاع بإخلاصه الشديد للجامعة، وحرصه على خدمتها بكل ما أوتي من قوة، أن يكون له فيها اليوم مكانة منقطعة النظر، فهو موضع الحب والتقدير من زملائه. وحب الطلبة له - الذي يوشك أن يكون عبادة - ليس مجرد تحمس طائش، بل مبعثه هذا الخنو الشديد الذي يحسه نحوهم، وما يبيده لهم من العطف الذي لا يعرف حداً، والذي يكاد أن يكون ضعفاً. فبالرغم من مواقف الحزم التي قد يقفها معهم في كل ما له صلة بالدرس والتحصيل والسلوك، فإنه لا يستطيع أن يملك نفسه إذا سمع بقصة طالب فقير أو عاطل، أو في حاجة إلى المعونة. وقد أصبحت كلية الآداب في عهد طه وليس فيها من الطلبة من يدفع رسوم الدراسة سوى عدد قليل لا يكاد يبلغ الثلث. ومهما رسب الطالب في الامتحان، فإن طه لا يستطيع أن يفرض الرسوم على طالب فقير. ولن ترى في العالم كله معهداً يرسم فيه الطالب عامين متتاليين ثم يتمتع بالجمانية.

وهكذا ترى طه مزيجاً من القوة، التي تشرف أحياناً على العنف، والحنان المشرف على الضعف، ولقد يسئ إليه المسئ ويمعن في الإساءة، ثم يقصده بعد ذلك في حاجة، فإذا طه يسيل رقة وعدوية، وإذا هو ينهض إلى قضاء حاجة المجرم نهوضاً عجيباً، كأنما يسعى لتأدية فرض، أو لمقابلة الجميل بمثله.

وبعد فإنك ستسألني وأسألك - ويسأل بعضنا بعضاً -: كيف استطاع طه، هذا الذي يتهافت عليه أصحاب الحاجات، والذي تراكمت عليه الواجبات، وكيف يتاح له الوقت لكي يعد الدرس،

ويؤلف المقالات، ويصنف الكتب؟.. إن الجواب عن هذا السؤال ينطوي على سر كبير من أسرار نجاح طه. فإن الذي قضى عليه بهذا العمل الكثير المرهق، في الجامعة وغير الجامعة، قد رزقه قوة على العمل المتصل ليس من السهل أن تجد لها مثيلاً. وليس بالشئ النادر أن تراه يبدأ أعماله إذا أقبل النهار، فلا ينقطع عنه العمل بعد ذلك إلى منتصف الليل، اللهم إلا لحظات قلائل يصيب فيها حظاً يسيراً من الطعام والشراب.

ولكن بعد هذا كله لابد من الاعتراف بأن إنتاج طه العقلي، كبير جداً إذا قيس إلى وقت فراغه القليل، والسر في هذا قد يكون راجعاً إلى توقد ذهنه، وسعة إطلاعه، وامتلاكه ناصية اللغة العربية، بحيث تراه في تأليفه كمن يغرف من بحر لا كمن ينحت في صخر. وإلى جانب هذا كله، وفوق هذا كله، تراه يستند في عمله إلى حظ من الإلهام الغريزي، الذي يسوق إليه الآراء الجديدة سوقاً، ويمكنه من أن يولد من الحبة الصغيرة دوحه باسقة، ممتدة الفروع والأغصان .

تقول العامة ان الحديث عن العفاريث إذا ابتدأ فبهيات أن ينتهي، وأصدقاء طه وخلصاؤه مجمعون على أن في طه عنصراً جنياً لا شك في وجوده، ولهذا فإن الحديث عنه لا يمكن أن ينتهي إلا إذا قطعناه بالقوة.

وبعد ، فهذه صورة مقتضبة قاصرة ناقصة لهذا الإنسان العجيب، الذي مدحه الناس بإسراف ، وشتموه بإسراف، وأبغضوه بإسراف، وقل أن تجد شخصاً كرم كما كرم طه ، واضطهد كما اضطهد.

فلنتم إذن حديثنا عن طه الممدوح المشتم، المحبوب المكروه، المكرم المضطهد . طه القوى إلى درجة العنف حين يريد أن يدفع شراً، أو يدافع عن رأى يراه. طه الضعيف الرقيق، إذا قصده المسيئ ليعتذر، أو صاحب الحاجة يشكوها له . طه الجليس المتع، والصديق الوفى، والابن البر، والأب المشفق. طه اللين الجانب الرقيق الحاشية، الحشن الملمس الصعب المراس. طه ذى الكف الناعمة الطرية. والمخالب الحادة القاطعة.

وبعد . فلقد كان برنارد شو غير محبوب كثيراً بين الإنكليز، بعد أن علا نجمه في كل بلد إلا في بلده. ثم لم يلبث الإنكليز أن رضوا هم أيضاً عن برنارد شو، فهل ينتهي الأمر بالمصريين أيضاً إلى أن يجمعوا على تقدير طه والاعتراف بفضله، دون أن يكون هنالك ذلك الشذوذ السخيف الذي نسمع به من آن لآن؟.. ذلك ما أعتقده فإن الساخطين على طه قد أخذ عددهم منذ زمن بعيد يقل شيئاً فشيئاً. ولا بد أن تذهب ريجهم تماماً بعد وقت غير طويل.

محمد عوض محمد

أزمات طه حسين فى الجامعة

واجه طه حسين الكثير من الأزمات، فى الجامعة أهمها وأخطرها ثلاث: أولها أثناء أزمة الشعر الجاهلى التى أثارت عليه عاصفة من الهجوم لأنه حسب من اتهموه يفسد طلابه بأفكاره الهدامة بتجرئه على الثوابت فى الدين والأدب، وكلنا يعلم أن هذه الأزمة قد انتهت لصالح طه حسين بحفظ التحقيق ضده، غير أننا سوف نكشف الآن فقط من خلال أوراق طه حسين التى ننشرها للمرة الأولى أن طه حسين كان قد قدم استقالته من الجامعة ولكنه بتدخل لطفى السيد تم إقناعه بالعدول عنها، أما الأزمة الثانية فمعروفة ومشهورة وهى التى اصطدم فيها مع إسماعيل صدقى وأحيل بعدها إلى التقاعد، ثم كانت الأزمة الثالثة خلال عمادة طه حسين حول كتابين يتم تدريسهما بكلية الآداب واعتبرهما الذين أثاروا الأزمة كتابين يمسان الدين، وقبل الأزمة الأولى وبين الأزمات الثلاث وبعدها حدثت أزمات أخرى كان سببها دائماً طه حسين.

يحدثنا طه حسين الفنى الأزهرى بصدى سماعه لأول مرة عن الجامعة حين يقول: "لم يكده هذا القرن يبلغ السابعة من عمره حتى سمعنا دعوة تقترّب فى مصر وتدعو إليها الصحف ويتحدث بها الناس، وهى الدعوة إلى إنشاء جامعة مصرية كالجامعات المعروفة فى أوروبا.. وأشهد أننى حينما سمعت هذه الدعوة أول مرة لم استقبلها إلا بالضحك فقد كنا - طلاب الأزهر - لا نعرف إلا الجامع ، أما هذه الجامعة التى كانت تركب لنا مؤنثة ، فكنا نضحك منها ونسأل عما يمكن أن تكون، ثم فهمنا هذه الدعوة إلى الجامعة فاستحجال ضحكنا منها إلى رضا عنها وطموح إليها..

جامعة فؤاد فى عهدها الأول

أما كيف نشأت فكرة الجامعة؟

(^١) "ففى سبتمبر ١٩٠٦ نشر المرحوم مصطفى كامل الغمراوى بك نداء فى "المؤيد" دعا المصريين فيه إلى إنشاء "جامعة مصرية" وبعد ذلك بأيام كتب سيد أحمد المنشاوى بك يقرر أن والده أحمد المنشاوى باشا تحدث فى الموضوع إلى نفر من أصدقائه منهم سعد زغلول وقاسم أمين، وعرض أن يوقف أربعين فدانا فى جهة "باسوس"، و"أبو الغيط" لتنشأ الجامعة عليها.

(١) الهلال - عدد خاص عن الاحتفال بالعيد الفضى للجامعة - يناير ١٩٥٠.

هكذا برزت الفكرة إلى حيز الوجود، وتحمست لها الصحف تحمسا شديداً ، وعرض الشيخ على يوسف على أصحابها الاجتماع في دار المؤيد، واتخاذها مقراً مؤقتاً، ففضلوا الاجتماع في دار سعد زغلول بشارع الإنشا.

وفي ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ عقدت الجمعية التأسيسية للجامعة المصرية أول اجتماع لها في بيت سعد في شارع الإنشا بالقاهرة ، وقررت إذاعة بيان على الجمهور وفتح باب الاكتتاب".
ومن بين أوراق طه حسين التي احتفظ بها عثرنا على صفحة مطبوعة من القطع الكبير بعنوان "الجامعة الأهلية" يحتوى على قائمة للتبرعات وأهمها تبرعات الأميرة فاطمة إسماعيل، وصدى ذلك عند الشعراء والزعماء والأدباء ومنهم طه حسين نفسه، حيث تقول هذه الورقة :
الجامعة الأهلية

من التبرعات التي قدمت للجامعة خمسة آلاف جنيه من وزارة الأوقاف ولكن أكثر التبرعات كانت أهلية (بالجنيه) منها:-

| | |
|---------------|---------------------|
| ١٠٠٠ | حسن جمجوم |
| ٥٠٠ | أحمد حيدر باشا |
| ٥٠٠ + ٦ أفدنه | مصطفى كامل الغمراوي |
| ١٥٠ فدانا | الأمير يوسف كمال |
| ٥٠ فدانا | حسن زايد بك |
| ١٠٠ جنيه | سعد زغلول |
| ٧٣ فدانا | عوض عريان |
| ٥٠٠ جنيه | حسين عيد |

وكان أهم التبرعات تبرع الأميرة فاطمة إسماعيل التي قدمت ستة أفدنة بجوار قصرها في الدقي ، وستمائة فدان للصرف من ريعها على الجامعة ، وجواهر تساوى ١٨ ألف جنيه. وقال أمير الشعراء أحمد شوقي في مدحه للأميرة لهذا الكرم:

كسوتها ، وهى أهل للذى كسيت كما كسا جنبات الكعبة الكاسى

فلا صنيع كصنعك فى محاسنه ولا لفضلك فى الأجيال من ناسى

أما طه حسين فقال مخاطبا الأميرة فى قصيدة نشرتها (الجريدة) بتاريخ ١٩١٣/١١/٩:

عشت للشرق فان الشرق محتاج إليك رفع الله منار العلم فيه ... بيديك

وهبت الجامعة السعد، فنالت نعمتك فهي في أمن من الدهر بما فازت لديك
يا مثال الجود والبر هنا في بلدك إنما الحمد وحسن الذكر موقوف عليك
وأرسل الزعيم مصطفى كامل من باريس خطابا إلى محمد فريد أمين اللجنة التي ألفت لتكريمه
عند عودته يشير فيه إلى مشروع إنشاء الجامعة المصرية قائلا: هذه هي (الهدية) الوحيدة التي يليق
بالوطنين إهداؤها لمصر والمصريين، فلتنسى الأحزاب انقساماتها ولينس الصحفيون خصوماتهم
ولتلق الأحقاد في هوة لا يسمع فيها لعذر ولا دوى، وتجتمع الأمة لإتمام هذا العمل الضخم
وتحقيق ذلك المشروع الذي كله خير ونفع عميم.

الأزهريين أكثر استفادة

ويؤكد طه حسين أن الأزهريين الذين دخلوا الجامعة كانوا أكثر استفادة من هؤلاء الذين لم
يتعلموا بالأزهر، "وأستطيع أن أقول إن هذا التعليم كان له أثر سريع في نفوسنا - نحن الأزهريين
- عن إخواننا الذين درسوا بالمدارس المدنية. وهو قد أتاح لنا أن نلتقى مرات مختلفة في الأسبوع
الواحد، بعد أن كنا في عزلة تامة، وأتاح لنا أن نتحدث بعضنا إلى بعض وأن نتعاون وأن ندرس
معاً، وأذكر أنني كنت قد اتفقت مع بعض هؤلاء على أن أعلمه المنطق الذي كنا ندرسه في الأزهر
ويعلمنى هو لغة من اللغات الأجنبية".

ويتذكر طه حسين كيف أنه اضطر إلى الاستدانة ليدخل الجامعة المصرية القديمة في عهدها
الأول "وحين تقدمت للجامعة الأهلية كان على أن أدفع جنيها واحداً رسم تسجيل، ولم يكن معي
ما أدفع، فطلبت من الزيات صاحب "الرسالة" أن يدفع هذا الجنيه ولم أرده له ولن أرده".

وتأتى الفرصة لطله حسين ليعبر البحر إلى السوربون في بعثة على حساب الجامعة إلى فرنسا،
بعد أن استوفى شروطها المطلوبة وحصل على أول دكتوراه عن أول رسالة جامعية تمنح لطالب في
تاريخها، وكانت عن "ذكرى أبو العلاء المعري" والتي أثارت ضجة وصلت إلى الجمعية التشريعية
التي يرأسها سعد زغلول، بعد أن اتهم أحد أعضائها، طه حسين بأنه تجنى على أبي العلاء وأخرجه
من دين الإسلام، مما يستوجب حرمانه من حقوقه الجامعية، وعدم سفره في البعثة التي رشح لها
للسفر إلى فرنسا، وذهب هذا النائب إلى حد المغالاة فطالب بإغلاق الجامعة التي منحت طه حسين
إجازة الدكتوراه، واستطاع سعد زغلول أن يقنع هذا النائب بسحب سؤاله الذي يعتزم تقديمه
للجنة التشريعية لأن من شأنه ألا يثير فتنة في الجامعة فقط بل سيمتد ليهيئها إلى الأزهر نفسه الذي

يقتضى الأمر إغلاقه أيضاً لأن طه حسين كان يدرس فيه قبل الجامعة.

وحدثت الفتنة إلى حين، ليسافر طه حسين إلى فرنسا، ليمكث هناك أكثر من سنة، ثم يعود مضطراً بعد إفلاس الجامعة التي أعادت مبعوثيها إلى حين تيسر الأمور، ومر طه حسين بفترة من أقسى فترات حياته التي تحطمت فيها آماله أو كادت، ليقدم هو بنفسه السبب الذي كان سيلغى بعثته نهائياً عندما قارن بين دروس أحد مشايخ الأزهر، ودروس أساتذته بفرنسا، ونشر ذلك على الملأ في جريدة "السفور" مما جعل هذا الشيخ يشكوه إلى مجلس الجامعة مطالباً بإلغاء بعثته لتطاوله، ولولا أن الذي قام بالتحقيق مع طه حسين بناء على قرار مجلس الجامعة، هو أستاذه أحمد لطفى السيد الذى أنهى المشكلة، لحرم طه حسين من العودة مرة أخرى إلى باريس لاستكمال دراسته، وقد عاد بعدها مظفراً تقيماً له الجامعة احتفالاً بحضوره وجهاء القوم فرحاً بأنجب أبنائها الذى حصل على أول دكتوراه من الخارج .

وقائع الاحتفال بطه حسين

نقرأ من بين أوراق طه حسين خبراً مكتوباً بخط اليد يسبق هذا الاحتفال تقول سطورته:

الخروسة : ٧ ديسمبر ١٩١٩

فى الساعة السادسة بعد ظهر اليوم تحتفل الجامعة المصرية ، ويحتفل معها الشباب المصرى الناهض بافتتاح محاضرات الأستاذ الدكتور طه حسين فى التاريخ القديم، وسيحضر الاحتفال أعضاء مجلس إدارة الجامعة وكثيرون من رجال العلم والأدب فى مصر .
والأستاذ الدكتور طه من خير ما أنجبت مصر علما وخلقا، ومن خير من تنتظر مصر منهم عملا فى سبيل ترقية مستواها العقلى بالطرق العلمية الصحيحة الحديثة التى استقاها من موارد الغرب وأضافها على صفات الثبات والاستمرار والتعمق التى اكتسبها من المدة التى قضاها فى الأزهر بمصر .

ولا يشك عندنا فى أن حفلة اليوم العلمية ستكون فاتحة نهضة علمية مباركة يستفيد منها طلاب العلم: شبابهم وشيوخهم، وتدفع بهم إلى الأمام فى سبيل الرقى والتقدم.

وفى ورقة أخرى نقرأ عن وقائع الحفل بتاريخ اليوم التالى فى ٨ ديسمبر ١٩١٩ الخروسة ، تحت عنوان: الدكتور طه حسين يلقى درسه الافتتاحى بالجامعة المصرية، تقول السطور التى احتفظ بها طه حسين بين أوراقه:

كان أمس موعد إلقاء الدكتور طه حسين أستاذ التاريخ القديم بالجامعة المصرية، أول درس له بعد عودته من أوروبا متزوذا بالطرائق العلمية وأساليب البحث الحديث. فبدأ شباب مصر يفتد على دار الجامعة من الساعة الخامسة بعد الظهر، وكان من مختلف الطبقات ، يضم الأستاذ، والمدرس، والحماني، والطبيب، والصحفي، والأديب. وعند الساعة السادسة أقبل أعضاء مجلس الإدارة يتقدمهم حضرة صاحب المعالي ثروت باشا، الوزير السابق، يتبعه سعادة إسماعيل حسنين باشا وكيل المعارف، ومرقص حنا بك الحماني، وعلى بك بهجت مدير دار الآثار العربية، وشكري باشا وكيل الحفانية، وحسن سعيد باشا، فتقدم الأستاذ إسماعيل رأفت بك وأخذ بيد الأستاذ طه وقدمه إلى ثروت باشا، ثم ارتقى إلى مقعد المدرس، فقابل الحاضرون الأستاذ الجديد بالتصفيق الطويل، ثم وقف بعد ذلك ثروت باشا وقال:

أيها السادة: في العام الماضي وفي هذه القاعة افتتح صاحب المعالي زغلول باشا الوكيل الثاني للجامعة المصرية درس آداب اللغة العربية الذي ألقاه الأستاذ الشيخ "أحمد ضيف"، وإنني لسعيد اليوم أن أقدم لحضراتكم الدكتور طه حسين (تصفيق) ابن الجامعة، وأحد متخرجي إرساليها بفرنسا، وإنني لفي غنى عن تعريفكم بمقام الرجل، ومكانته من العلم والأدب، فالدكتور طه حسين معروف بيننا من قديم بما اشتهر به من النبوغ والذكاء النادر. حياة الدكتور طه حسين العلمية بدأها طالباً في الجامعة الأزهرية، ثم انتسب بالجامعة المصرية، وواظب على الحضور فيها سنة ١٩١٤، فتقدم لنيل شهادة الدكتوراه فيها، وذكرى أبي العلاء لا تزال في أذهاننا جميعاً، تلك الرسالة الفلسفية الخطيرة التي تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه، تلك الرسالة التي نالت المنزلة الكبرى والشهرة الفائقة.

كان الأستاذ طه حسين أول عالم شرقي نسج هذا المنوال في أبحاثه الفلسفية، عندما بحث أطوار فيلسوف الشرق أبا العلاء المعري. نجح الشيخ طه حسين نجاحاً باهراً، فكان أول دكتور أخرجته الجامعة المصرية، وتبينت فيه إدارة الجامعة تلك الكفاءات العلمية، وظهرت تلك المقدرة الاستثنائية، فلم ترد أن يقف الشيخ طه حسين إلى هذا الحد، فانتخبته لأن يكون عضواً في إرسالية الجامعة بفرنسا ليدرّس التاريخ فيعود إلى الإفادة في دار الجامعة. ذهب واشتغل في كلية الآداب في السوربون، وحصل على إجازة الليسانس فيها، ثم نال الشهادة العالية في العلوم التاريخية.

وإنني لأذكر بمزيد من الفخر والإعجاب أن المدة التي قضها كانت أقصر مدة يمضيها الطالب في تحصيل ما حصل".

استقالة لم تتم

وأراد طه حسين أن يرتقى بالجامعة المصرية لتكون كمثيلاتها الأوربيات، فأدخل دراسة التاريخ اليونانى إلى الجامعة لأول مرة ، فرضى القليل وسخط الكثيرون الذين رأوا فى هذه الدراسة مضيعة للوقت والجهد فيما لا يفيد، ثم بدأ طه حسين ينحو فى دراسة الأدب منحى جديداً قوامه الشك فى كل الثوابت والمسلمات الموروثة، وليضع بذلك اللبنة الأولى للدراسة العلمية المنهجية للأدب العربى، ولينقل طه حسين منهجه من داخل أسوار الجامعة إلى خارجها بمقالات فى الصحف، والنى توجهها بكتابه القنبلة "فى الشعر الجاهلى" والذى تضمن محاضراته التى ألقاها فى الجامعة، لتصبح دراسة الأدب بعد صدور هذا الكتاب ليست كدراسته قبله، وأصبحت قصة هذا الكتاب معروفة ومشهورة تناولتها الكثير من الكتب، ولا نرى داعياً لتكرارها هنا، أما الجديد الذى سوف نكتشفه هنا لأول مرة فهو قرار طه حسين بالاستقالة من الجامعة بعد الضجة التى أثرت ضده والاتهامات التى علقت برقبته، ولكن أحمد لطفى السيد بالاتفاق مع وزير المعارف نجح فى حفظ هذه الاستقالة كأنها لم تكن ولذلك لم نسمع عنها، وسنجدها فى هذه الوثيقة التى ننشر نصها الذى كتبه مدير الجامعة لطفى السيد:

الجامعة المصرية.

قلم المستخدم.

المرجو عند الرد ذكر هذا الرقم م ١-١٦/١.

القاهرة فى ١١ مايو سنة ١٩٢٧

جناب المحترم ناظر كلية الآداب

جواباً على كتاب الكلية رقم ٥٨ فى ٥ مايو سنة ١٩٢٧ أتشرف بإخبار جنابكم أننا بعد أن قابلنا حضرة صاحب المعالي وزير المعارف استطعنا إقناع حضرة الدكتور طه حسين بأنه لا داعى لاستقالته ، وأن الجامعة تحرص على إبقائه فى كرسيه، ولذلك حفظنا الاستقالة المذكورة ونرجوكم إبلاغ حضرته ذلك.

وتفضلوا بقبول قائق الاحترام

مدير الجامعة المصرية

الإمضاء "أحمد لطفى السيد"

الأزمة الكبرى

ولكن العاصفة تعود مرة أخرى للظهور بعد اصطدام طه حسين برئيس الوزراء إسماعيل صدقي وحكومته ، على إثر رفض طه حسين منح الدكتوراه الفخرية لبعض السياسيين، وتظاهر طلبة الجامعة أثناء زيارة الملك فؤاد للجامعة برفقة رئيس وزرائه صدقى باشا احتجاجا على حكومته الديكتاتورية، ثم رفض طه حسين محاولات صدقى لاستمالاته لرئاسة تحرير صحيفة حزبه، ولم يكن هناك بد من عقاب طه حسين وإخراجه من الجامعة ونقله إلى ديوان وزارة المعارف وإحالاته إلى المعاش بعد ذلك وتجديد فتح ملف قضية الشعر الجاهلى مرة أخرى، ويقوم طلبة كلية الآداب بالإضراب عن الدروس احتجاجا على إخراج أستاذهم وعميدهم، وكان من المشاركين فى هذا الإضراب الطالب نجيب محفوظ بقسم الفلسفة بكلية الآداب. ويرفع طلبة الكلية التماسا إلى الملك فؤاد لإعادة عميدهم إليهم، وأعرب مجلس كلية الآداب عن أسفه ودهشته لهذا القرار الذى لم يعلم به إلا من الصحف، وتوسع دائرة الإضراب لتشمل طلبة كليات العلوم، والحقوق، والطب، كما أضرب طلبة مستشفى قصر العينى.

ووقعت مصادمات خفيفة بين الطلبة والبوليس، أما مدير الجامعة أحمد لطفى السيد فقد كان الجميع يتقبن موقفه، وبدأوا ينحون عليه باللوم لتأخره فى اتخاذ موقف حاسم من إقالة طه حسين من الجامعة.

وتذكر صحف تلك الفترة أن طلبة كلية الآداب "قابلوا مدير الجامعة وأبلغوه احتجاجهم فنصح لهم بالتزام الهدوء واعدأ إياهم ببذل قصارى طاقته لحل الإشكال بما يصون كرامة الجامعة ويكفل لها استقلالها.

وللحال شرع حضرته فى مخاطبة ولاة الأمور بالموضوع، فاستنكر الطريقة التى جرت عليها وزارة المعارف فى معاملة الدكتور طه واعتبرها ماسة بكرامته وكرامة الجامعة كلها، وطلب إعادة العميد المنقول إلى كليته فى خلال ٤٨ ساعة.

وطلب أحمد لطفى السيد من ولاة الأمور أن يعتبروه بحكم المستقيل من منصبه إلى أن يسوى الإشكال بما يصون كرامته وكرامة الجامعة، فإذا لم يسو على هذا النوال استقال من منصبه نهائيا، فرغب إليه ولاة الأمور فى التريث ريثما ينجلي الموقف فأمسك عن إعلان استقالته ولكنه انقطع عن الذهاب إلى مكتبه.

وظن بعضهم يومئذ أن مدير الجامعة تساهل في حقوقه وفي الدفاع عن كرامة الجامعة، فبدأوا ينحون عليه باللوم، فتحمل لومهم صابراً آملاً أن يوفق إلى حل الإشكال حلاً مرضياً.

فاقترح لتقريب شقة الخلاف أن يعود الدكتور طه إلى كلية الآداب أستاذا فلم يقبل اقتراحه وعندئذ صمم حضرته على الاستقالة فأرسلها إلى وزير المعارف مكتوبة قبل ظهر الخميس " ١١ مارس ٣٢" ولكي يضع ولاية الأمور أمام الأمر الواقع أرسل صورة منها إلى بعض الصحف فنشرت فيها بعد تسليمها للوزير بساعات. فأنارت استقالته ثائرة طلبة سائر كليات الجامعة، فاجتمعوا يوم الجمعة.. وقرروا الإضراب يوم السبت احتجاجاً. وكانوا قد أضربوا قبل ذلك عقب إذاعة خبر نقل الدكتور طه مشاطرة لزملائهم طلبة كلية الآداب في إظهار عواطفهم إزاء هذا الحدث".

ولم يتوقف صدى هذا الحدث الذي وصفته الصحف بالمشكلة الخطيرة، داخل الجامعة وخارجها فقط، بل امتد إلى باريس بين الطلبة المصريين المبعوثين هناك، كما سنقرأ ذلك في وثيقة تكشف عن ردود الفعل هناك لأول مرة، وهي عبارة عن رسالة بعث بها الطالب محمد مندور عضو البعثة المصرية في باريس.

اتقسام المبعوثين

يقول: أستاذنا العزيز

تحية واحتراما وبعد فقد بلغنا منذ زمن بعيد خبر ما نزل بكم من ظلم صارخ استنزل لعنات الوطن من أدناه إلى أقصاه أرضا، وما كان من صمودكم بالحق وقيامكم على الكرامة، وها نحن نأتيكم بدورنا معاهدين غد إليكم أيد لن تضطرب في الذود عن رجل طالما أحسن لدويها وغمرهم بفضله، ويا عجباً كيف ننسك وقد حملتنا من محبتك ما تجيش به قلوبنا وتنطق عنه حواسنا وهل من سبيل إلى الفرار عن واجبنا المقدس في الاحتجاج على ما نزل بمعهدنا الكريم - وطننا الثاني - من اعتداء صارخ كان لسوء حظنا أن نفذ في شخصكم المحبوب مما ضاعف الجرم وبالغ في وقع الجريمة، وهل أقل من أن نقول للظالم أنك قد ظلمت، أما والله أن الذل عار وقبيح بمن يرض به.

منذ أن وصلنا الخبر المشؤم اجتمعت بزميلي شعيرة أفندي وتحدثنا فيما يجب علينا عمله، وبسرعة اتفقنا على إرسال تلغراف للوزير نحتج فيه على الاعتداء على استقلال

الجامعة الذاتى فى شخصكم ، ونطلب إعادتكم إلى العمادة وبالفعل وضعنا الصيغة كالاتى حرفيا من "معوثو كلية الآداب يحتجون من الضرر الواقع على استقلال بيتهم فى شخص عميدهم المحبوب ويرجون إعادة النظر فى هذا القرار".

وتركنا لفظة "نرجو" لنستبدالها بلفظة "نطلب". حسب رأى الأغلبية ، ولما كان من الصعب التفاوضا جميعا فى مكان واحد كتب شعيرة أفندى الصيغة مع استبدال لفظة "نرجو" بلفظة "نطلب" ليكون لنا الخيار عند الإرسال باعتبار أن من يقبل الأكثر شدة يقبل الأقل بالأولية. ومر شعيرة على إخواننا أعضاء البعثة لأخذ امضاءاتهم ، وبالفعل أمضى عزت والحضيرى ونجم والشحات أيوب وعثمان أمين وعلى حافظ وشعيرة وأنا طبعاً ، ألا أنه كما لا يخفى عليكم أخذ إخواننا الأفاضل فى التفكير فى سطوة الحكومة ، وما الجبن كما تعلمون إلا نتيجة التفكير الطويل ، وبالفعل جاء عزت بعد أن أمضى بنحو ساعتين أو ثلاثة وجاء معه عثمان أمين حيث كنا مجتمعين: شعيرة والشحات وأنا وأخبرونا بعدولهم عن رأيهم هم والحضيرى ، وبأنهم لا يريدون الاستهداف للخطر ، فرأيت حسماً للنزاع ورغبة فى عدم انشقاق الكلمة أن نستبدل كلمة يحتجون ، بكلمة "يأسفون".

وبهذا لا يكون التلغراف إلا عبارة عن أسف ورجاء ، وبعد أخذ ورد لاحت منهم الموافقة ، وانفض المجلس على ذلك ، وبالفعل أرسل شعيرة التلغراف بعد أن دفعوا جميعاً الاشتراك فى أجرته ، وأرسله بالصيغة الحقيقية ، مع أنهم أمضوا على أشد صيغة ، ومرت الأيام حتى كان أول إبريل ، وذهبنا إلى مكتب البعثة لأخذ الشيك ، فإذا بالديوانى بك يدعونى إليه ثم يسألنى عن التلغراف ولماذا أرسلناه ، وتناقشت معه طويلاً فى: هل يجب أن يكون للجامعة استقلال ذاتى أم لا ؟ وهل للجامعات فى أوروبا هذا الاستقلال أم لا ؟

وفى هذه الأثناء جاء "عزت" فسأله الديوانى بك عن نفس التلغراف فإذا بعزت يصيح بأنه غير موافق على إرسال تلغرافات وأنه لم يرسل شيئاً ، وإنما أنا وشعيرة اللذان أرسلنا التلغراف ، فسألته أمام الديوانى بك : هل أمضى على التلغراف أم لا ؟ فأجاب بالإثبات ولكنه عاد فقال: ولكن عدت فعدلت ، ثم قال: وها هو الدليل على استنكارنا للتلغراف وعدم موافقتنا عليه . فعلا قدم للديوانى بك ورقة بهذا المعنى وفى أوقح الألفاظ وعليها إمضاؤه كزعيم للجن والاضططاط – وأستميحكم عذراً فى استعمال هذه الألفاظ فهى جديرة بهم – ومعهم إمضاء الحضيرى طبعاً وعثمان أمين وحسين نجم ، فعلا الدم فى رأسى ووصفته بما هو جدير به من ضعف الأخلاق ونحافة التربية ، وقلت للديوانى بك : إن قطع رأسى عن بدنى أهون إلى من الإمضاء على هذه الورقة. فألح فى أن أرجع عن رأيى فأبيت ، وما كنت

أستطيع غير ذلك، وافترقنا على هذا.

هذا ولا يغيب عنكم أن الديوانى بك لم يتلق أى خبر من مصر عن هذا التلغراف، وإنما هم إخواننا الأفاضل هم الذين وشوا إليه بالتلغراف، وبصيغة التلغراف، ويرى الديوانى بك أن فى قولنا "نأسف على الاعتداء على استقلال الجامعة" جرحا للوزير ، وهو تفكير غريب، وبفرض صحته فنحن نتحمل مسئوليته، وها هو ينتظر ما سوف يكون من الوزارة.

والغريب أن عزت وإخوانه يتحدثوننا بالثبات على مبدئنا، لأنهم يظنون أن فى ذلك هلاكنا الأكيد ، حيث نفرد بالمسئولية، وعندئذ لا تجبن الوزارة عن رفتنا، وهو ظن خاطئ منهم، لأننا لا نعبأ بالوزارة ولا برفتها ما دمنا على حق، ومادامت أخلاقنا سليمة من هذا الجنب الشائن، ولقد ذكرتى هذه الحادثة بعد الظاهر السملوطى وغيره ممن يسمونهم فى مصر بشاهد الملك ، حيث يتسلل أحد ضعاف النفوس وينبرى جريا وراء منفعة فانية لينزل الشر بزملائه، وهو انحطاط أخلاقى لو كنت قاضيا وكان القانون طوع أمرى لأنزلت بهم عقوبة الإعدام فى غير رحمة ولا أسف.

ولكم كان عزيزا على نفسى أن أذكرهم أن الدكتور طه الذى ينفرون من حوله الآن ويخشون من الانضمام إلى صفه كان صاحب الفضل فى إيصالهم إلى ما يحرصون عليه الآن حرص الكلاب على الجيف، والعياذ بالله، وأنه لولاك لظلوا بمصر صياحا يتضورون جوعا، وهب أننا لا نحكم على الأمر إلا من الناحية الأخلاقية البحتة، أينتظر من ناس كهؤلاء عملا كهذا.

لقد قلت لعزت أمام الديوانى بك أنه لا يجوز له أن يطمئن أن الديوانى بك يتسم له بإخلاص ، بل على العكس الديوانى بك كوزير المعارف، وكأى إنسان عدو أو حبيب لاشك يحتقر أمثال هذه الحشرات ، وإن ابتسم لها فى الظاهر بحكم الوظيفة أو المنفعة، وقلت أكثر من ذلك وهو صحيح ومنطبق على هؤلاء الكلاب.

أما والله إننى على أتم استعداد للعودة إلى مصر إذا كانت الوزارة تأبى على أن أقول كلمة الحق فى سبيل رجل أنا مدين له بما لا قبل لى بوفائه، وأكبر دليل على ذلك هو أننى لم أكتف بالتلغراف بل أرسلت مقالة لجريدة السياسة منذ زمن بعيد ولعلها نشرتها، وعنوانها (من هى كلية الآداب ومن عميدها)، ومنذ يومين أرسلت لنفس الجريدة مقالة أخرى عن (استقلال الجامعات) ولو كنت فى مصر للمأت بقاع الأرض بصيحات الحق تدوى فى آذان الظلمة وتهز من عروشهم.

وهكذا يا سيدى الأستاذ ترى الغدر وانحطاط الأخلاق حتى بين الشباب الذى كنا

للأسف نرجو منه الخير لهذا الوطن المكين ، ولكن لا تأسوا ولا تحزنوا فسوف تكون الكلمة لنا لأننا على حق، ولأننا نسعى وراء نفع هذا الوطن ونفع ذويه ، فلنصبر على ضيمهم قليلا حتى يأتي العدل والحرية ، وعندئذ نضع على الظلم قيودا متينة لا انفكاك لها، كما أتوسل إليكم فى الاعتماد على إخلاصنا إلى النهاية ، فإننا وإن كنا لا نزال فى مقتبل العمر ولا يزال صوتنا غير مسموع ، فسوف يأتي يوم نصيح فيه بالحق، وإذ ذاك ننشر مالكم من فضل، ونتم ما بدأ تم من عمل صالح لنؤدى بعض ما هو واجب علينا لكم وجوباً أبدياً لا أداء له بغير الصبر على محبتكم والإخلاص لشخصكم المحبوب مهما نزلت بنا من صروف ، وعليكم من تلميذكم المحب المخلص سلام الله وتحيته.

مندور

فلاح مغفل

ويعتبر الدكتور مندور من أبرز تلامذة طه حسين ، ويروى هو بنفسه قصة تعرفه على طه حسين فيقول^(١)

"فتحت الجامعة الجديدة أبوابها سنة ١٩٢٥ .. وتقدمت ضمن أول دفعة التحقت بكلية الحقوق، وكانت هناك سنة إعدادية تعد الطلبة للالتحاق بكليتى الحقوق والآداب .. وأول يوم فى السنة ألقى علينا د. طه حسين محاضرة عن "الشعوبية وانتحال الشعر" ثم طلب منا أن نلخصها فى خمس دقائق، وعندما قرأ الدكتور تلخيصى للمحاضرة قال لى :

أنت يا ولد باين عليك ممتاز ، رايح تخش كلية إيه؟

قلت: كلية الحقوق .. أصلى عاوز أبقى وكيل نيابة. فشخط فى وقال : أصلك فلاح مغفل.. أدخل كلية الآداب يا غبى وانت تبقى طالب ممتاز وتسافر أوربا.

وسمعت كلام الدكتور طه.. كنت أدرس الحقوق الصبح وأدرس الآداب بعد الظهر.. وحصلت على ليسانس الآداب قسم اللغة العربية واللغات السامية سنة ٢٩، وفى العام التالى نجحت فى ليسانس الحقوق.

(١) "عصير حياتى" لعبد التواب عبد الحى - ١٩٦٦.

كتبوا اسمي ضمن بعثة مسافرة إلى فرنسا ، ولكني رسبت في الكشف الطبي ، وكنت قد كتبت بحثا عن الشعر الجاهلي وأعجب به طه حسين فأخذه إلى حلمي عيسى باشا ، ناظر المعارف ، وقال له: "اقرأ هذا البحث" ، وأصدر ناظر المعارف قرارا بإعفائي من الكشف الطبي ، وسافرت لأدرس في السوربون .

وفي السوربون حصلت على ليسانس في الأدب الفرنسي واليوناني وفقه اللغة وعلم الأصوات اللغوية ، وهو علم يبحث في أصوات اللغة وموسيقاها ويحلل الموجات الصوتية وكمها ودرجة الارتكاز اللغوي فيها ، ودرست أيضا التشريع المالي والمذاهب الاقتصادية السياسية ، وحصلت على دبلوم فيها . وقامت الحرب ، فرجعت من فرنسا لأعمل مدرسا مساعداً في كلية الآداب ، أدرس للطلبة "الترجمة الإنجليزية" ، وقدمت رسالة عن "تاريخ النقد المنهجي عند العرب" وحصلت على الدكتوراة في الأدب العربي .. وعندما افتتحت جامعة فاروق في الإسكندرية نقلوني إليها مدرسا للأدب العربي ، وهناك قابلت إحدى طالباتي - اسمها "ملك عبد العزيز" ، كانت تقول الشعر وتنجح بامتياز فتزوجتها .

هذا نموذج لتلاميذ طه حسين الذي تسلك بالثقافة والعلم على أعلى مستوى قبل أن يتصدى للنقد الذي صار أحد المبرزين فيه ، فقد تخرج من مدرسة طه حسين الجامعية ، ويألفها من مدرسة .

تهنئة "مي"

نعود إلى طه حسين في الجامعة ، وعودته بعد زوال عصر صدقي ، ليهنئه الكثيرون بالعودة ، ومنهم الأنسة "مي" أديبة أدبيات عصرها (التي دق لها قلب طه حسين حين سمع صوتها لأول مرة) التي نلمح سعادتها في هذه الرسالة القصيرة الطريفة المعبرة ، فتقول: ناديتُ بالتليفون ثلاث مرات لأطلب موعدا للزيارة لعلمي أن الدار مزدحمة دائما بالزائرين ، وأنا أبتعد عن الازدحام ، ولكن التليفون طبعاً مشغول لأن تليفون العميد عميد التليفونات ، كم أنا سعيدة بزيارة وبدون زيارة ، أرجو أن يعود لطفى بك قريبا إلى الجامعة "ليستقر الحق في نصابه" ، على نحو تعبير كاهن أوزوريس . مع التهنئة بعيد الفطر المبارك .

"مي"

أزمة جديدة

وتأتى سنة ١٩٣٩ لتشهد أزمة جديدة بخصوص كتابين يدرسان فى كلية الآداب . ولنترك طه حسين بنفسه يروى قصة الأزمة فى نص تقريره الذى رفعه إلى مدير الجامعة أحمد لطفى السيد، وما انتهى إليه مجلس الكلية بشأن ما أثارته الصحف حول الكتابين ، فيما تضمناه من مساس بالدين والرسول.

يقول نص تقرير طه حسين.

كلية الآداب

١٤ مارس ١٩٣٩

حضرة صاحب المعالي مدير جامعة فؤاد الأول

تفضلتم فتحدثتم إلى فى شأن ما أثير من لفظ فى الصحف حول كتابين يقرؤهما طلاب السنة الثالثة بقسم اللغة الإنكليزية.

فاتشرف بأن أرفع إلى معاليكم أن مجلس الكلية اجتمع فى يوم ١٣ مارس سنة ١٩٣٩ وعنى بدرس هذا الموضوع. وسمع فيه البيان الذى أدلى به رئيس قسم اللغة الإنكليزية. وراجع الكتابين المذكورين. فتبين ما يأتى:-

١- أن الكتابين اللذين أثير حولهما اللغظ هما كتاب محادثات خيالية تأليف و. س. لاندر، والرواية التمثيلية "جان دارك" من تأليف برنارد شو. ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الكلية لا تصرف للطلبة كتباً، وإنما يشير الأساتذة بمطالعة فصول خاصة أو مؤلف خاص ، فيستطيع الطالب أن يستعير الكتاب من مكتبة الجامعة، أو يقتنيه لنفسه إذا شاء.

٢- فأما الكتاب الأول فهو عبارة عن محادثات خيالية كل محادثة منها تتناول موضوعاً خاصاً، وكل منها مستقل عن الآخر تمام الاستقلال. هذه المحادثات تبلغ نيفا ومائة محادثة. وقد كلف الطلبة أن يطالعوا المحادثات الآتية:-

(١) محادثة بين أيسوب وردوبى

(٢) محادثة أخرى بين أيسوب وردوبى

وموضوع هاتين المحادثتين (الحياة الأخرى، وخرافات اليونان).

٣) محادثة بين إسكندر المقدوني وكاهن آمون.

وموضوع الحديث - القرابة ، والفضيلة، وحياة الإسكندر.

٤) محادثة بين اللورد بيرون وريشارد هوكر

وموضوعها مسلك المرء في وقت الشدة، وقيمة العلم والحكمة.

٥) محادثة بين أوليفر كرمويل ووالتر نويل .

تدور حول موقف كرمويل من الملك شارل الأول.

٦) محادثة بين لويس الرابع عشر والأب لاشيز .

وموضوعها عقلية الفاتحين.

٧) محادثة بين الجنرال كليبر وأحد الضباط الفرنسيين

وموضوعها نهضة مصر

هذه المحادثات التي كلف الطلبة دراستها ليس فيها أدنى إشارة للإسلام ولا للنبي عليه السلام، ولا تمس الدين من قريب أو بعيد.

فالشكوى من هذه الفصول باطلة لا أساس لها.

٣- الكتاب الثاني مسرحية جان دارك ليرنارد شو من الكتب التي يطالعها الطلاب في الكلية منذ ستة أعوام. وقد ترجمت إلى اللغة العربية ، وتداولها الناس ، دون أن تحدث ضجة أو تثير احتجاجا.

والقطعة المعترض عليها عبارة وردت في حديث الأسقف كوشون ، في الفصل الرابع وهو يخاطب الإيرل ورك ، أراد المؤلف أن يصور هذا الرجل بالتعصب الأعمى والغباء فأجرى على لسانه عبارة يقارن فيها بين أعمال جان دارك وأعمال محمد (عليه السلام) الذي وصفه بالمروق ، وبأنه عدو المسيح.

وقد رد عليه محاوره بأنه عرف المسلمين فرآهم قوما كراما، بل إنهم يفضلون قومه من نواح كثيرة.

من هذا يبدو أن المؤلف لم يرد أن يطعن في الإسلام أو أن يؤذى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما أراد تصوير أسقف متعصب جاهل من أساقفة العصور الوسطى ، ثم رد عليه بعد ذلك.

ولسنا نرى ناساً في شئ من هذا فقد حكى القرآن الكريم أقوال المشركين الذين كانوا يصفون النبي بالسحر والكهانة والخنون والكذب ثم رد عليهم

بهذا لا تحذ الكلية بأساً في قراءة هذه القصة ولو رأت الكلية فيها أو فى غيرها أدسى مساس بالدين لمنعت دراستها معنا نانا. فهى حريصة كل الحرص على ألا يساء أحد فى شعوره الدينى لأنها إنما أنشئت للعناية بالعلم وبالعلم وحده وهى ترى أنها قادرة على التفريق بين ما ينفع الطلاب وما بضرهم وأنها خليقة أن تكون موضع الثقة التامة فى هذا كله وأنها فى غير حاجة إلى أن تدحل هينات عبر جامعة فى شئونها التعليمية وتفصلوا يا معالى المدير بقبول وافر احترامى ...

عميد كلية الآداب

(طه حسين)

ورغم اقتناع لطفى السيد بما حاء فى التقرير الذى رفعه إلى وزير المعارف وافره عليه . إلا أن الجميع يفاحاً بأن رئيس الوزراء قد أبلغ شيخ الأزهر بأن امر "بمنع قراءة الكتابين وبجمعهما من أيدى الطلاب. ومع رغبة رئيس الوزراء فى إرضاء الأزهر تراخى لطفى السيد عن تصامنه مع مجلس الكلية. وعدل وزير المعارف د. محمد حسين هيكل عن موقفه المؤيد أيضاً. ويتصاعد الأمر باعتداء طلبة من كليات أخرى على كلية الآداب مصدر الأزمة. بل وبعثود على مكتب العميد نفسه.

اقتحام كلية الآداب

التفاعيل نفروها فى رسالة طه حسين إلى لطفى السيد:

حصرة صاحب المعالى مدير الجامعة المصرية

أتشرف بأن أرفع إلى معاليكم ما يأتى . عندما تحدثتم إلى بشأن شكوى بعض الناس من قراءة كتابى جان دارك لبرناردشو. وأحاديت خبالية لـ (لندر). وعدت معاليكم نبي سأنظر فى الأمر. وبانى لن أتردد فى أن أطلب إلى مجلس الكلية مع فراه هدى الكتابين ان كان فيهما شئ يجرح الشعور الدينى أو يهين الإسلام. ثم تحدث إلى معالى الوزير فحدد له هذا الوعد. ولم تنقض ساعات حتى علمت منكم ثم من الصحف أن سلطة عبر جامعه (الأزهر)

تدخلت في الأمر واحتجت عند حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء .

فلما كان الغد عرضت الأمر على مجلس الكلية فسمع بيان الأستاذ المختص، ونظر بنفسه في الكتابين، ورأى أن ليس على الكلية بأس من قراءة قصة جان دارك لأن كاتبها لم يرد إيداء الإسلام، وإنما صور رأى أسقف، متعصب جاهل من أساقفة القرون الوسطى ، ثم رد عليه . ورأى المجلس كذلك أن الفصول التي تقرأ من كتاب أحاديث خيالية لا تمس الإسلام من قريب ولا من بعيد، واعتبر الأمر منتهيا، ورفعت إلى معاليكم تقرير المجلس ، فوافقتم عليه كتابة وأرسلتموه مع موافقتكم إلى حضرة صاحب المعالي الوزير ، وقد صرحتم لي ولغيري من الزملاء بأنكم ترون رأى الكلية، وتتضامنون مع المجلس فيما اتخذ من قرار. ولا تسمحون بالتدخل في الشؤون التعليمية للجامعة بحال من الأحوال، وقد صرح معالي الوزير لي ولغيري من الزملاء بأنه لا يرى غبارا على تصرف الكلية.

واعتقدنا أن الأمر قد انتهى، ولكني علمت أمس من معاليكم ، ومن معالي الوزير أن حضرة صاحب المقام الرفيع رئيس الوزراء قد كتب إلى الأزهر يبينه بأنه أمر بمنع قراءة الكتابين وبجمعهما من أيدي الطلاب.

ولم يكن مقامه الرفيع قد تحدث إليكم أو إلى شيء من ذلك أيضا. وقد رغبتم في مقابلة مقامه الرفيع مع معالي الوزير لإقناعه بوجهة نظر الكلية ، فلم تتيسر هذه المقابلة، ثم أصبحنا، فإذا طلاب من كليات غير كلية الآداب يقتحمون الكلية ويتهكون فيها حرمانات الدرس، ويخرجون الطلاب من دروسهم، يسطعون في ذلك العنف والقسوة، ويعتدون على الطالبات بما يجب أن تعف عنه الألسنة النزيهة، ثم يهينون العميد ، ويهجمون على غرفته ثم يتفرقون دون أن يعنى أحد بحماية الكلية أو ردهم عنها.

ثم دعيت إلى مكتب معالي الوزير فعلمت من معاليكم ومن الوزير نفسه أن حضرة صاحب المقام الرفيع مصمم على تنفيذ ما كتب به إلى الأزهر، وطلبتما إلى أن أعرض الأمر على مجلس الكلية لعله يغير رأيه ، فاعتذرت من ذلك. وقد بينتما لي أن الظروف الحاضرة لا تسمح بالإغضاء عن هذه الفتنة التي تثار. فقلت: إن كلية الآداب لم تثرها، وإن من حق الحكومة أن تصنع ما تراه خيرا لحماية النظام واتقاء الفتنة.

وقد رأيت من معاليكم رجوعا عما سجلتم من التضامن مع مجلس الكلية ، ورأيت من معالي الوزير عدولا عن موقفه الأول أيضا، وكنت أنتظر أن ما كان من اعتداء على الكلية يجب أن يجمع قبل كل شيء، لا أن يبدأ بالتسليم للمعتدين.

من أجل هذا كله أتشرف بأن أرجو من معاليكم أن تفضلوا فترفعوا إلى حضرة صاحب المعالي الوزير استقالتي من منصب العميد، كما أتشرف بأن أبلغ معاليكم أنني مستعد لأداء ما يجب على الأستاذ من إلقاء الدرس يوم تستطيع الجامعة أن تحمي الأساتذة والطلاب في كلية الآداب من مثل هذا الاعتداء الذي حصل اليوم. وتفضلوا بقبول تحيتي وإجلالي

استقالتي

وهذا هو نص استقالة طه حسين احتجاجا على الموقف السلبي لوزير المعارف ومدير الجامعة من الاعتداء على كلية الآداب وعميدها.
يقول طه حسين:

حضرة صاحب المعالي مدير الجامعة المصرية أتشرف بأن أرفع إلى معاليكم أن طلابا من غير كلية الآداب قد أغاروا صباح اليوم على الكلية، جماعات، فانتهكوا حرمت الدرس، وأهانوا الأساتذة واعتدوا بالضرب على الطلاب. وأذوا الطالبات بسبب يجب أن ترتفع عنه الألسنة النزيهة. ونادوا بسقوط العميد وهجموا على غرفته. وتفرقوا بعد ذلك دون أن تعنى الجامعة بحماية الكلية أو ردهم عنها.

وكان مصدر هذا العدوان ما أثير من لغط حول كتابين يقرآن في قسم اللغة الإنجليزية ومعاليكم تعلمون أن مجلس الكلية قد نظر في هذا الأمر ورأى أن ليس فيما يدرس في الكلية ما يجرح الشعور الديني أو يؤذي الإسلام أو ينال من شخص النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد رفعت الكلية في ذلك إليكم تقريرا فيلتموه وسجلتم موافقتكم عليه وتضامنكم مع أساتذة الكلية.

على أنني رأيت اليوم حين القيما عد معالي الوزير أنكم قد غيرتم رأيكم وفلنم أن تنع قراءة الكتابين نظرا للظروف.

وكنت أظن أن أول شئ كانت نجح العناية به هو حماية الكلية من العدوان. ومعابرة المعتدين عليها، وتمكين الأساتذة والطلاب من أداء واجبه العلمي.

لهذا كله أرجو أن تفضلوا فترفعوا إلى معالي الوزير استقالتي من منصب العميد، وأنا بالطبع مستعد لأداء واجبات الأستاذ كلها يوم يحمى الأساتذة والطلاب في كلية الآداب من مثل العدوان الذي حصل اليوم.
وتفضلوا بقبول تحتي وإجلالي.
٢١ مارس ١٩٣٩ طه حسين

رد الاستقالة

ولكن لطفى السيد مدير الجامعة يرد الاستقالة إلى طه حسين قائلًا له في الرسالة التالية:

جامعة فؤاد الأول

الجيزة في ٢٦ مارس ١٩٣٩

حضرة صاحب العزة الدكتور طه حسين بك

عميد كلية الآداب

تحية وسلاما

اطلعت على استقالتي التي حررتوها بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٣٩ وقد أسفت أشد الأسف للحوادث التي دعتمكم إلى تقديمها.
ويسرنى كل السرور أن أعيد إليكم هذه الاستقالة راجيا أن تعودوا إلى عملكم في الكلية بما أعرفه لكم من كفاية وإخلاص.
وتفضلوا عزتكم بقبول احترامي

مدير الجامعة

أحمد لطفى السيد

لن أرشح نفسي

ويبدو أن لطفى السيد قد نجح كعادته في إقناع طه حسين بالعدول عن استقالته، ولكنه بعد شهرين من استقالته التي لم تتم، سوف تجربه حكومة محمد محمود باشا على الاستقالة بعد أن أعيد انتخابه عميدا في مايو من نفس السنة ١٩٣٩، التي جرت فيها أحداث الأزمة السابقة التي لم

تكن الحكومة فيها راضية عن أدائه لمواجهة ما رأت أنه فتنة ، فاسترضت الأزهر، وتخلي وزير المعارف ومدير الجامعة عن طه حسين وكلية الآداب، مما كان ينذر بأن طه حسين لن ترض عنه الحكومة عميدا، رغم إعادة انتخابه بالإجماع، فاضطر للاستقالة من العمادة ليبقى أستاذا بالجامعة، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يجبر فيها طه حسين على الاستقالة، فقد سبق أن عين عميدا لكلية الآداب ١٩٢٨ خلفا لعميدها الفرنسي ، ولكن وزير المعارف الوفدى يتدخل لكي لا يتم هذا التعيين ، باعتبار أن طه حسين محسوب على الأحرار الدستوريين وهم على طرفي النقيض مع الوفد الذي يبعثهم ويغضونه ، ولم يجد طه حسين مفرًا من الخضوع للعاصفة التي كادت أن تهب مثيرا أزمة سياسية، وحفظا لإراقة ماء الوجه طلب طه حسين أن يعين أولا تم استقبال. فوقع بعض الأوراق ، ثم قدم استقالته ليعود العميد الفرنسي إلى كلية الآداب مرة أخرى.

و حين يختار طه حسين عميدا بعد انتهاء مدة العميد الفرنسي ، ولم يكذب يومان على تعيينه، حتى يطلب إليه وزير المعارف في حكومة صدقي ، أن يستقيل ليتفرغ لرئاسة تحرير صحيفة حزب رئيس الوزراء إسماعيل صدقي ، ويعتذر طه حسين، ثم يخرج الحكومة حين يرفض منح الدكتوراة الفخرية لبعض السياسيين، وتم نقله إلى وزارة المعارف، ثم إحالته إلى المعاش بعد ذلك . إلى نهاية القصة المعروفة حتى عودته ١٩٣٤. ومنذ أن أجبر طه حسين على استقالته الأخيرة ١٩٣٩، اعتذر بعد ذلك عن أى ترشيح لمنصب العميد، كما سنلاحظ في رسالته إلى عميد كلية الآداب ١٩٤٠ والذي دعاه مع بقية الأساتذة للتساور في مسألة الترشيح للعميد ، فيقول في رسالته:

صديقي الأستاذ العميد

كست أود أن أحضر الاجتماع الذى دعوتنا إليه، ولكننى مضطر إلى أن أذهب إلى الوزارة لموعده ضرب بينى وبين الوكيل للقاء رئيس مجلس الشيوخ، وربما كان التحرير فى بعض المسائل خير من التقرير.

فأرجو أن تقرأ على زملاء تحببى وأن تبلغهم أنى لن أشرح نفسى لمنصب العميد ولن أقبله إذا عرض علىّ مهما تكن الظروف. فالخير ألا يفكروا فى ذلك، وسأحضر الجلسة المقبلة للمشاركة فى الانتخاب إن شاء الله.

ولك أصدق التحيات

٢٧ مارس ١٩٤٠

ويظل طه حسين أستاذا يلقى المحاضرات بالجامعة ثم يعينه بحسب الدلائل مستشارا فى الوزارة المعارف التى يرأسها، وينتدبه مديرا لجامعة الإسكندرية التى ساهم بنصيب وافر فى إنشائها، ثم يصل طه حسين بعد ذلك إلى أرفع مناصب التعليم كوزير للمعارف فى حكومة الوفد الأخيرة.

ليطل أسناد الجامعة الذي لا يسي، والعميد الذي لا يعيب عن الذاكرة، ووزير المعارف الذي لا ننكر من ورراء المعارف، تم التعليم، سواء، كأن وزارة التعليم لم يشغلها عبر تاريخها سوى وزير واحد هو طه حسين.

نضع أنفسنا حيث تريد لنا المروءة

لا حيث تريد لنا المنفعة

ولا يسي طه حسين أن يخص بالشكر والتحية كل الذين وقفوا إلى جانبه في أزماته سواء داخل الجامعة من أساتذة أو طلبة، أو خارجها من الطلبة المعوثين في الخارج، كما لا ينسى دور الصحافة التي وقفت بجواره مشجعة مزيدة، وبين أيدينا صفحة وبعض صفحة من أوراق طه حسين، غير مؤرخة، ولكن مضمونها يدل على أن سطورها قد تحدث بها طه حسين إلى طلبته داخل قاعة المحاضرات وربما كانت في منزله نجية للذين أتوا لمؤازرته من طلبته أثناء أزمة أو محنة - كما أسماها - إجراجه من الجامعة كما تدل عليها تحيته إلى لطفى السيد، الذي قدم استقالته احتجاجا على ما حدث، ورمع أن طه حسين كان لا يحب التحدث في السياسة داخل قاعات الدرس - إذا كانت كلمته قد القاها بالجامعة - إلا أن الحدث الذي شهد فيه طه حسين مساندة كبرى جعلته يخرج عن تقاليد بشأن إبعاد السياسة عن الجامعة، وألقى هذه الكلمة المعبرة عن سعادته بمن ساندوه حفاظا على كرامة الجامعة:

يقول طه حسين مستفتحاً بأبيات من الشعر:

لقد زادني حبا لنفسى أنسى بغيض إلى كل امرئ غير طائل
وإني شقى باللتام ولا أرى شقيابهم إلا كريم الشمانل
إذا ما رأني قطع الطرف بينه وبينى فعل العارف المتجاهل

عند هذه الأبيات من شعر الطرماح ابن حكيم، انتهى بنا الدرس صباح الخميس الثالث من هذا الشهر^(١)، وقد استعدناها واستجدناها، وكأنا كنا نحس أن صباح ذلك اليوم كان

(١) ربما كانت هذه الكلمات في ذكرى الأزمة التي عاد منها مستصرا مواكبة لنفس الشهر الذي وقعت فيه. أو كان هو سحابت إلى من استفلهم في سنة من طلبته في نفس الشهر الذي وقعت فيه أخته

ينذرنا بما سيحمل إلينا مساءه من تلك الخنة الجامعية التي ذقناها قبلونا منها الحلو والمر،
ووجدنا منها الخير والشر. وعرفنا منها أن فينا والحمد لله نفوسا أبية، وأنوفا حمية، وقلوبا
تعرف كيف تستقبل الخير وتحتمل المكروه.

نعم وكأنما كنا ونحن نستعيد هذه الأبيات ونستجدها نتواصى بالخير والصبر، ويعاهد
بعضنا بعض على الوفاء والبر، ويقسم بعضنا لبعض لنكونن رجالا نعرف الكرامة ونقدرها،
ونضع أنفسنا حيث تريد لنا المروءة لا حيث تريد لنا المنفعة.

لقد افترقنا بعد الدرس هادئين باسمين نفكر في الدرس الذى يليه، ثم لم نلتق بعد ذلك
فى درس ولا بحث. وإنما التقينا فى حب ومودة، وفى نصح وتعزية وفى عواطف كلها تميز
الكرام من اللئام.

أفيؤذن لى بأن أهدى أصدق التحية وأجمل الشكر إلى أولئك الذين تفضلوا بالغضب
للجامعة ولنا، والعطف على الجامعة وعلينا، من أعلام هذا البلد وقادة الرأى فيه.

أفيؤذن لى أن أشرك معهم هذه الصحف الكريمة التى آذرتنا وناصرتنا ولم تبخل علينا
بتشجيع ولا تأييد. ثم أفيؤذن لى أن أخص الأستاذ الجليل أحمد لطفى السيد بك بتحية الابن
البار والتلميذ المخلص والصديق الحميم.

أما أنتم أيها الأصدقاء الأعزاء من طلاب الجامعة عامة، وكلية الآداب خاصة فأذنوا لى
فى أن أقول لكم ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم للأتصار فى حديث جرى: "إنكم
لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع". فحيا الله هذا الثمر الكريم لهذا الغرس الكريم،
ولكم على العهد أن أبذل ما أملك من قوة، وما أستطيع من جهد لأكون عند ظنكم بى
ورأيكم فى.

أقبلوا على دروسكم كراما أعزاء، وابسموا لحياتكم الجامعية، فقد أنشأتوها كريمة
عزيزة، وليكن بيننا موثق من الله ألا نؤمن إلا بالحق ولا نخلص إلا للعلم ولا نرصى إلا
بالكرامة. وإلى اللقاء.



من محمد فريد أبو حديد رائد الرواية التاريخية

إلى طه وزير الفلاحين

الاسم ثنائي "محمد فريد" واللقب "أبو حديد" والمولد في أول يوليو ١٨٩٢ في إحدى قرى دمنهور بمحافظة البحيرة. وقيمته الأدبية مجهولة وإن كانت كبيرة، حيث يعتبره النقاد "رائد الرواية التاريخية في مصر" وبذلك أصبحت "القصة التاريخية" على يد فريد أبو حديد "منهجاً بين حقيقة التاريخ وقدرة الإبداع الفني" وذلك حسب تعبير لجنة فحص إبداعات أبو حديد لترشيحه لجائزة الدولة التي حصل عليها في الآداب".

ومن إبداعاته: ابنة المملوك، زنوبيا ملكة تدمر. أبو الفوارس عنزة بن شداد. المهلهل بن أبي ربيعة. أنا الشعب، وغيرها. ولأبو حديد دراسات تاريخية مهمة عن: عمر مكرم، صلاح الدين الأيوبي، علي مبارك.

وله في الشعر المرسل إنتاج وافر مثل: مقتل سيدنا عثمان، ميسون العجرية، خسرو وشيرين. فضلاً عن بعض الترجمات.

وهو صاحب فكرة سلسلة "أولادنا" للأطفال.

وهو من مؤسسي مجلتي "الرسالة، والثقافة" في عهدهما الأول.

وعمل سكرتيراً عاماً لجامعة الإسكندرية عند إنشائها، وشغل منصب وكيل وزارة التعليم، ومستشاراً فنياً للوزارة، كما عمل بالرقابة على الصحف واستبعد بسبب مقال لتوفيق الحكيم قام بتحريره رغم ما به من تعريض بالحكومة وإن صيغ في شكل أدبي. وأسهم أبو حديد في الحركة التعليمية بالمغرب، وليبيا مساهماً في إنشاء جامعة طرابلس. ومن العجيب أن مشاركة محمد فريد أبو حديد في مجال التعليم بمصر والعالم العربي كانت تقوم على الحب والإخلاص في كافة المواقع التي تولاهما رغم أنه دخل كلية المعلمين على غير رغبته وتخرج منها ١٩١٤ واشتغل بعدها بتدريس المواد الاجتماعية ومنها التاريخ الذي لم يكن يخرج في مادته قبل سنوات قليلة عن التاريخ الإسلامي.

وقد أراد محمد فريد أبو حديد أن يرضى حبه للقانون الذي حرم من دراسته بدخول كلية المعلمين، فقام بإشباع رغبته في دراسة القانون وتخرج من مدرسة الحقوق ١٩٢٤. ولأبو حديد خبرة في التعليم أراد أن يستفيد بها المعلمون، ومن خلاصة تجاربه^(١) التي ركز

(١) الهلال عدد فبراير ١٩٥٦.

فيها على أهمية دور المعلم، قال:

- السر الأعظم الذي يجعل للتربية أثرها هو مقدار ما تبلغ به من النجاح في تحريك عقول الأبناء ومشاعرهم.
- إن المعلم هو العنصر الفعال والعنصر الجوهرى فى التربية
- إن من واجب المعلم أن يودى حق كل فرد من تلاميذه بمعرفة تامة والعناية به كأنه ولده.
- المعلم للتلميذ الصغير رجل عظيم، ولذلك كان على المعلم أن يكون عظيما وأن يكون له قلب كبير.
- المعلم الصالح هو الذى يعد تلاميذه أصدقاء له.

ويتذكر أبو حديد أنه حين أساء إلى أحد تلاميذه فى لحظة غضب، عاد فاعتذر لتلميذه فصار صديقا له.

وفى المقابل قام تلميذ آخر بعد ذلك موجها لأستاذه أبو حديد عبارات فاسية فتعجب لأنه لم يعتمد الإساءة إليه فقال له : أنا آسف لمسلكتك وغاضب عليك ، فصمت تلاميذ الفصل جميعا. ثم قدموا له جميعا الاعتذار عن زميلهم الذى صار لأستاذه صديقا.

وعندما تولى طه حسين وزارة المعارف بدا اهتمام أبو حديد كبيرا وانسعت آماله فى تطوير التعليم، وإن أبدى بعض المخاوف مما نشرته بعض الصحف عن بعض التراجعات الخاصة بالتعليم. ولكن أبو حديد طمأن نفسه بوجود طه حسين والذى لن يسمح بمرور شئ ضد مكاسب التعليم. وأبدى بعض الملاحظات على نظم التعليم السائدة آنذاك ورغبته فى تطويرها.. فيقول فى رسالته.

هؤلاء الفلاحين

حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين بك

وزير المعارف العمومية

تحية مباركة خالصة وبعد.

فانى أكتب هذا إلى الصديق الكريم والأديب الألعى لا إلى الوزير وحده. ولهذا كان كتابنا خاصا أثرت أن أبعث به نجوى، بعد تردد طويل بين أن يكون حديثي خاصا وسبب أن يكون على صفحة الثقافة. وتماشيت آخر الأمر أن أكتب فى الصحيفة حتى لا يتطرق إلى أحد شك فى بيتى .

فما أردت إلا أن أبلغ كلمتى إليك خاصة لأطلعك على أمر إن كان فيه خير فقد بلغت القصد وإن كان بعد أن نظرت فيه لا يبدو لك صوابا، فقد أدت واجبى نحوك ونحو التعليم الذى خدمته حياتى ولا أستطيع إلا أن أؤدى فيه واجبى ما حيتت وإن لم أسأل عن رأيي.

أحب أيها الصديق الكريم - وأنت رجل فكر وقلب كبير أن أبين لك أن نظام التعليم القائم إن كان ينطوى على مواضع تستوجب الإصلاح ، لم يكن وليد نزوات طائشة ولا بدوات طارئة. بل أحب أن أبين لك أنه لم يكن وليد رأى القائمين على أمر وزارة المعارف فى الديوان العام كما يظن البعض.

لقد كان رأى أولى السلطة فى الوزارة منذ سنوات - فى أول الأمر - أن يقصروا تعليم الكافة على مرحلة قصيرة وهى مرحلة ذات أربع سنوات وكان يراد بها أن تكون المرحلة الأولى - بين السادسة والعاشر - وكانوا يرون أن يختار من بين من يتعلمون فى هذه المرحلة قدر محدود يعضى إلى التعليم المتوسط فالتانوى فالعالي إذا أهلتهم لذلك طبيعتهم.

ورأينا نحن المعلمين - وكنت إذ ذاك رئيساً لجمعية المعلمين - أن فى هذا رجوعا إلى الوراء فى تعليم الكافة . فناقشنا الرأى، واحتدم بيننا الخلاف فى المجالس الخاصة والمجالس الرسمية حتى انتهى الأمر بأن تحدينا هذا الرأى فى مؤتمر عام أقيم فى سنة ١٩٤٥ . وقد درس ذلك المؤتمر كل مسائل التعليم ، وأعد القائمون عليه تقريرا وافيا بما استقر عليه الرأى فى شتى المسائل المتصلة بالتعليم العام.

ولم يجد الوزير إذ ذاك بدا من النظر فى الأمر على ضوء ما أبدى من الآراء، وعقد لجانا استشارية عدة، وكانت النتيجة هذا النظام القائم .

والذى يمكن أن يعد أساسيا فى هذا النظام القائم هو ما يأتى:

أولا - وهذه أكبر مسألة نعدها نصرا كبيرا أن التعليم الأولى ، أى تعليم المرحلة الأولى قطع شوطا كبيرا نحو التوحيد. ذلك بأن اعترف النظام للمدارس الأولية بحق التقدم لتلاميذها إلى الامتحان الذى يؤهل للمضى فى الدراسة إلى التعليم الثانوى وما بعده إذا كان التلاميذ أهلا فى الاستعداد للمضى فى الدراسة النظرية . وأعطى بذلك لتلاميذ المدارس الأولية الحق فى أن يسووا بسائر أبناء السلال من حيث الاستطاعة ، وكسبوا حق التعليم فى المدارس الثانوية أو الفنية المتوسطة، وحق مواصلة الدرس إلى الجامعة إذا كانوا لتلك الدراسة أهلا بطبيعتهم . وكانت اللغة الأحيية أكبر مشكلة فى هذا الأمر، فأعطى تلاميذ المدارس الأولية حق التقدم لامتحان الشهادة الابتدائية بعير الإلام باللغة الأجنبية على أن يستأنفوا دراستها فى المرحلة الثانوية.

وقد اعتبرنا هذه الخطوة نصرا عظيما للديمقراطية ولتكافؤ الفرص، ورأينا أنها قد أتاحت الفرصة للعمل على توحيد التعليم في المرحلة الأولى توحيدا تاما في المستقبل القريب. وكانت هزة الفرح فينا عظيمة أننا حققنا بهذا الانتصار أصلا كنا نتعلق به منذ ١٩٢٤ عندما عقدنا مؤتمر التعليم الأولى الكبير أيام أن كان المغفور له الشيخ جاويش مراقبا للتعليم الأولى. فقد كنا نطمح منذ ذلك التاريخ في توحيد المرحلة الأولى، ولكن الظروف لم تواتنا فلم نستطع الاقتراب من الأمل المرجو حتى ظفرنا بهذه الخطوة عام ١٩٤٥.

فهل هناك تفكير في النكوص عن هذه الخطوة؟

إننى كصديق . وكمصرى وكأديب ممن يخلصون لك ويحبون لك التوفيق والخير كله. وكرجل يقدر تفكيرك حق قدره ، ويهتز عندما يقرأ أدبك الناطق بالعاطفة الإنسانية الخالصة - أسأل الله أن يكون خوفي من هذه الناحية وهما بعيدا عن الحقيقة.

والذى يدعوني إلى الخشية أننى قرأت فى الصحف كثيرا من التلميح إلى فكرة العودة إلى ما يطلق عليه اسم التعليم الريفى فى القرى. وقد فهم هذا التعليم الريفى على غير وجهه من الكثيرين، بل لقد سمعت ممن هم أعضاء فى لجان إعادة النظر فى النظم القائمة ما يدل على أنهم يحسبون الخير فى العودة إلى تعليم ريفى يقر الفلاحين فى بينهم الريفية ، ويجعلهم طائفة ليس لها من الأمل فى الحياة إلا أن يفلحوا الأرض فى قراهم ولا يخرجون منها إلى مرحلة أخرى من مراحل التعليم بحال من الأحوال. بل إنى قرأت هذا فى بعض التقارير الرسمية وناقشت فيها أصحابها ، ويؤسفى أن أقول أن هؤلاء الذين يفهمون من التعليم الريفى أنه وسيلة لقصر الفلاحين على أعمال الحقول والصناعات الريفية، لا يعرفون معنى التعليم الريفى كما هو مفهوم فى البلاد الأوربية أو الأمريكية، وهى البلاد التى بدأت إصلاح التعليم على أساس المدارس الريفية .

فالمدارس الريفية عند هؤلاء ما هى سوى مدارس من صميم التعليم العام وإن كانت تتوسل فى تعليمها وتربية أبنائها بالبيئة الريفية المحيطة بالمدارس. فهى تستخدم الحقل والمصنع الريفى للسمو بمدارك التلاميذ، ولتفتيح أذهان التلاميذ على الحقائق الطبيعية والإنسانية التى حولهم بصفتها وسائل تعليمية. ولكن تلاميذ المدارس الريفية فى تلك البلاد لا يقصرون على مرحلة دون أخرى ولا يُمَيِّزون عن سائر زملائهم فى المدن الكبرى. ولا يجربون عن مواصلة الدرس كما يواصله زملاؤهم وبنو أوطانهم فى غير البيئة الريفية، ولهذا أعود فأقول إنى أسأل الله أيها الصديق النبيل القلب ألا تعود البلاد إلى الوراء فى عهد توليك الوزارة بل أسأله تعالى إلى أن يوفئك إلى أن تأخذ بيد أبناء الريف وهم صلب الأمة المصرية لتجذبهم إلى التيار التعليمى الأقوى وتمد بهم الذكاء المصرى والمقدرة المصرية والخلق المصرى عامة.

ثانياً: عمد النظام القائم إلى إطالة مدة التوجه إلى الدراسة الجامعية فجعلها سنتين بعد أن كانت سنة واحدة كما أنه جعل السنة الثالثة من التعليم الثانوى إرهاباً لهذا التوجيه.

ثالثاً: جمع بين الذكور والإناث فى مدة التعليم الثانوى وجعلها خمس سنوات للجميع.

رابعاً: جعل السنتين الأولى والثانية من التعليم الثانوى مرحلة اختبار لمواهب التلاميذ واستعدادهم.

خامساً: جعل أساسه أن السنتين الأوليين من التعليم الثانوى مرحلة وسطى تتشعب بعدها الدراسة بحسب استعداد التلاميذ، فكل يتجه إلى ما يحسنه فى مستقبله.

سادساً: جعل التعليم الثانوى خاصاً بمن تهينهم طبيعتهم للدراسات النظرية التى هى الدراسات الرئيسية فى المرحلة العليا من التعليم.

سابعاً: حاول النظام الجديد أن يحدد الفروق فى الأسان بين تلاميذ المرحلة الثانوية. فإن لكل سن من الأسان طبيعة تستوجب طبيعة خاصة فى المعالجة. وما ينبغى أن تعالج بطريقة واحدة مجموعة مكونة من طبقات متباعدة فى السن.

وقد كان فى ذهن واضعى هذا النظام أنه قد آن الأوان للعدول عن الطريقة القديمة التى تجعل مراحل التعليم محددة بعدد من سنوات الدراسة كأن تجعل التعليم الابتدائى مكوناً من أربع سنوات دراسية، والتعليم الثانوى مكون من خمس سنوات يقضيها الطلاب بحسب ما يستطيعون فى أعوام قد تبلغ ضعف السنوات الدراسية فيرسبون عاماً بعد عام فى الفرقة الواحدة حتى يستطيعوا آخر الأمر النجاح فى الامتحان.

كانوا يفسرون الرغبة فى العدول عن هذا النظام إلى ما هو متبع فى البلاد الأخرى، وذلك بأن تحدد المراحل بأسان التلاميذ فيكون التعليم فى المرحلة الأولى بين الساعة مثلاً والحادية عشرة، والمرحلة الثانية بين الثانية عشرة والسابعة عشرة بغير أن يعطل التلاميذ وبغير أن يسمح لهم بالرسوب عاماً بعد عام.

وقد كان هذا الأمل يتطلب لتحقيقه قلباً للنظام كله وتغييراً جوهرياً فى الأساس القائم على الامتحان السنوى، فرؤى فى هذه الخطوة أن يكتفى بالتقريب بين طلاب المرحلة الثانوية الأميرية فى السن على أن يرجأ تحقيق الأمل الأكبر إلى أن تهيأ له ظروفه.

فالنظام القائم أيضاً أيها الصديق الكريم لم يكن إملأ من أصحاب السلطة فى الوزارة بل كان وليد تفكير شارك فيه جمهور رجال التعليم. وكان منهم من وهب قلبه وحياته لخدمة التعليم مخلصاً. فإذا كان فى هذا النظام مواضع للنقد - وهذا أمر لا يخلو منه نظام - فإنى أظن أن الخير فى أن التغيير ينبغى أن يكون بعد تحديد مواطن النقص فى إخلاص وأناة، وأن يقوم بذلك قوم قد

أشربت قلوبهم محبة المصلحة والإخلاص للتعليم وسعة الأفق والعلم بما هو بسبيله من البحث.
وإني واثق بأن الأمور سوف تزول إليك آخر الأمر لتزى فيها رأيك . ولهذا فإننا مطمئن إلى
أنها ستجد فيك صاحب الرأي الحر الثاقب، وستجد فيك الرجل الأديب المتزن الذى لا يقيم وزنا
إلا لما يحقق مصلحة أبناء الأمة. والذى لا ينظر إلى عامة الشعب إلا أنهم عصب الأمة. والذى
يحمل لفلاحى القرى ما يحمله من الحب لسائر أبناء مصر. بل لعله أكثر إيماننا بهؤلاء الفلاحين
والعامة، ممن حملوا أمانة التعليم إلى اليوم.

ولقد كنت أيها الصديق الكريم أوترلو استطعت أن أشافهك بهذا الحديث لولا علمى بأن
وقتك يضيق عن مجالس المشافهة. فلعلك إذا خلوت ساعة قرأت هذا الكتاب وهو إمام ببعض ما
فى النفس. وإذا رأيت متفضلا أن تخصص لى ساعة أخلو فيها بك لتتحدث فى مثل هذا الأمر كان
ذلك فضلا كبيرا. والسلام عليك ورحمة الله من المخلص.

محمد فريد أبو حديد

١٩٥٠/٣/٢٩

محمد كامل حسين

صاحب الكتاب الذي لم يرح صاحبه وقارئه !

قال عنه "حاك برك" المستشرق الفرنسي "إنه أحصى عشرة مفكرين في العالم فكان د. محمد كامل حسين من بينهم".

إن عالمنا وأدينا من مواليد ٢٠ مارس ١٩٠١ بالمتوفية في قرية "سبك الضحاك"، وقد وضع أحيه الأكرم محمد الصادق حسين في الأربعينات كتابا يزورخ لعلماء "أسرة السبكي" نشره طه حسين في مطبوعات محلة "الكاتب المصري" التي كان يتولى رئاسة تحريرها.

نصف بداياته ومواقف صديقه في الطب والأدب والحياة. السدباد . د. حسين فوري^(١) "لم اعرفه عاضبا إلا في لبلبة من لباليا في صحى الجامع الأزهر الشريف إبان ثورة ١٩. وقد ذهبت جماعسا لمقاومة خطيب من خطباء الحفل يرمع إثارة الخلاف بين الوفد المصرى والأحزاب اللبنانية" وفاد كامل من فرصانه عاضبا بحرك خيرزانه ليست له . ويعلن بأن الخطيب لا يفهم شيئا مما يتحرص به. وهماح القوم وأراحوا الخطيب عن منبره.

ويضيف السدباد: نعم أذكر أول يوم لكامل بمدرسة الطب المصرية وقد خرجنا من محاضرة للكيمياء للمرحوم الدكتور محمد شمس الدين. ركب كامل دراجته بعد أن رتب كتيبه على حاملها الخلفى ويتم سطر منزلهم بالحلمبة القديمة قبل أن ينتقلوا فيما بعد إلى حلمية الزيتون" وكان محمد كامل حسين هو أول مدير لجامعة عين شمس باختيار طه حسين، وهو عضو الجمع اللغوى، وجمع العلى. وجمع الجراحة باريس . والجمعية البريطانية لجراحة العظام. وحائز على جائزة الدولة التفديريه مربين لانشانه فسم حراجه العظام فى مصر. والثانية عن كتابه الأشهر: "قرية ظالمه" الذى برحه لأكثر من سبع لغات . ومن الطريف أن نجيب محفوظ قد فار بجائزة الدولة فى الآداب "عن فصر التوق" فى نفس السنة (١٩٥٧) التى حصل فيها محمد كامل حسين على الجائزة التى كان من المقرر تقسيمها بينهما . ولكن تقرر منحها كاملة لكل منهما بصفة استثنائية. أما الذى برده محمد كامل حسين من قره ظالمه، فهو كما يقول "قدمت المسيح الإنسان الذى يعمل من أجل الاسابية . كان يريد أن يضع الصمير فوق التدن . ولكن أهل التدن قسوا عليه قبل أن

(١) اهراد ١٢ ٣ ١٩٧٧

ينقذه أهل الضمير. كان يريد أن يرفع الإنسانية فوق الوطنية والقومية، ولكن الوطنية قضت عليه قبل أن تنقذه الإنسانية. إنه لم يؤذ أى فرد من بنى إسرائيل، ولم يكن أى فرد منهم ليؤذيه، ولكنه يؤذى إسرائيل مجتمعة. وجماعتهم هي التي انتقمت منه.

لقد كان يريد أن يرتفع الإنسان درجة عن حب الوطن كما ارتفع الإنسان من قبله درجة عن حب القبيلة، وكما ارتفع من قبل ذلك درجة عن حب الأسرة، وكما ارتفع أيام البدائية الأولى عن حب الذات .. عن الأنانية".

ويقول عنه طه حسين إنه "كتاب لم يرح كاتبه" قد أهدى لنا فيه خلاصة حياته وصفو تجاربه، ونتيجة جهوده المتصلة التي أنفقها دارساً للطب والجراحة، معالجا للمرضى، مبتليا أخبار الناس وأسراهم، ممتحنا ما يكون من سيرتهم أفرادا وجماعات حين يعرف بعضهم بعضا، وحين ينكر بعضهم بعضا، وحين يمكر بعضهم ببعض، وحين يسعى بعضهم إلى بعض بالخير والمودة".

وفي عام ١٩٦٢ نشأت بين د. محمد كامل حسين، والعقاد معركة حول كتاب الأول "وحدة المعرفة" حين اتهمه الثاني بنقله عن كتاب آخر باسم "المكان والزمان والربوبية" للفيلسوف الإنجليزي "صمويل الكسنندر"، لقد أراد محمد كامل حسين أن يقول لنا في كتابه: إن المذهب العلمي يمكن أن يهدينا إلى الحق إذا امتد إلى ميدان الفلسفة والدين، كما أنه يحاول أن يقدم تفسيراً علمياً للقضاء والقدر، ويبحث عن الفجوات بين القوانين، وغيرها.

وقد رد د. كامل حسين على اتهام العقاد له قائلا:

إن الأستاذ العقاد صادق الحس في الشعر والأدب ولكنه ليس صادق الحس في البحوث العلمية وما يقوم عليها. فرد عليه العقاد ساخراً: إن هناك تشابهاً تاماً بين مبتكراتك ومنتحلات الصمويل قبلك، ثم تقول أنت أنه جهل بالتميز بين المذاهب والآراء، لأن هذا التميز يحتاج إلى زمن طويل ويشترط فيه البدء بالقدرة على تجبير العظام، ثم لا يكفى فيه أكثر من قراءة خمسين سنة، وأكثر من عشرين بحثاً وكتاباً في مذاهب الفلاسفة والمفكرين، ثم لاغنى فيه عن طريقة واحدة من البحث هي طريقتك في بحث دوائر المعارف ومراجع العلوم.. يا دكتور إن كنت بعدها لا تحس حاجتك إلى التميز الذي جردتنا منه فأنت أسعد خلق الله".

ويصف طه حسين قراءات د. محمد كامل حسين بأنها "متنوعة أشد التنوع، فهو يقرأ في الطب والجراحة، كما يفرض عليه صناعته، ويقرأ في العلم والفلسفة كما يفرض عليه عقله بطبيعته، ويقرأ في الأدب القديم والحديث، العربي والأجنبي، كما يفرض عليه مزاجه، وهو لا يقرأ بعقله وحده، ولا يقرأ بقلبه وحده، وإنما يقرأ بهما جميعاً".

قصة إلى مؤنس طه حسين

وفي رسالة د. محمد كامل إلى طه حسين يهدى قصة طريفة إلى ابنه مؤنس ، يقول فيها:

٣٢ شارع جامع شركس

١٦ أغسطس ٥٤

عزيزى الدكتور

يقضى علىّ واجب الإخلاص أن أكتب إليك، ويقضى واجب الفن أن أكتب إلى مدام طه، ولما كنت لا أعلم أن الإخلاص يتقدم على الفن في أى وقت من الأوقات فقد رأيت أن أكتب إليها أولاً، ثم غلبت علىّ الرغبة أن أغلب الإخلاص على الفن فلم أستطع، ثم خطر لى أن هذا التغليب سيعطينى فرصة كبرى للتفوق الفنى حين يجين وقت الاعتذار إليها، وعند ذلك يظهر نبوغى، وعلى ذلك سأبدأ بالكتابة إليك.

وأنا أفهم تماما فرح الأجداد بأحفادهم ، ولم أكن أعلم أن أمينة ستلصقكم فى أوربا ، وأنا أخشى عليها "التأمرك" وأرحب بعودتها إلى الدنيا القديمة لتبرأ من أدواء المدينة الأمريكية التى لم أستطع لها فهما حتى الآن، وأكون سعيدا لو أبلغتها وزوجها خالص تحياتى.

قضيت هذا الصيف أو أنا أفضيه فى القاهرة بين الحر والرطوبة ، ولم أعد أشعر بكثير من الضيق من هذا الذى أعانيه من الجو. وقد خلت القاهرة من كل من أحب وليس لى عمل إلا أن أقضى الصباح فى المنزل وأذهب إلى عملى مساء، وأصبحت لا أجد فى ذلك بأسا.

وأدهشنى صدق حدسك - وإن كان ذلك غير غريب منك - فإنى أقرأ فى تاريخ الفلسفة وفلسفة التاريخ ، وبدا لى أن هناك عهدا يكون خير شئ فيها أن ينصرف الإنسان عن ما يشغل الناس جميعا ويتفرغ إلى ما لا يعنى به أحد ومالا فائدة فيه، على ما قد يتعرض له الإنسان من نقد الناقدین الذين يرون جينا وخور عزيمة أن لا يدلى الإنسان بدلوه وأن لا يحس بالحياة حوله إحساسا يجعله يتعرض لأخطارها ولذة الكفاح فيها. على أنى قد أكون كافحت كفاحا يتفق وما فى نفسى من قوة أو ضعف، وأرانى كالذى يصعد فى الجبل يجد نفسه وقد خف الهواء حوله حتى أصبح أقل جهد يرهقه ويقطع أنفاسه . ولعل ذلك لا يدعوك إلى سوء الظن بى حين ترى عظم كفاحك وقلة جهدى.

وأرجو أن تكون مدام طه فى أحسن صحة وعافية وأن تظل بعيدة عن جونا هذا إلى

أقصى وقت ممكن، ولعل المطر لم يغمر إيطاليا كما غمر غيرها من البلاد، ولعلك تخبرها عن مقالة قرأتها عن فيضان الدانوب جاء فيها أن الأميركان أرسلوا هليكوبترات وأكياس ورمل وجرارات لمساعدة الأهالي وتم ذلك كله، ولكن الطائرات كانت تعمل في مكان، والأكياس توجد في مكان آخر، والرمل في مكان ثالث، والجرارات في مكان رابع، وكان الطيارون يلقون أكياسا فارغة، وأصحاب الرمل ينتظرونها في مكان آخر، والجرارات تنتظر أن تنقل شيئا إلى المطارات، أما الإنجليز فأرسلوا خبيراً لمقاومة المد وفيضانه، وصل بعد انتهاء الفيضان بيومين. والفرنسيون أرسلوا اثني عشر مهندسا، أبلغهم أهل المدن المصابة أنهم في حاجة إلى كل شيء إلا المهندسين!

وأنا أعلم أن هذا الوصف يلد لمؤنس لأنه يعطيه فرصة للتشجيع لا شك أنه يرحب بها ولعله يوافيني بأمثال هذه الوقائع.

أما فريد فأبلغه سلامي ورجائي أن يختار للخطابات ورقاً أقل شفوفاً فإن قراءة الخطاب احتاجت إلى حيلة خاصة.

وأتمنى لكم جميعاً وقتاً سعيداً ولكم خاصة راحة البال وإنتاجاً كالذي عهدناه.

المخلص

محمد كامل حسين

إحسان عبد القدوس .. أمام النيابة

إحسان محمد عبد القدوس^(*) هو ابن الشيخ أحمد رضوان من علماء الأزهر، وجده الذى يعمل بالمحاكم الشرعية هو الذى أشرف على ترتيبته حتى دخوله الجامعة، حيث أنه عندما وعى الدنيا كان أباه قد انفصل عن أمه، وفي ظل رجل الدين عاش إحسان إلى أن مات جده، فانتقل إلى الإقامة مع عمته حتى بلغ الثامنة عشرة، وعندما دخل الجامعة عاش مع أمه روز اليوسف، التى كانت تدربه للإشراف على المجلة التى اشتهرت باسمها، وبرزت موهبته ككاتب قصة واستطاع أن يكون لنفسه اسماً منفصلاً عن والدته الشهيرة، ووالده محمد عبد القدوس الكاتب والممثل المسرحى، وقد لعبت المرأة دوراً هاماً فى حياته وفى قصصه، منذ طفولته حيث أن اسمه المؤنث (إحسان) قد سبب له أول عقدة فى حياته حيث يطارده الأطفال ويعايرونه بالبئوتة، يقول "كنت أعود إلى المنزل باكياً وألقى اللوم على أمى وأبى لأنهما سميانى إحسان.. ولكن هذا فجر بداخلي قوة دافعة جعلتني أثبت دائماً أنني رجل".

بل إن إحسان على الجانب الآخر راح يثبت فى قصصه أن المرأة كالرجل لا حدود ولا تقاليد فيقول "أطلقت المرأة كما أطلق أى رجل فى الحياة، وهذا أعطاني القدرة على أن أعبر عن حقيقة مشاعرها، ولم يغب عن بالى، وأنا أخوض هذه التجربة أننى سأواجه بكثير من الصياح والضجيج وقذف الطوب.

رأى الحكومة إليه

وفى رسالته إلى طه حسين يحكى إحدى أزماته الكبرى مع إحدى قصصه التى أثارت ضجة وصلت إلى مجلس الأمة، وكاد إحسان أن يحقق معه فى نيابة الآداب بسببها. فيقول:

أستاذى الكبير الدكتور طه حسين

تحية حب كبير واقتناع بك

قرأت فى روز اليوسف كلمة عتاب وجهتها لى لأنى لا أرسل لك كتيبى.. وهو عتاب

(*) مواليد ٣١ ديسمبر ١٩١٩ بكفر مأمونة مركز شبرا اليمى زفنى محافظة الغربية.

شرفني وأفرحني.. والواقع أنه لم يصدر لي كتاب جديد منذ أكثر من عامين .. وقصتي الأخيرة التي تحمل اسم "أنف وثلاث عيون" رفضت الدولة التصريح بنشرها في كتاب إلا بعد أن أحذف منها وأعدل فيها، ورفضت أنا الحذف والتعديل، وبالتالي لم ينشر الكتاب.. ولكن ليست هذه هي المشكلة.. مشكلتي الحقيقية أنني منذ عامين وقد فقدت ثقتي في نفسي إلى حد أنني لم أعد مقتنعا بأن لي إنتاجا أدبيا يستحق أن يقرأه أستاذي الكبير طه حسين.. ووجدت نفسي صريع أزمة نفسية قاسية أبعدتني عن كل الناس ، وكل مراكز الحركة، وكل من أحبهم.. واكتشفت في نفسي أنني إنسان ضعيف.. غاية الضعف، بل اقتنعت أنني كنت دائما ومنذ أن ولدت، هذا الإنسان الضعيف.. أهمل ضعفي في داخلي، وأحاول أن أخفيه تحت ستار من العناد الكاذب ، والغرور المفتعل.. ولم أكن طول عمري أستطيع أن أهرب من هذا الإحساس بالضعف، إلا عندما أمسك بقلمى وأكتب.. وقد كنت دائما أتحمل معاناة هائلة حتى أستطيع أن أهرب من ضعفي وأكتب.. ولكن في السنتين الأخيرتين أصبحت هذه المعاناة أكبر من أن تحتمل .. وأكبر من أن تغلب عليها.. فاستسلمت لضعفي، ولم أكتب خلال هذه الفترة سوى عدد قليل من القصص القصيرة.

لماذا؟

ماذا حدث لي؟

ربما كانت هذه الحملة المجهولة الظالة التي وجهت ضدي وأنا أنشر قصة "أنف وثلاث عيون" مسلسلة في مجلة روز اليوسف.. ولم تكن حملة أدبية، ولم يرقم بها أدباء ، ولا حتى أنصاف أدباء ، إنما قام بها بعض كتاب الصحف المشوهين، في وقت كانت حالة الصحافة تبيح فيه لمثل هذه الأقلام أن تكتب فيه ما تشاء.. وكانت الحملة - كما هي العادة - تقوم على إتهامى بالإثارة الجنسية.. واحترت ماذا أفعل إزاءها فالذين يكتبون ليسوا من الشخصيات المحترمة الذين يستحقون الرد عليهم.. وما يكتبونه ليس مناقشة موضوعية تستحق أن أشرك فيها. إنما هي حملة موجهة إلى شخصي.. فلم أجد إلا أن أسكت .. ولكن هذا السكوت أطمع في صغار الكتاب ، فاشتدت الحملة.. ثم أحاطتها ظروف كثيرة انتهت بأن قدم أحد أعضاء مجلس الأمة سؤالاً عن القصة إلى الوزير المختص.. ولم يكن حضرة النائب أدبيا بل إنه اعترف لي بأنه لم يقرأ القصة أصلا، ولكن قدمت له بعض فقرات منها.. إنه نائب كان يسعى لنشر اسمه في الصحف.. فقط.

وفي هذا الوقت ذهبت إلى الأستاذ توفيق الحكيم وهو مجتمعاً بأعضاء لجنة القصة التابعة للمجلس الأعلى للفنون والآداب ، وعرضت عليه الموضوع كله.. وقلت له : إن

القضية قضية أدبية، وأن لجنة القصة هي صاحبة الحق في أن تبدي رأيها في هذا الاتجاه الأدبي، فإذا وجدت أنه اتجاه ليس من الأدب في شيء، أو أن نشره يعارض المصلحة العامة، توقفت عن السير فيه ، رغم إيماني به.. لأن الرأي هنا سيكون رأي لجنة من المختصين .. ثم إنني لا أكتب في هذا الاتجاه فحسب، ولكن معظم قصصى بعيدة كل البعد عن هذا الاتجاه، ورغم هذا فلو كان هذا الاتجاه صالحا للنشر فإن من حقي أن أسير فيه.. و.. و..

تكلمت كثيراً.. وتفضل أعضاء اللجنة والأستاذ توفيق الحكيم ، وأيدوا هذا الاتجاه، بل وهتاؤني عليه في حماس كبير.. فطلبت منهم أن يسجلوا رأيهم هذا في محضر الجلسة، لا للنشر في الصحف ، ولكن فقط لألجا إليه في حالة تقديمي للمحاكمة إذا حدث وقدمت. وهنا تراجع الأستاذ توفيق الحكيم، وفهمت منه أنه لا يستطيع أن يسجل هذا الرأي الأدبي المحض، إلا بعد استشارة الأستاذ يوسف السباعي.. وكان يقصد استشارة الحكومة وخرجت من اجتماع اللجنة.. لست غاضبا، ولكن يائسا.. وأرسلت خطابا إلى الأستاذ توفيق الحكيم أعذر له عن التجاؤي للجنة.

ولعل سيادتك تذكر أن مثل هذه الضجة أثرت عندما كتبت قصة "لا أنام"، والتجأت يومها إليك عندما كنت مجتمعا بأعضاء نادى القصة ، وتفضلت أيامها وأيدت موقفي وشجعتني عليه.. وكان التأييد الأدبي أيامها يكفي، ولكن في هذه الحملة الأخيرة لم يكن التأييد الأدبي يكفي، لأن الحملة خرجت عن النشر في الصحف إلى العرض في ساحة مجلس الأمة.

ثم..

حدثت في وسط هذه الأزمة، أن أعفيت من منصب رئيس مجلس إدارة مؤسسة روز اليوسف ، ورغم أن السيد الرئيس أرسل إلى متفضلا ، من يقول لي إن إعفائي ليس متعلقا بشخصي ولا يمس ثقته بي ، إنما هو متعلق بظروف بعيدة عنه كل البعد، إلا أنني ظلت مقتنعا بأن موقفي من الاتجاهات الأدبية كان له دخل في إعفائي .. ولم يكن إعفائي في حد ذاته يهمني، فقد كنت أسعى منذ وقت طويل لإعفاء نفسي من كل المسئوليات الإدارية، ولكن كان كل ما يهمني هو ألا يكون لإنتاجي الأدبي دخل في هذا الإعفاء.

ثم..

تطوع بعض الناس اندفاعا وراء شهوة الظهور على صفحات الصحف ، إلى تقديم بلاغ ضدي في النيابة للتحقيق في القصة التي كتبتها.. وحققت معي النيابة فعلا.

ثم..

أحيل التحقيق إلى نيابة الآداب.. وهنا لم أعقل.. لم أعقل أن يحاسب أديب في عصرنا هذا أمام نيابة الآداب، كالعاهرات، وكالقوادين.. واتصلت بالأستاذ يوسف السباعي، وقلت له: أنى لو ذهبت إلى نيابة الآداب، فسيذهب بعدى كل الأدباء.. وتفضل يوسف واتصل برئاسة الجمهورية التي أمرت في الحال بوقف تحويل القضية إلى نيابة الآداب، ثم حفظتها النيابة العامة.

كل هذا دون أن تناقش القضية مناقشة موضوعية من أساسها. لم تناقش الاتجاهات الأدبية.

ولا حرية الأديب.

ولا حق الأديب في التعبير عن الإنسان داخل مجتمعه

لا مناقشة إطلاقاً .

وأحسست بنفسى وحيدا.. وحيدا.. بعيدا.. بعيدا عن الحياة كلها.. وشعرت ببرودة شديدة تسرى في عروقي.. برودة كأنها وخز الإبر.. وأرتعش وأنكمش على نفسى أبحث عن الدفء فى داخلى .. ولكن البرودة فى نفسى كانت أشد.

ولعلك يا أستاذى الكبير تذكر أنى فى آخر مرة زرتك فيها بصحبة أعضاء جمعية الأدباء، أنى ملت على أذنك ، وقلت لك إنى فى حاجة إليك، فإنى أجتاز حالة نفسية تدفعنى إلى الاستجارة بك.. وتفضلت سيادتك بأن وعدتني بأن تحدد لى موعدا عندما أتصل بك تليفونيا.

ولم أتصل بك .. عدت إلى نفسى فأحسست أنى تافه.. تافه إلى حد لا أستحق أن آخذ من وقتك شيئا.

أستاذى

أخشى أن تظن أنى أخضر العود. أشكو كل هذه الشكوى من حملة أثرت على، فى الوقت الذى تعرضت فيه أنت إلى حملات ربما كانت أشد وأقسى . لا با أستاذى. لقد تعرضت أنا من قبل لحملات أشد، منذ بدأت أكتب فى الصحف، وأنا أتحمّل أكبر نصيب من الحملات الضارة.. حملات سياسية، وحملات أدبية.. ولكن كل هذه الحملات لم تكن تؤثر فىّ مثلما أثرت الحملة الأخيرة.. ذلك لأنى لم أشعر أبداً - خصوصاً قبل الثورة - بأنى أقف وحدى، كان الناس ينقسمون إزاء كل حملة.. ناس يقفون معى، وناس يقفون ضدى..

وكان الناس الذين يقفون معي يكفونني لشد أزرى على الناس الذين يقفون ضدى.. ولكن..
الدنيا تغيرت .. الناس الآن.. أقصد الذين يتكلمون بصوت عال، لا يقولون رأيهم، ولكنهم
يسألون عن رأى الحكومة ، ولا يحددون موقفهم من القضايا العامة أو الخاصة، ولكنهم
يبحثون عن موقف الحكومة، فإذا لم يكن للحكومة رأى ولا موقف، أصبح لا رأى لهم ولا
موقف.

وهذا هو ما أشاع اليأس فى نفسى. هذا هو ما جعلنى أشعر بالوحدة، والبرودة،
والإنطواء.. ولا أريد أن أقول القرف. وبعد يا أستاذى.

إنى اليوم أحس بقوتك وفضلك ، أكثر مما أحسست بهما فى أى يوم مضى، فقد
احتملت أنت.. أما أنا..

وتسألنى ماذا أريد؟

لاشى..

لاشى إطلاقاً..

إنى فقط أعتذر لك عن عدم إرسال كتبى إليك.

وأشكرك لأنك أتحت لى فرصة للتفريح عن نفسى ، وأشكرك مرة ثانية لأنى بالأمس
فقط قرأت - ربما للمرة العاشرة - أحلام شهر زاد.. وربما كانت قراءتى لها هى التى دفعتنى
إلى الإطالة عليك، عشت لنا طويلاً.

مع كل حبى واقتناعى ، وأطيب تمنياتى،

المخلص

إحسان عبد القدوس

١٩٦٦/٣/٤

من أميين يوسف غراب موباسان الشرق إلى أبي طه حسين

حين قررت الدولة أول جائزة للقصة، فاز بها أميين يوسف غراب عن قصته "أشياء لا تشبى" وكان أول من نشر له، محمد التابعى بآخر ساعة، وأول من بشر به طه حسين حين قال عنه:

إن أميين يوسف غراب لا يقل براعة ومقدرة فى ميدان القصة العربية الحديثة عن زميله الأديب الفرنسى جى دى موباسان". رغم أنه ليست له ثقافته ولا تعليمه. وحين يقدم طه حسين بعض مجموعاته القصصية يقول عنه^(١) "لم يتخرج فى الجامعة ولا فى الأزهر، ولم يختلف إلى المدارس ولم يجلس إلى الأساتذة والمؤدبين، وإنما علم نفسه فأحسن تعليمها، وأخذها بفنون من العنف حتى انقادت له، فأحسنت الانقياد، وقرأت على ما أرادها على أن تقرأه فعرفت كيف تقرأ وكيف تفهم وكيف تسيع ما تقرأه وما تفهمه، وكيف تتمثله ثم ترده بعد ذلك أدباً طريفاً، فيه كثير من روعة، وفيه كثير من جمال، لأنها أضافت إليه من خلاصة طبعها ما أسبغ عليه سذاجة حلوة، وأجرى فيه روحاً مصرياً عذبا".

لقد استطاع أميين يوسف غراب^(٢) ابن عمدة شرنوب بمحافظة البحيرة أن يحول محنته إلى استفادة عظمى، لقد اعتمد أميين على ثراء والده فلم يتعلم حتى ذهب الثراء ولم يعد لأسرته حول ولا قوة، فعمل أميين بأرشيف مكتبة البلدية، ولم يستطع أن يتعلم القراءة والكتابة إلا فى الخامسة عشرة من عمره، ولما غضب عليه رئيسه نقله للعمل بمكتبة البلدية بدمنهور، وهنا تلعب الأقدار دورها، يكتب أميين على الكتب يقرأ ويلتهم ما يقرأه ويفرزه على الورق، لا شئ يوقفه، إنه يحول النعمة إلى نعمة، ويكتشف فى نفسه موهبة الكتابة ليكون فى مقدمة الصفوف بين الأدباء من كاتبي القصة، ومن أشهر قصصه: شباب امرأة، ومن رواياته: الأبواب المغلقة، ومن مسرحياته: ست البنات، وهو متهتم كزميله إحسان عبد القدوس بسيطرة الجنس على أدبه.

يعتبر طه حسين أباه الروحى، وإذا صافحه المنحنى يقبل يده.

(١) اهرام ١١/٢٩/١٩٥٢.

(٢) مواليد ٣١ مارس ١٩١٢.

إنه يقول عنه "أنا أدين لطفه حسين بكل كلمة أكتبها" وفي رسائله المقعمة بالحب والاعتراف بالفضل تجدد أمين يوسف غراب يعتبر نفسه ابناً لطفه حسين، ويعتبر طه حسين أباه ، ومعلمه الأول. في رسالته التالية يحكى قصة ولادة هذه الأبوة التي شعر بها، كما يحكى كيف استطاع طه حسين أن يغير نظرتة المنكرة للإمام على رضى الله عنه.

قصتى مع الأبوة

أبى العزيز

يا خلاص أقول لك لم يدرك بخلدى يوماً، أننى سأتشرف بالكتابة إليك، لأننى ما تعودت أبداً أن أكتب إلى رجل لا أعرفه حتى ولو كان هذا الرجل هو "طه حسين" وهذه عادة لا أدري أصلها هي أم غير أصلها، ولكن الذى أدريه هو أننى فلاح نشأت فى بيت أضاع كل ما كانت تمتلئ به حجراته العديدة من متاع، فى سبيل ما يسمونه العزة والكرامة والأنفة، وما إلى ذلك من مسميات ومشتقات ، حتى ضاع كل شئ. ضاع البيت وضاعت حجراته أيضاً، ولم يبق إلا هذه السلعة التى كلما ذكرتها سألت نفسى أيهما الذى ربح: المتاع الذى أضاعناه ، أم الوهم الذى اشتريناه.

لهذا أيها الوالد العزيز لم أتشرف بالكتابة إليك من قبل ، رغم ما كان بيننا على البعد، ورغم ما أسديتته لى من حسنات وأى حسنات.

أما الآن وقد أسعدنى الحظ وتشرفت بالثول بين يديك . فما أنذا أتشرف أيضاً بالكتابة إلى شخصكم الكريم . وكل الذى أرجوه أن تصدقنى إذا قلت لك أننى أحببتك. وأنا لم أحبك لأنك طه حسين وحسب ، ولم أحبك لأنك المعلم الأول الذى علمتنى ما لم أكن أعلم ، والذى لولاه كما قلت لك يوماً، لظلت كما نشأت لا أعرف كيف أرسم اسمى على الورق. وأنا أيضاً لم أحبك يوم أن أظننى عطفك الذى أستشعره قلبى وكان فى حاجة إليه.. لا ولم أحبك كذلك لأنك تفضلت وكتبت عنى ما كتبت فخلقتنى بما كتبت خلقاً جديداً - كما قلت لك يوماً - وأسديت لى بهذا الذى كتبت الكثير والكثير جداً من الأفضال ، منها ما هو أدبى ومنها ما هو مادى، ومنها ما حدثتك عن بعضه ، ومنها ما سوف أحدثك عن بعضه الآخر إن شاء الله، وكذلك أنا لم أحبك لأن إحساسك المرفه وعطفك الجميل وكرمك الزائد ، كل ذلك أحس بما كان يعتمل فى قلبى من أمانى هى عند الأديب غاية ما

يصبوا إليه ، فحققتها لي وحققتها عن طيب خاطر يوم أن تنازلت ورضيت أن تتوج أدبي بمقدمة تفضل بها على كتاب من كتبي .. لا . لا لم أجك لشئ من هذا كله . وإنما أحببتك لما هو أثنى عندي من هذا كله ، وأسمى من هذا كله ، وأعز على الإنسان من هذا كله .. أحببتك للأبوة الصادقة التي وجدتها فيك ، وكنت أبحث عنها من يوم أن افتقدتها. أجل أحببتك لأنك أباي ، وبإخلاص أقول لك - أباي - وبإخلاص أيضا أقص عليك قصة هذه الأبوة الكريمة.

فقد أحسستها أول الأمر فلم أصدقها وأنكرتها، ثم أحسست بها ثانية فأنكرتها أيضا، ومعدرة في ذلك ، فما كنت أعرف أن السماء تعود فتعطي الذي أخذته ، ثم عدت مرة أخرى وأحسست بها، ففكرت فيها وتدبرتها ، ثم إذا بي ذات ليلة أمتشعرها كما كنت أمتشعرها من قبل صادقة نقية طاهرة فياضة بالعطف زاخرة بالحنان مليئة بالحب، فلم أنكرها ولم أتدبرها ، وإنما خررت لها ساجدا سجدة الإيمان.

الإيمان العذب الخلو الذي لا يتذوق حلاوته ولا عذوبته إلا كل من آمن بما آمن. ويعلم الله كيف أسعدني هذا الإيمان وكيف أراح قلبي ليلتند .. ليلة لم أتم فيها من ثقل الفرحه . ومعدرة إذا قلت ثقل الفرحه فكم تحمل الفرحه صاحبها أحيانا ما لم يحتمل أو يكن يظن أنه يحتمل.

وهل يحتمل الإنسان أن يعيش ليلة في السماء، بينما جسمه في الأرض. كان ذلك أيها الوالد العزيز ليلة أن شرفت دار الأوبرا لمشاهدة "ست البنات" أحسست هذا وأنا أجلس إلى جوارك، وأنا أتطلع إلى جمهور النظارة ، وكلما أراد أن يستمع استمتع بمشاهدتك أنت. أما أنا فكنت أجلس معك بجسمي فقط، أما ما أودعه الله هذا الجسم من عواطف وأحاسيس وعقل وقلب، أما كل ذلك فكان عند الله يشكر له هذا الصنيع الذي لا يقدره إلا هو. فهو وحده الذي علم كم تضرعت إلى السماء ذات ليلة لكي لا تحرمي أباي. فقد كنت أتصور كل شئ إلا أن أحرم من ذلك الأب. ولذلك لما لم تستجب السماء إلى دعائي ثرت عليها ثورة عفيفة واتهمتني بالعقوق والجور والقسوة والظلم الذي تنهانا عنه في الأرض.

وما كنت أدري وأنا كذلك أنها إنما تنفذ مشيئتها فقط وأنها تدخر لي نفس الأب، ليعطف عليّ نفس العطف، ويحني نفس الحب، ويرعاني نفس الرعاية.

وعندما أتقنت ذلك كان لزاما عليّ أن أشكر الله من قلبي . فلم أجد غير يدك الكريمة أقبليها وأمسح عليها بشفتي، ولعلك تذكر أنها كانت أول مرة قبلت فيها يدك الكريمة، ولعلني أذكر ويذكر الله معي أنها كانت أول يد أقبليها بعد عشر سنين وستة أشهر ، وهو

تاريخ ما كان لي أن أنساه، ولن أنساه.

لست أدري أيها الوالد العزيز لماذا أقص عليك هذا كله؟ إنك ولاشك تعرفه أكثر مني لأنك أنت الذي أعطيتني. بل ولست أدري لماذا أكتب هذه الرسالة وليس هناك ما يدعو إليها؟

أغلب الظن أنني أكتبها بسبب الوحشة التي استشعرتها بعد سفرك. بل التي أحسستها عندما علمت نبأ سفرك المفاجئ وكنت لا أعلم به ، والتي تحققت منها عندما تشرفت بالذهاب إليك لأقبل يدك مودعا ليلة السفر.

لقد ظللت طيلة الجلسة أفكر كيف ستغيب عنا ثلاثة أشهر كاملة؟

وكنت كلما طال بي الوقت أو امتلأت الحجرة بالزائرين وأحاول أن أنصرف ، إما أن يستبد بي هذا الفكر فأجلس ، وإما أن يستبقيني الأخ الكريم فريد، فأشعر بالغبطة والسرور لأنه بذلك يحقق لي ما أريد وهو أن أجلس في حضرتك أكبر وقت ممكن ، وصدقني لولا أنك صرفتنا لبقيت في حضرتك إلى ما شاء الله.

وعندما ذهبت إلى دارى بعد منتصف الليل أحسست برغبة صادقة في أن أجلس إليك بقية الليل فجلست إليك مع "على" وصدقني إذا قلت إنني جلست إلى "على" متأدبا جداً في آخر الليل ، كما كنت أجلس إليك متأدبا جداً في أول الليل. وأخذت أقرأ، ولعل ما قرأته كان من الأسباب التي دفعتني للكتابة إليك، وقبل أن أحادثك عن بعض تلك الأسباب أعترف لك أنني لم أقرأ كثيراً في تاريخنا الإسلامى، فأنا أضيق بالكتب القديمة وما تمتلئ به من حوقلة وبسملة وعنينة أيضاً، وما كتبه المحدثون فلم يقع في يدي منه شئ يذكر اللهم إلا ما كتبه العقاد وأحمد أمين، وبينى وبين الاثنين من الاستلطاف ما لا يشجعني على أن أقرأ لأحدهما.

فالعقاد قد أبى الله تعال قدرته إلا أن يجعل أدبه كإسمه عقده وتعقيد ، فأنا لا أفهمه مهما حاولت أن أفهمه ، ويعلم الله كم حاولت أن أفهمه وحملت نفسي ما لا تطيق لكى تفهمه ، ولكنها والله لم تفهمه . لذلك أشفقت على نفسي منه، فلم أقرأ له شيئاً ، وأرجو الله تعالى أن لا أقرأ له شيئاً.

أما أحمد أمين فمثله في كتبه كمثله ضارب الطوب – كما قلت له يوماً عندما أنشأ الثقافة – يصنع الآلاف ولكن كلها طين. لهذا أنا لم أقرأ في السيرة غير بعض الكتب اليسيرة جداً ، ثم عثمان ، ثم قرأت "على" . ومعلدرة إذا قلت إنني عندما أقبلت على ، "على" أقبلت

عليه إقبال المكره لا البطل، لأن فكرتى عن "على" كانت تختلف الاختلاف كله عن الحقيقة التى جلوتها لنا.

فقد عشت زمنا أكره هذا الرجل وأتهمه بالقسوة والظلم والأنانية وحب الذات ، فلولا ولاية "على" ، وتثبيت "على" بهذه الولاية لما وقع للمسلمين ما وقع عندما ولى "على" ، ولما حدثت الفرقة بينهم بسبب هذه الولاية ، ولما لاقى أم المؤمنين وهى زوجة رسول الله ما لاقى ، بسبب هذه الولاية ، ولولا ولاية "على" ما قتل ما قتل من المسلمين ما قتل وكانوا أعوان رسول الله ، ولولا ولاية "على" ما قتل من المؤمنين ما قتل وكانوا يدعون إلى كتاب الله ، ولولا ولايته لما كان ذلك اليوم الذى رآه المسلمون ، فلم يروا مثله - شناعة ولا بشاعة ولا نكرا - أجل عشت زمنا أكره هذا الرجل وأتهمه بالظلم والقسوة وغلظة القلب ، وبانه أذاق عائشة من القسوة ما لم تذوق امرأة غيرها من قبل ، وعائشة قبل أن تكون زوج رسول الله وقبل أن تكون أم المؤمنين فهى امرأة ، ومع ذلك - قالوا لى - إن عليا عقر جملها وراش عضدها ، ثم ذهب هو بنفسه وضرب هو وجهها برمح. ثم لم يكفه ذلك فبنتهك عليها حرمتها ، ثم لم يشف غليله ذلك فيذهب إليها فى دار عبد الله بن خلف التى امتلأت بحجراتها بجثث قتلاه ، لا ليعتذر لها عما فعل ، وإنما ليتندر بما فعل..

لهذا كنت أكره هذا الرجل وكنت أقول عنه كما قالت صفية بنت الحارث: يا قاتل الأحبة ويا مفرق الجماعة، أيم الله بنيك منك ، كما أيمت بنى عبد الله"

هذا ما كنت أعرفه عن "على" قبل أن أقرأ "على" أما الآن وقد قرأته ، أما الآن وقد فهمته ، فإنى أشعر بكثير من الألم على ما تورطت فيه حينما من ظن آثم ، فلقد أقنعتنى حقيقة بأنى كنت على خطأين ، وبأنى كنت على جهل كبير . وهذه ميزة ميزك الله بها دون أهل الأرض جميعا وهى إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، كما أخرجتنى من الظلام الذى كنت أعيش فيه إلى هذا النور الذى أصبحت أعيش فيه . إنك بهذا الكتاب قد أنصفت عليا ، وهذه حقيقة لاشك فيها ، وما كان لغيرك أن ينصفه ، صدقنى إذا قلت لك ذلك ، وصدقنى أيضا إذا قلت : إن الله تعالى له اليد الطولى على هذا الكتاب ، وأنت تمليه لأنه هو الآخر أراد أن ينصف عليا فلم يجد غيرك يعطيه هذا الحق الذى كان التاريخ نفسه أوشك أن يجرمه منه ، كما حرمه بعض الجهلاء الذين كتبوا عنه من قبل ، وكما حرمه أيضا بعض الجهلاء الذين قرأوا عنه من قبل فتورطوا فى الجهل الذى تورطت فيه يوما..

لذلك أقول إن الله كانت له اليد الطولى على هذا الكتاب الذى جاء فى حقيقته أكبر من أن يمليه إنسان ، وأكبر أيضا من أن يقدر عليه إنسان ، لهذا فأنا أشكر الله وأضرع إليه

أن يحفظ ذاتك الكريمة ، وأن يعيدك إلينا على خير ما ترجوه الأبناء للآباء . كما أضرع إليه أيضا أن يظلمنى رضاك دائما، وأن تكلاثنى رعايتك دائما، وأن يتيح لى من عطفك ورضاك ما أنا فى حاجة إليه.

ابنك البار

أمين يوسف غراب

٥٣/٧/٢٨

أسرار فى قلب إحسان عبد القدوس

وفى رسالة أخرى يتحدث أمين يوسف غراب عن أمنياته التى لا تتحقق، وانفراد عقد الأبناء بغير وجود طه حسين وركود سوق التوزيع لبعض الأبناء الكبار، فيقول :

ابى العزيز

تلقيت بفرحة كبيرة كتابكم الكريم ، وكم تمنيت أن أكون من الذين وهبهم الله القدرة على تصوير ما يعتمل فى النفس والقلب من أحاسيس ونزعات ، إذن لحدثكم عن أشياء كثيرة تسركم. فإنى لا أعرف شيئا يسر النفس الكريمة ، ويرضى القلب الكبير ، مثلما يسرها ويرضيه العمل على ما فيه الخير والأمن والاطمئنان للناس ، ولذلك لا يسعنى إلا أن أضرع إلى الله أن يجزيكم عن هذه الحسنة حسنات، وعن هذه المكرمة الخير والثوبة.

غير أن الذى أريد أن أؤكدده، هو أننى لم أخطئ فى الحكم، ولم أخطئ أيضا فى التقدير، لأننى لم أحكم ولم أقدر . وإنما أنا رجل كانت حياته أشبه ما تكون بالساعة المعطلة دائما – فمرت عليها لحظة كانت فيها أضبط ساعات العالم، وهذه رحمة من الله يتصدق بها أحيانا على الذين لا حول لهم ولا قوة.

تمنيت لى أيها الوالد العزيز أن يتاح لى فى يوم من الأيام أن أعبى البحر، وأطوف بتلك البلاد الأوربية، وأن أعيش حيناً بين السهل والجبل، وحيناً بين البحر والبحيرة، وأن أرى من ألوان الحضارة ما يشوق ويروق، وهذه أمنية طيبة لا تصدر إلا عن قلب كبير، ومع ذلك وقفت عندها طويلاً. فانا أسرف فى كل شئ إلا فى الأمانى. ولذلك ما تمنيت يوماً أكثر من أن أقطع الصحراء إلى مرسى مطروح صيفاً، أو أقطع الطريق إلى أسوان شتاء. ومع ذلك مر صيف وصيف، وأعقبه شتاء وشتاء، وسيمر صيف وصيف، وسيعقبه شتاء وشتاء، ولن يحقق هذه الأمنية العزيزة، أقصد واحدة منها، وكيف تتحقق أمنية صغرت أو كبرت، وقد

قدر لنا أن لا نظفر حتى بالخبز إلا عن طريق ذلك العرق الأسود - الذى نسود به الصفحات، فيسود علينا حياتنا أحيانا.

أقول ذلك بمناسبة قصة نشرت لى من أيام فى "آخر ساعة" فرأيت - وكان هذا سوء حظ - أن أقرأها بعد نشرها ، وإذا بى من شدة ما لاقيت من خيبة أضحكك دون ما سبب، ولعل هذا هو البكاء ، أو هو شر أنواع البكاء . فقد قرأت شيئا تافها. تافها إلى أقصى ما تنطوى عليه كلمة تفاهة من تفاهة. وكذلك ظللت يومها أضحك وأضحك ، إلى أن زال الضحك ورجع إلى صوابى ، إن صح أن الصواب يرجع ثانية. وكان ذلك عندما تذكرت الظروف التى كتبها فيها، ثم تلك القوة الخفية التى دفعتنى إلى نشرها. تذكرت ذلك كله وتذكرت معه قولكم الكريم عنى فى "الأهرام"، وكأنكم كنتم معى وفى حياتى.

"وهو قاص مقصر إلى الآن، لم يحاول أن يطيل القصص فيما أعلم ، وأكبر الظن أن الوقت لم يتح له كما لم يتح له فراغ البال، وأنه إنما يكتب هذا القصص القصير مستجيبا لفنه من ناحية ولضغوطات الإنتاج السريع المنتظم من جهة أخرى".

ومع ذلك أصدقكم القول وما كان لى إلا أن أصدقكم القول دائما، أنه لو لم تنشر لى تلك القصة فى الوقت الذى نشرت فيه لكان حزنى على عدم نشرها لا يقل عن ذلك الحزن الذى لاقيته بعد النشر.

وهكذا نعيش، وهكذا نكتب، وهكذا أيضا تكون الضراء التى لحمد الله عليها، ألم يطالبنا بأن نحمده فى الضراء كما نحمده السراء. ولذلك فأنا أحده كثيرا، وأحمده كثيرا جدا، هذا ما أقطع به وأؤكد، ولكن الذى أستطيع أن لا أقطع به ولا أستطيع أيضا أن أؤكد، هو هل سآحمده فى السراء بنفس الإخلاص الذى أحده به فى الضراء؟ هذا مالا أعرفه، لأننى لم أجربه ، وأغلب الظن أننى لن أجربه ، ومع ذلك فأنا أسأل نفسى، ترى هل يصدر هذا الشكر من الأعماق؟

علماء الدين يقولون ذلك وأنا أيضا أقول ذلك . كان بودى أن لا أقول ما قلت ، ولكن إن لم يقل الابن لأبيه كل شى فلن يقول؟

الأبناء جميعا فى نادى القصة وفى غيره يقبلون أياديكم الكريمة، ويتمنون لمعالبيكم وللأسرة الكريمة وافر الصحة وموفور الرضاء، وإنسى ألقى كثيرا بالأستاذين حسن عزت وإبراهيم الإيبارى، وهما فى صحة جيدة والحمد لله، ويقبلون أياديكم .

أما نحن فى نادى القصة فقد تفرق الشمل أو كاد بعد سفركم ، فأصبحنا لا نلتقى إلا نادرا. وإذا اجتمعنا فعلى غير موعد . فقد اتضح أن الذى كان يجمعنا هو تشريفكم والحرص

على المتول بين أيديكم. هذا وقد سافر إلى الإسكندرية الأستاذ توفيق الحكيم من شهر تقريبا. والأستاذ تيمور يقيم هناك بصفة دائمة. وسيسافر فى نهاية هذا الأسبوع إلى سويسرا للاستشفاء مع السيدة حرمه. وسافر إلى لندن من أسبوع صلاح ذهنى، وسافر فى حالة سيئة للغاية وهو من شدة المرض الذى حار فيه الأطباء فى مصر يكاد يكون بين الحياة والموت. والله يوفق الطبيب الذى سافر إليه فى لندن.

هذا وقد نال جائزة الدولة للأدب هذا العام وهى المعروفة بجائزة فؤاد سابقا. الأستاذ الزيات عن كتابه الجزء الرابع "من وحى الرسالة" رحمها الله. والأستاذ محمد عبد الحلیم عبد الله عن قصته الأخيرة "شمس الحريف". وقسمت الجنيهات الألف بين الاثنين بالتساوى، قسمها عليهما حضرة وزير المعارف الذى استشف أدبا رفيعا فى الكتابين، أو فى الأدبيين، أو كما قال.

قابلت إحسان أول من أمس وحدثنى بلسان الناشر حديثا طويلا عن سوء تقديره للأمور وكيف لم يطبع من "شجرة البؤس" غير ١٨ ألف نسخة نفذت عن آخرها عند صدورها، حتى الـ ١٥٠ نسخة التى ترسل بانجان إلى المعلنين اضطر إلى بيعها، هذا خلاف الطلبات الكثيرة التى ترد إليه من بعض المكتبات فى الأقطار العربية والتى مازالت تلح فى طلب الكتاب. ولما أفهمته أنه كان يجب أن يطبع من شجرة البؤس أضعاف ما يطبع من كتب السلسلة قال لى أشياء غريبة جدا عززها بالأرقام، وهى أن كتب الأساتذة توفيق الحكيم وتيمور وفريد أبو حديد وهم - الثلاثة الكبار - كما تطلق عليهم السيدة روز اليوسف مغيظة حانقة، قد فشلت فشلا ذريعا لا يتصوره عقل؟ فازهار الشوك للأستاذ فريد أبو حديد طبع منه ١٦ وزع ٥,٤٠٠ وكذلك تقريبا كتاب الأستاذ توفيق الحكيم، ولست أدرى سر هذه الظاهرة الغريبة فى كتب الأستاذ توفيق الحكيم هذا العام، فقد أصدر ثلاثة كتب لاقت جميعها نفس المصير، فدار أخبار اليوم تشكو مر الشكوى من كتابه "المرأة الجديدة"، وكذلك كتابه "عصا الحكيم" الذى أصدرته دار الهلال، وهذا هو كتابه "شجرة الحكم". وهذه ظاهرة فى الحقيقة تبعث على الدهشة كما قلت لإحسان الذى اتضح أنه يحمل هذه الأسرار فى قلبه على مضض ولا ييوح بها لأحد.

مرة أخرى أقبل أيديكم الكريمة، ومرة أخرى أعترت عن هذه الإطالة التى سوف لا أحيدها عنها طالما هى تسعدنى كل هذه السعادة.

ابنكم البار

أمين يوسف غراب

الجمهورية المصرية فى ٥٣/٧/٢٨

لا أستحق الشتم فقط

وفي رسالته الأخيرة يستعرض أمين يوسف غراب بعض الأخبار العامة والخاصة فيقول:

أبى العزيز الدكتور طه حسين

أقبل أياديكم الكريمة، وأرجو الله أن يمتع سيادتكم والأسرة الكريمة جميعا بالهناء الدائم، وإني أنتهز هذه المناسبة. مناسبة عيد الأضحى المبارك، وأكرر الرجاء لله عز وجل أن يعيده عليكم جميعا بالخير والهناء، وأن يحفظ لنا حياتكم الغالية وأن تعودوا إن شاء الله في يمن وصحة وهناء بال.

تسلمت بطاقة سيادتكم الكريمة. وبهذه المناسبة أقول أنه من نعمة الله على بعض الناس أحيانا أن يتيح لهم من أسباب شقائهم ما يسعدهم ويرضيهم. فأنا دائما فى شهور الصيف أكثر شقاء وذلك لعدة أسباب أهمها بل يكاد يكون كلها بسبب سفر سيادتكم هذا الطويل الذى يشعرنى دائما بالألم لا لشيء ولا لسبب، وإنما هكذا أنا دائما أثناء غياب سيادتكم فى الخارج.

فقد كان يمضى الأسبوع بل وأكثر بكثير ولم أتشرف برؤية سيادتكم أثناء وجودكم فى القاهرة، ولكن هناك إيمان، وهناك اطمئنان، بأنى فى كنفكم دائما، ومعكم دائما وأراكم فى أى لحظة أشاء.

أما إذا جاء الصيف وجاء معه السفر، فإنما يصير كل ذلك إلى العكس، ويصبح الاطمئنان قلقا، والإيمان شكاً، وأحس دائما بالوحدة وأشعر بحقيقة بؤس الإنسان الذى لا حد له.

وهذا شقاء ما فى ذلك شك، أما السعادة التى تشتق من هذا الشقاء كما قلت، فهى مثلا عندما وصلتني بياقتكم الكريمة، وعندما عرفت العنوان، وعندما فكرت فى الكتابة إلى سيادتكم، وعندما أكتب الآن، و.. أرانى سأطيل وسأتفلسف وسيتهى الأمر بان أشتم من سيادتكم كالعادة، ولهذا سأسكت، ثم أقول:

أولاً: كل ما فى الوطن العزيز بخير، وقد مرت فترة الانتخابات بسلام، ولم يحدث ما يستحق الذكر.

ثانياً: عقد مجلس الفنون والآداب جلسته الأخيرة هذا العام مساء السبت الماضى، وقد

اعتذر عن الحضور السيد وزير التربية والتعليم، وأتاب عنه وزير الإرشاد الذى رأس الجلسة ولم ينظر فى شئ ذى بال ، وقد أجلت أكثر المواضيع الهامة إلى الدورة المقبلة بعد الصيف إن شاء الله.

ثالثا: أنا والأسرة جميعا بخير والحمد لله، وإبراهيم نجح فى النقل من أولى إعدادى وكان ترتيبه الأول، وكان أول ما أراد أن يفعل أن يذهب إلى سيادتكم ليبلغ سيادتكم النبأ بنفسه، ولكنه أسف عندما علم أن سيادتكم فى الخارج، وطلب منى العنوان ليكتب لسيادتكم ، ولكن أنكرته منه لماذا لا أدرى.

رابعا: كما سبق وقلت لمعاليتكم أنا أكتب الآن قصة طويلة وقد أوشكت على نهايتها. وأقول من الآن مقدا أنها سوف لا تكون عند حسن ظن سيادتكم لسبب بسيط وهى أن كل صفحة كنت أكتبها أمثل شخصكم الكريم وكأنى فى حضرتكم الكريمة. فأخاف وأضطرب وأرجع إلى ما كتبت أزيد وأنقص وأنقص وأزيد، وإلى الآن مازلت أزيد وأنقص وأزيد.

خامسا: أعرف جيدا أننى أطلت جدا وأننى لا استحق الشتم فقط ولكنى أستحق الضرب، وأنا أعترف بذلك واعتذر عنه.

مرة أخرى أقبل أياديكم الكريمة وأرجو للجميع ولسيادتكم الصحة والهناء والسعادة. والتفضل بالكتابة إلى لأظفر أنا الآخر بشئ من هذه السعادة .

ابنكم البار

أمين يوسف غراب

من العقاد لظہ :

أنت تحتاج إلى شجاعة للكف عن الشجاعة!

يصف ظہ حسين العقاد بأنه "كان لي صديقاً حميماً وأخاً كريماً"^(١). ويقول "إن أثر العقاد في الأدب الحديث ضخم جداً لا يمارى في ذلك أحد"^(٢).

وقد كان بين الأدبيين الكبيرين علاقة أدبية ، وعلاقة إنسانية أيضاً على عكس ما قد يبدو للناس مما يستنتجونه أحياناً من عنف الممارك الأدبية بينهما ، مما دعا ظہ حسين إلى أن يقول "قد يظن بعض الناس أنه كانت بيني وبين العقاد قطيعة ، وهذا غير صحيح ، فلا أعرف أن خلافاً كان بيني وبين العقاد، وإنما كان العقاد لي صديقاً حميماً وأخاً كريماً"^(٣). والرسائل المتبادلة بين الصديقين هي أكبر شاهد وأعظم دليل.

والرسالة التي أرسلها العقاد ١٩٢٥ إلى ظہ حسين يناقشه فيها رأى كلاهما في "أدب المعري" وحظ هذا الأدب من الخيال، ويبدو أن أبو العلاء ، سيكون موضع مناقشة فيما بينهما، فيما بعد حين يجمعهما مجمع اللغة العربية ، حيث حدث (يقول ظہ حسين): "مرة والجمع يستعد لمؤتمره السنوي اقترح الدكتور منصور فهمي أن أعد محاضرة عن أبي العلاء للمؤتمر ، وقد قال في مجلس الجمع وهو يقدم اقتراحه : إن الدكتور ظہ أعرف الناس بأبي العلاء، وما كاد الأستاذ العقاد يسمع هذا حتى اندفع قائلاً: بأنه يعرف عن أبي العلاء ما لا يعرفه ظہ حسين وغيره، وهو أقدر الناس على الحديث في هذا الموضوع. ويقول الدكتور ظہ : حاولت تهدئة الأستاذ العقاد، وأبدت له رغبتى في عدم الحديث في هذا الموضوع"^(٤).

وفي العشرينات كتب كلاهما مقالا عن أبو العلاء وإن تجاهل ظہ حسين ما كتبه العقاد، فرد عليه رداً ساخراً في نهاية خطابه الذي اتفق فيه مع الكثير مما نشره ظہ في مقاله وأثار اهتمامه فكتب له هذا الخطاب:

(١) ظہ حسين يتحدث عن أعلام عصره - د. محمد الدسوقي.

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

السخرية العلائية

حضرة الأستاذ القدير الدكتور طه حسين

أشكر لك ثناءك واهتمامك وأبدلك التحية مدحا وقدحاً بالصاع صاعين وبالباغ باعين!
وأعجب بشجاعتك في تقيظ كتابي ونقده في صحيفة "السياسة" وإن كنت أسأل نفسي:
هل هي شجاعة حقاً!!

فإن الشجاعة هي معالجة المكروه والإقدام على المخدور ، ولا أظنك إلا ملتذا بما في
شجاعتك الأدبية من إيذاء عقائد الناس وإحراج صدورهم ، ولو كانوا من أنصارك
وأصحابك ! فهي شجاعة حبيبة إلى نفسك تقدم بك على ما تهوى لا على ما تكره ، وتجنح
بك إلى ما ينيلك لذة وسرورا لا إلى ما يكلفك جهداً وصبراً، وكأنك تحتاج أحيانا إلى
شجاعة للكف عن هذه الشجاعة.. ولا أزيد على ذلك فنخوض في غموض الفلسفة التي
قلت إنك لا تسيغها (وربما ذلك لأنك تقرأها قراءة متفرج لا قراءة من يهتم بموضوعاتها
ويشغل خاطره بالبحث عن أسرارها).

أما كلامك عن الخيال في "رسالة الغفران" ، فأنا أوافقك أولا على تعريف الخيال
وأرى معك أنه ملكة "تستمد الصور والنتائج من الأشياء الموجودة وتؤلف بينها تأليفا غريبا
يهر النفس ويفتنها" وعلى هذا التعريف لا أرى للمعري في رسالة الغفران حظا من ذلك
التأليف الغريب الذي يهر النفس ويفتنها، أكبر من حظ الراوية الذي يسرد الأخبار
المسموعة ، والقاص الذي يعيد النوادر المحفوظة.

وقد سألت "ماذا يلذنا في رسالة الغفران؟" فأقول: إنما أكبر ما يلذنا في هذه القصة
معدنها لا صورها الفنية . وأزيد ذلك إيضاحا فأقول: إن قطعة الذهب مثلا لها قيمتها
التجارية، ولكن قطعة الذهب المصوغة في شكل تمثال جميل أنيق لها هذه القيمة التجارية ،
وقيمة أخرى هي القيمة الفنية الجمالية ! فهذه القيمة الفنية قليلة رخيصة في رسالة الغفران
لا تضيف شيئا كثيرا إلى ما فيها من متعة القصص والفكاهة والصور التي تبادر الذهن عفوا
عند ذكر الجنة والنار وما فيهما من أسباب النعيم والعذاب.

فإذا كان في الرسالة متعة فوق متعة القصص والفكاهة المنقولة ، فالفضل فيها للسخر
السخرى الذي تفيض به الرسالة لا للخيال الضعيف الذي يظهر فيها حيناً بعد حين، كما

يظهر الوشل المنقطع بين الرمال. ولا أدري كيف يخطر لك أن تقرن قصيدة دانتى إلى رسالة المعرى، وبينهما فرق بعيد يكاد يكون كالفرق بين الشعر والتاريخ حيث يتساووان الموضوع الواحد؟ وأحسب رأيك هذا في خيال المعرى جديداً لم تكن تراه حين كتبت "ذكرى أبى العلاء" فإني أذكر أنك جردته - إلا قليلا - من الخيال في شعره . ولو كانت "الرسالة" بين يدي الساعة لنقلت لك كلامك في هذا الصدد ، ولكنك في غنى عن نقله . فإن لم تخشى الذاكرة فأنت تقول معنى : إن الخيال لم يكن من الملكات التي امتاز بها المعرى وإلا لما تركه في الشعر وهو أحجى بأن تتبع فيه منادح التخيل والتصوير والشعور.

وقد وددت لو ذهبت في تحليل السخرية العلانية إلى أقصى ما تنتهي إليه حرية البحث، لأن أبا العلاء لم يكن يسخر من لذات الناس وشهواتهم وإنما كان يسخر بهذه وبعقائدهم وأديانهم كذلك، وأخالني قد فعلت ما وددته - وإن لم أتوسع في هذا البحث - فقلت إن المعرى "كان يبتسم من آمال الناس في الدنيا والآخرة ثم يعود فيبتسم من ابتسامه، ويعبث بالكافرين ويعرض بهم في ظاهر القول وهو بالمؤمنين أشد عبثاً وأبلغ تعريضا" ولم أبعث في هذا المنزع لأنني أرى بعض الحماقات كبعض الدمامات أقل من أن يُضحك منها أو تنال بأذى السخرية.

وبعد فلست أعتقد أنك من ضعف الذاكرة بحيث أردت أن تظهر لنا في مقالك . فأنت تزعم أنك لم تقرأ "البلاغ" وقد رددت عليه مراراً فكيف اتفق هذا؟ أعلتك ترد على ما لم تقرأ أو لعلك قد نسيت يارادتك؟ وقد ينسى الإنسان يارادته في بعض الأحيان!
وأقول لك أخيراً "حسبك فقد عرفت صوت نفسك" وإنه لصوت يُسمع على ما فيه من النشوز. وتقبل مني التحية والسلام .

عباس محمود العقاد

٢١ يناير ١٩٢٥

الإسرائيلى المعجل

وفي خطاب آخر دال على تبادل الصديقين للرسائل والكتب فيما بينهما كهدايا، يتفلسف العقاد بأن كتابه القادم عن "ابن الرومى" لن يهديه لطف بل سيعطيه له قرضاً ، وهى مداعبة تدلنا على الوجه الآخر السماح للعاقد غير وجهه الذى عرف واشتهر به.
يقول فى رسالته لطفه:

سيدى الدكتور الأجل

تلقيت رسالتك وشكرت تهنتك وإن قدرى لهذه التهنة لكير واغتباطى بما حوته من دلائل العطف النبيل لعميق. وقد تفضلت فذكرت كتيبى الأدبية فيسرنى أن يوافق ذلك قرب الفراغ من كتاب "ابن الرومى" الذى شرعت فى طبعه قبل سنة وأرجو أن يتم طبعه بعد أسبوعين . وسأرسله إليك ولكن لا هدية.. بل قرصا أسمح لنفسى أن أصفه بالإسرائيلى المعجل.. لأننى أنتظر سداده من آثارك الأدبية فى وقت قريب. والتحيات لك والإجلال.

المخلص

عباس محمود العقاد

٨ أغسطس ١٩٣١

مطلوب عمل

وما يدل على عمق الصداقة بين الرجلين أن كبرياء العقاد لم تمنعه من أن يتوسط لدى طه حسين ليعمل معه أحد الأدباء فى جريدة "الوادى" التى اشترى طه حسين امتيازها ليديرها ويرأس تحريرها فى الفترة التى طرده فيها إسماعيل صدقى رئيس الوزراء من الجامعة وأمعن فى إيذائه والتنضيق عليه، فعمل فى جريدة "كوكب الشرق" أولا بطلب من النحاس باشا لمساعدته فى الخروج من أزمته كما ذكرنا سابقا . يقول العقاد:

تحريرا فى ٢٢ مايو ١٩٣٤ .

حضرة الأستاذ العالم الجليل

أهنتكم بما صحت عليه عزيمتكم فى إصدار "الوادى" وأرجو له النجاح الذى يحقق رجاءنا ورجاءكم .

وبعد فلا أحسبني أزيدكم علما بالأديب مصطفى كامل الشناوى بعد ما خبرتموه فى رئاسة تصحيح الكوكب وفى تحريره ولكنى اكتفى بأن أذكركم به وأود لو يكون له نصيب فى العمل معكم إذا كان مجاله خاليا فى الوادى، ولكم الشكر والتحية والاحترام.

المخلص

عباس محمود العقاد

مع طه فى محنته

وقد كان العقاد نفسه أشد الذين وقفوا بجانب طه حسين فى محنته التى كانت تمثل اعتداء على الجامعة واستقلالها حين طلبت حكومة صدقى باشا من طه حسين أن تمنح كلية الآداب التى هو عميدها ، الدكتوراة الفخرية لبعض السياسيين ، فلما رفض ، قام وزير المعارف آنذاك - حلمى عيسى باشا - بإقالة طه حسين ، فاستقال مدير الجامعة أحمد لطفى السيد احتجاجا وتظاهر الطلبة من أجل عميدهم ، وكتب العقاد منددا بهذا التصرف قائلاً: حتى مع الفرض بأن "الدكتور طه حسين مخطئ كل الخطأ فى الأسباب التى عزيت إليه فإن ذلك لا يغير وصف المسألة ولا يفهمنا ما هى الضرورة التى أرغمت الوزارة إرغاماً على أن تسلك هذا المسلك دون غيره، وأن تتعجل هذا التعجل ، وتظاهر هذا التظاهر وتعالج المسألة هذا العلاج العسكرى المبرم كأنها فى ميدان قتال تخشى فيه زحف عدو مغير أو تتصرف وهى مقدمة على خط النار!!".

ولا يرى العقاد حلاً "للإشكال الذى وقعت فيه هذه الوزارة - بسوء رأيها - إلا أن يستقيل وزير المعارف وتعود الأمور إلى نصابها، فإن استقالته هى التكفير الوحيد لخطئه السخيف". وفى خطاب من العقاد يعتذر فيه لطفه حسين عن إلقاء محاضرات فيما يبدو أنه قد طلب منه إلقاءها، ويزيد الأمر غموضاً أن طه حسين كان آنذاك خارج الجامعة، حيث كان يمكن القبول بأن طه قد دعا العقاد لإلقاء سلسلة من المحاضرات فى الجامعة على طلبة كلية الآداب، ولما كان ذلك غير ممكن فى هذه الفترة التى أخرج فيها طه من الجامعة فإن الأمر يبدو أكثر غرابة. ولنقرأ سطور خطاب العقاد إلى طه حسين:

أخى العلامة الفاضل

تحية وإجلالا. وبعد فإنى أعانى ضعفا فى الصحة أعالجه ولا أتغلب عليه. ويكاد يلجئنى إلى الراحة الطويلة لولا أن للعمل فريضة لا تنسى ، وأرانى مضطرا إلى الاكتفاء بأيسر العمل الذى لا يحيص عنه. فأرجو أن تقبلوا عذرى إذا أنا لم أجد بداً من التخلف عن إلقاء المحاضرات التى تفضلتم فحدثتمونى فى شأنها. وإنى أعتذر أسفا وأرجو قبول التحية والاحترام.

عباس محمود العقاد

٢٥ أكتوبر ١٩٣٢

خدموا العلم فتخلفوا

ويطلب العقاد من طه حسين فى رسالة أخرى أن يعمل لإنصاف بعض الأدياء الشبان الذين "خدموا العلم فتخلفوا" ، كما يقول العقاد مقارنة بينهم وبين زملائهم الذين عملوا فى مجالات أخرى فسبقوهم، مما يثير قضية غياب قيمة العلم فى بلادنا منذ فترة طويلة ، أما لماذا اتجه العقاد إلى طه لإنصاف هؤلاء الشبان ، فلأن طه حسين قد صار مراقبا للثقافة فى وزارة المعارف مما يتيح له أن ينصف هؤلاء الشبان، يقول العقاد :

حضرة الأخ العلامة الدكتور طه حسين بك

أحييكم تحية الإخاء والإجلال

وأتجه إلى إنصافكم فى أمر لا أعلم منه فوق ما تعلمون، وهو أمر الشبان الأدياء الذين يقومون على ترجمة وزارة المعارف الإسلامية ، وقد سلخوا الآن فى عملهم هذا عشر سنين لو سلخوا بعضها فى طلب نصر علمى لأدركوه وأدركوا معه منفعته وفخره ، أو فى طلب مال حصلوا منه ما يغنى ، ولكنهم خدموا العلم فتخلفوا ، وفاتهم باسم العلم زملاء لهم لم يخدموه مثل خدمتهم، ومن حقهم أن يطمعوا فى رعايتكم ويشقوا فى معونتكم، ولم اليوم كما فهمت مسألة معروضة عليكم، فيها ما يعرضهم ويرجى منه تحسين أحوالهم. فلا أزيد على الإشارة إليها وفيها عندكم الكفاية، ولكم تحياتى وشكرى والسلام.

المخلص

عباس محمود العقاد

٩ سبتمبر ١٩٤٢

عظيم من جميع الجوانب

ولما كان العقاد وطه يتبادلان إهداء كتبهما فمن المهم أن نعرف على آرائهما فيما يكتب الآخر، وهذه رسالة من طه حسين إلى العقاد يحبه فيها على كتابه "عقرية محمد" ويشكره على احتفائه بكتابه "الحب الضائع" لطله حسين، فى مجلة الرسالة.

يقول طه حسين:

فرغت الساعة من قراءة كتابك الممتع "عبقرية محمد"، ولست أكتب إليك الآن لأصور لك رأيي في هذا الكتاب أو إعجابي به، فما أنت في حاجة إلى هذا الرأي وما أنت في حاجة إلى هذا الإعجاب، وما ينبغي أن يصور لك أنت هذا أو ذاك، إنما ينبغي أن يصور للناس الذين يقرأون والذين لا يقرأون.

وأنا أرجو أن تتيح لي الظروف قريبا أداء هذا الحق لا إليك ولكن إلى الكتاب نفسه فهو يقتضيني هذا الحق، وإلى القراء فهم يقتضونني إياه أيضا، لم أكتب إليك إذن لأحدثك عن هذا الكتاب، وإنما أكتب إليك مهديا أجمل الشكر وأصدقته، وأخلص التحية وأطيبها بعد أن قرأت فضلك الكريم الذي تفضلت به علي "الحب الضائع" في "الرسالة"، وهو فضل منك جديد يضاف إلى فضل منك قديم (لعله يشير إلى وقوفه بجانبه في محنته) مهما أقل فلن أؤدى حقه من الشكر والاعتراف بالجميل، ولكني أرى فيك ما كان "المبرد" يراه في "البحرئى" إن صدقتنى الذاكرة حين قال له:

أبى الله إلا أن تكون عظيما من جميع جوانبك

فتقبل شكرى الخالص وتحتجى الصادقة وأعذر ما اضطر إليه من قصور أو تقصير عن النهوض بحق هذا الشكر كما ينبغي".

لماذا تراجع طه؟

ولا ندرى بعد هذا الإعجاب بـ "عبقرية محمد" وصاحبها، ما الذى دعا طه حسين فى ندوة "تليفزيونية" بعد وفاة العقاد، أن يعترف بأنه لم يفهم بعض العبقريات ومنها "عبقرية محمد" التى أبدى استمتاعه بها فى رسالة للعقاد. والذى بايعه فى حياته بإمارة الشعر حين ألقى خطابه بمسرح الأزيكية ١٩٤٥، حين قال "ضعوا لواء الشعر فى يد العقاد وقولوا للأدباء والشعراء: أسرعوا واستظلووا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه"، ثم عاد طه حسين ليسحب مبايعته للعقاد بعد رحيله حين قال: "أحب أن أؤكد أننى لم أباع العقاد إمارة الشعر، وما كان لى أن أباعه لأننى لم أكن شاعرا!"

فهل كان طه يصرح بغير ما يضمّر، أم هى تقلبات النفوس البشرية يستوى فى ذلك العاديون من البشر، والعباقرة، أم أن طه كان يتقى قلم العقاد الحاد ويصانعه، على أية حال فقد كان العقاد

صادقا في مشاعره نحو طه حسين ، وبدا ذلك في أكثر من أزمة صحية ألمت بطنه حسين، فنجده يسارع بإرسال تلغرافاته الجميلة الحانية على صديقه، ولنقرأ بعض هذه التلغرافات:

• الدكتور طه حسين .. مستشفى الطيران - العباسية.

في رعاية الله الكريم وعناية الطب القدير، قوام يعتدل به قوام الأدب والبيان. ويهنأ بسلامه عالم الفكر السليم والفهم القويم.

عباس العقاد

• تحية الغبطة والتهنئة بالشفاء عاكف على المنزل - أياما - بين يدي وافدة الشفاء، ولولا اتقاء الإرهاق من المقابلة لسبقت كتابي وبطاقتي إلى الدار منذ حين.

العقاد ٢٧/١١/١٩٦٢

• الدكتور طه حسين .. شارع الهرم - الجيزة غاشية بعدها شافية واقية بنعمة وعافية.

عباس العقاد

• الدكتور طه حسين.. شارع الهرم نسأل عن صحتكم ونرجو أن يكون بقاءكم في ميادين عملكم جواب السؤال عنكم.

عباس العقاد

طه يقنع عبد الوهاب بالغناء فى أزمته!

بداية تعرف عبد الوهاب على طه حسين كانت عن طريق أحمد شوقى أستاذه فى الفن والحياة والذى كان يقوم بتعريفه بنجوم الأدب والفن والسياسة، وكان طه حسين ممن عرفهم شوقى ، لعبد الوهاب، حينما كان يزوره أثناء رئاسته لتحرير جريدة "كوكب الشرق" ، وقد أحس عبد الوهاب بموسيقية بيان طه حسين التى تهتم فنانا مثله^(١)، ولا ينسى عبد الوهاب كيف حضر طه حسين تسجيل أول قصيدة ملحنة له وهى "الجنودل" ، يقول عبد الوهاب "ويومها اعتبر تلحين قصيدة الجنودل علامة جديدة من علامات الفن العربى وانطلاقه"^(٢) ولا ينسى عبد الوهاب كذلك واقعة تدل على قوة إقناع طه حسين للآخرين فى أحلك حالاتهم شدة وقسوة.

ولم يكن أصعب من فراق الأحياء، شدة وقسوة، ومع ذلك كان طه حسين يرى فى مثل هذه الأمور دعوة للصبر والاحتمال واستلهم القوة على منازلة الشدائد ، وليس أدل على ذلك من إقناعه للموسيقار محمد عبد الوهاب فى حضور أمير الشعراء أحمد شوقى، (وكانوا يصطافون فى لبنان ١٩٢٧) بان يغنى يوم إبلاغه بوفاة والده، بعد أن كان عبد الوهاب قد قام بتأجيل الحفل الذى كان من المفترض أن يقوم بإحيائه فى نفس اليوم، فعاد عبد الوهاب ليلقى التأجيل ويغنى بناء على نصيحة طه حسين: غنى كما تحس حزنا أو فرحا.

وليلتها شعر عبد الوهاب أنه كان فى أحسن حالاته من ناحية قدرته على الإجابة فى الغناء. ولم يكن مستغربا بعد ذلك ألا يتأخر عبد الوهاب عن طه حسين فى إجابة أى مطلب له ، فهو القادر على إقناعه حتى بما لم يكن مقتنعا به، وسنلاحظ أثر ذلك فى خطاب غامض المضمون كتبه عبد الوهاب إلى طه حسين على إثر حفل غنائى كان المفترض أن يجيئه عبد الوهاب فى الرقازيق بناء على طلب من أحد أساتذة الجامعة ، ولا نعرف لأى غرض، ولكن يبدو أن ذلك الأستاذ قد طلب إحياء هذا الحفل بناء على التدخل لى د. طه حسين وهو أحد أساتذة الجامعة لإقناع عبد الوهاب، وفيما يبدو فقد تأجل الحفل، الذى يبدى موسيقار الأجيال أسفه لعدم إتمامه، بل ويسميه "الحفلة النادرة"!

يقول عبد الوهاب فى خطابه الغامض إلى طه حسين بدون تاريخ.

(١) قاهر الظلام.. لكمال الملاخ.

(٢) السابق.

سیدی الأستاذ

تحية واحتراما وبعد

توجهت إلى الجامعة لغرض لقائك ولكني آسف لعدم وجودكم، وقد وصلني أمس خطاب من الدكتور برادة الذي اتفقت معه على إحياء حفلة مساء الأحد بالزقازيق ، وما كنت أدري أن أحدا تكلم معه بشأن تأجيل تلك الحفلة إلا أمس من شخص يتكلم معي بالتليفون ، وإنني أرسل إليكم خطابي هذا لتعلموا مبلغ إحراج مركزي مع تقديم أسفى على حرمانى شخصيا من تلك الحفلة النادرة.

وتفضلوا بقبول فائق تحياتى

عبد الوهاب

الشعراوى وطه حسين فى الأراضى المقدسة (*)

الصراحة التى تحدثت بها سوزان زوجة طه حسين فى كتابها "معك"، والتى جعلتها تروى قصة مفاتحة طه حسين لها بالحب، وتذكر أنها ردت عليه "بفظاظة": أنها لا تحبه، نجعلنا نصدقها حين نتحدث عن السلوك الإسلامى لطه حسين فى بيتهما. تقول مخاطبة طه حسين بعد رحيله "أفكر فى هذا التوافق الخفى الذى وحدنا دوما فى احترام كل منا لدين الآخر. لقد دهش البعض من ذلك، فى حين فهم البعض الآخر، إذ رأى أن بوسعى أن أردد صلاتى على حين تستمع إلى القرآن فى الغرفة المجاورة. ويصدقنى اليوم أن أفصح المذيع لأستمع إلى القرآن عندما أبدأ تسبيحى، بل إنى لأسمعه على كل حال فى أعماق نفسى. كنت غالبا ما تحدثنى عن القرآن، وتردد لى البسملة التى كنت تحبها بوجه خاص. وكنت تقرأ التوراة، وكنت أتحدث عن يسوع. كنت تردد فى كثير من الأحيان أننا لا نكذب على الله، وويل للمكذبين".

هكذا كان يحترم كلاهما "طه وسوزان" دين الآخر فى تسامح هو من روح الإسلام الحنيف. وتقول سوزان "ففى كثير من المرات التى كنا نتحدث فيها، كان يستشهد بيت من الشعر، أو بمثل أو بآية من القرآن الذى كان يجب أن يقرأه، وأن يترجمه لى.

أما أبناء طه حسين، أمينة، ومؤنس، أو "كلود"، و"مجرى" فالذين يحسنون الظن يرون أنها أسماء تدليل لهما من أهمها، والذين يسيئون الظن يحملون المسائل أكثر مما تحتمل، ولكننا نريد أن نصل إلى الجوهر فى السلوك العام والخاص بأبناء طه حسين فهو أكثر دلالة وإقناعا من أى حديث أو تبرير.

يتحدث طه حسين عن وداع إبنته أمينة فى إحدى مرات سفرها مع زوجها، فيقول "فلما همت أن تنصرف ألفت فى يدي شيئا صغيرا وتولت وهى تقول: "اجعل هذا وقاء لك من شر من تحصن إليه. ونظرت فإذا هو مصحف دقيق. لك العهد يا إبنتى: لا يفارقنى مصحفك الدقيق حيا أو ميتا".

أما مؤنس فقد كان "يجاهد فى اليونسكو لنقل آثار العرب وعلماء المسلمين إلى لغات الغرب" وكان موضوع رسالته للدكتوراه عن "تأثير الآداب الإسلامية فى الأدب الفرنسى". ونعود إلى "سوزان" التى تحدثنا عن أثر حدث خطير فى حياة زوجها طه حسين فتنقول "وما كان يواسيه شئ لو لم يتمكن من رؤية المدينة المنورة. وأعرف كم كان منفعا عندما يقول لى: حقا إن

(*) مجلة الشموع - العدد ١٥ - أكتوبر . نوفمبر . ديسمبر ١٩٨٩.

الإسلام دين الصفاء والتسامح".

لقد كان طه يهفو إلى زيارة الأراضى المقدسة وكانت الأراضى المقدسة تهفو إليه. كانت تهفو إليه حين تصدى أحد أبنائها مدافعا عن طه حسين وهو مجرود الفضل في وطنه، وكانت تهفو إليه وأحد أبنائها يدعو لزيارتها.

بين أوراق طه حسين قصاصات ورق صحف بلا تحديد للسنة ، وكتب بجانبها "البلاغ" ٥/١٩، نقرأ فيها دفاعا حارا عن طه حسين ضد إحدى الصحف التي تقولت عليه في نزاهته بعد أن ترك وزارة المعارف، وهي صحيفة "الأساس"، يقول أحمد عبد الغفور عطار من مكة المكرمة:

"لشد ما يؤلمنا نحن أبناء الأقطار العربية الشقيقة أن نرى في مصر ظاهرة تحمل المخلصين لها على أن يألموا ويشفقوا . وهذه الظاهرة هي رمى البارزين فيها بما هم براء منه مما لا يتفق مع الكرامة الإنسانية ولا الشهرة الصحيحة التي استحقوها عن كفاية واقتدار" طه حسين الذى يدخل الوزارة فقيرا ثم يغادرها وهو فقير أيضا ، بل مدين.

طه حسين الذى لو أراد أن يأخذ تلقاء قطرة من قلمه يسكبها على الورق آلافا من الجنيهات لكان له ذلك. طه حسين الذى يستطيع بكلمة واحدة أن يملأ الخزان بالمال، يهد وهو قادر، ويعيش وهو فقير مرفوع الرأس موفور الكرامة.

هذا الرجل العظيم الكبير الذى فرض زعامة مصر على الشرق العربى والإسلامى بنفسه وأدبه وعلمه وكتبه".

"هذا الرجل الذى حمل الناس فى الشرق والغرب أن يحدقوا فى مصر طويلا ، وحملهم على الهمتاف باسمها والتصفيق لها وتأييدها . هذا الرجل الذى دان مصر دينا ثقيلا لا يقضى، يثار أمامه غبار من بعض عارفى فضله، ومن لطفه عليهم فضل أى فضل".

"وإذا أردنا أن نعرف فضل طه على مصر والشرق العربى وما صنع لهما فلننرض أنه لم يوجد، ثم لننظر ماذا يكون حالهما، أعتقد - والحق معى - أنه لو لم يكن طه لتأخرت مصر والشرق العربى فى الثقافة - على الأقل - تأخرا كثيرا".

"هذا مما نأخذه على بعض إخواننا المصريين الذين يتنكرون لمن كانوا سبب مجد مصر وزعامتها، وهؤلاء - كما أظن - يجهلون أن فى تنكرهم هذا حرمانا لأنفسهم من الفخار الذى لا يشتري بكل أموال مصر".

لقد احتفظ طه حسين بهذه الكلمات التى خطها شاب عربى من مكة المكرمة يعترف لطفه حسين بأنه "هو الذى دفع شباب العرب إلى أن يفكروا تفكيراً حراً مستقلاً".

يحتفظ طه حسين بتلك الرسالة المنشورة ، كما يحتفظ برسالة أخرى سبقتها بحوالي عشر سنوات (٢٠ يناير ١٩٤٢) وكاتبها أيضا شاب عربي هو محمد سرور الصبان الذي حرص على أن يسجلها من " مكة المكرمة إلى مصر الخروسة " ، قائلا لطه حسين:

"يسرني أن أقدم لكم تحايا شباب العرب في هذه البلاد المقدسة الكريمة التي تقدر أدبكم القيم الرائع حق قدره والتي تعرفكم معرفة الروح " وهذه البلاد التي تحفل بآثار سيد الخلق ورسول الإسلام والتي ألهمت الأستاذ سفره النفيس (على هامش السيرة) من حقها أن ترى الأستاذ الكبير ، ومن حقه أن يفد إليها حاجا وزائرا ومستلهما للتاريخ ومستوحيا للديار والآثار".

ولقد كان أهل "هذه البلاد المقدسة الكريمة" مشوقين إلى طه، وكان طه مشوقا إلى بلادهم، وقد جاءت الفرصة حينما صار رئيسا للجنة الثقافية بجامعة الدول العربية ، بل إنه لم يكن ليقبل اختياره لهذا المنصب لولا أنه علم أن دورة هذه اللجنة ستعقد في المملكة العربية السعودية، وقد عبر عن ذلك في حفل افتتاح دورة اللجنة الثقافية التاسعة التي عقدت في "جدة" فقال^(١)

"حين شرفني مجلس الجامعة العربية باختيارى مشاركا في اللجنة الثقافية للجامعة ، ترددت في قبول هذا الشرف لأن فيه أعباء لا ينهض بها إلا أولو العزم، ولكن لم أكد أسمع أن الدورة ستعقد في هذا الوطن العزيز حتى أقبلت غير مزرد ، يدلعني هذا الشوق الطبيعي الذي تمتلئ به قلوب جميع المسلمين مهما تكن أوطانهم، فهذا الوطن وطن العروبة والإسلام".

ويعبر عن مشاعره الأولى حين حل بهذا الوطن المقدس ، فيقول^(٢)

"أول ما شعرت به ومازلت أشعر به إلى الآن هو الذي يجده الغريب حين يؤوب بعد غيبة طويلة جدا إلى موطن عقله وقلبه وروحه بمعنى عام".

وحينما تهيأ طه حسين للقيام "بالعمرة" عُهد إلى الشيخ عبد الله المنيعي مدير إدارة الثقافة بوزارة المعارف السعودية (التي كان وزيرها الأمير فهد بن عبد العزيز الملك فيما بعد) ليرافقه في رحلته الروحية ، وقد قام طه حسين بالتنبيه على مرافقه^(٣) "وهما يفادران مدينة جدة قاصدين البيت الحرام في مكة المكرمة أن يوقف الركب عند الحديدية ، فلما توقفوا عندها ترجل الرجل وقبض

(١) جريدة "البلاد السعودية" ١٦ يناير ١٩٥٥ .

(٢) أول فبراير ١٩٥٥ المصدر السابق.

(٣) أحمد فتحي عامر - أهرام ١٤/٤/١٩٩٥ .

من تراب "الحديبية" قبضة فشمها ثم تتم دموعه تنساب على التراب قائلا: والله إنى لأشم رائحة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا التراب الطاهر"، وهذا (مرافقه) من روع الدكتور على مدى نصف الساعة من الراحة، ثم استمر الركب حتى دخل الحرم من باب السلام، والدكتور لا يكاد يخفى زلزلة إيمانه عن رفيقه، وتوجهها إلى الكعبة فتسلم الحجر وقبله باكيا، واستمر يطوف ويسعى في خشوع ضارع، وبكاء خفي حتى أتم عمرته، وقد أخذ منه الإرهاق النفسى أكثر من البدنى كل مأخذ".

وقد تحدث عن تلك اللحظات الروحية الرائعة فى حياة طه حسين، صديقه الشيخ أمين الخولى الذى كان رئيسا للوفد المصرى فى اللجنة الثقافية التى رأسها طه حسين، وكان صاحبه فى رحلة العمرة، فحين^(١) "استلم طه حسين الحجر الأسود ظل يتنهد ويكى ويقبل الحجر حتى وقفت مواكب الحجيج (يقصد المعتمرين) انتظارا لأن يغادر هذا الأديب الكبير المكشوف مكانه، ولكنه أطال البكاء والتنهد والتقبل، ونسى نفسه فتركه فى مكانه، وأجهشوا معه فى البكاء والتنهد".

مسيحية تبكى بين يدي طه

ولعل خير من يعبر عن تلك اللحظات الروحية طه حسين نفسه حين أفضى بها للشاعر كامل الشناوى فقال^(٢) :

"لقد سبق أن عشت بفكرى، وقلبي فى هذه الأماكن المقدسة زهاء عشرين عاما، منذ بدأت أكتب "على هامش السيرة" حتى الآن، ولما زرت مكة والمدينة، أحسست أنى أعيش بفكرى وقلبي، وجسدى جميعا. عشت بعقلي الباطن وعقلي الواعى، استعدت كل ذكرياتي القديمة. ومنها ما هو من صميم التاريخ، ومنها ما هو من صميم العقيدة. وكانت الذكريات تختلط بواقعى، فتبدو حقائق حينا، ورموزا حينا، وكان الشعور بها يغمرنى، ويملاً جوانب نفسى "كنت دائما فى كامل وعيى. أخذتنى الرهبة والخشية والخشوع كل مأخذ عندما كنت وحدى". ويضيف واصفا رحلته الوحيدة إلى الأماكن المقدسة "وكننت فى هذه المرة الواحدة مع الناس ومع نفسى فى وقت واحد".

(١) عبد المنعم شمس - مجلة الجديد ١٥ يونيو ١٩٧٧.

(٢) آخر ساعة بأوراق طه دون تاريخ.

"ولقد جرت العادة عندما يصل المرء إلى الكعبة، أو المسجد الحرام أن يتسلمه طائفة من الناس يسمون في مكة "بالمطوفين" أى الذين يقومون بإجراءات الطواف بالكعبة ، ويسمون فى المدينة "بالمزورين" أى الذين يقومون بإجراءات الزيارة لقبر الرسول عليه السلام. وقد حاولت جهدى أن أتخلص من المطوفين والمزورين. ولكن محاولتى ذهبت هباء ووجدتني بين أيديهم أردد بلاوعى ما يقولونه. ووجدتني فى الوقت نفسه وحدى وإن كنت فى صحبتهم.. كنت شخصية واعية بلا كلام.. وشخصية متكلمة بلاوعى..

كانت الشخصية المتكلمة بلاوعى تردد كلام المطوفين والمزورين.. وكانت الشخصية الواعية بلا كلام تناجى ربها فى صدق وصمت وخشوع".

"قلت له سبحانه:

"اللهم لك الحمد . أنت نور السموات والأرض. ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض. ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فىهن . أنت الحق، ووعدك الحق، والجنة حق. والنار حق. والنبيون حق. والساعة حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت ، وعليك توكلت، وإليك أنبت . وبك خاصمت، وإليك حاكمت . فاغفرلى ما قدمت وأخرت ، وما أسررت وما أعلنت . أنت إلهى، لا إله إلا أنت" وهذا الدعاء "أحفظه منذ زمن بعيد، وهو من أصح ما روى من الحديث عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم" و"دائما أناجى ربي بهذا الدعاء".

وعندما سأله كامل الشناوى هل خاطبت به ربك علنا؟

فقال: أنا إذا ما خاطبت ربي ناجيته ، وقد سبق أن أذعت هذا الدعاء "عام ١٩٥٩" فى فلورنسا "باللغة الفرنسية فى مؤتمر الحضارة المسيحية.. ولم أكد انتهى من إلقاء هذا الدعاء، حتى دوت قاعة المؤتمر بتصفيق شديد. وجاءتنى سيدة مسيحية، وقالت لى وهى تبكى: خذ دموعى وإعجابى وبلغها للإسلام الذى أحبه كثيرا. فقلت لها: لا داعى للدموع.. إعجابك يكفى".

يبين طه والشعراوى

وقد كان الشيخ الشعراوى حاضرا هناك فى الأراضى المقدسة ، فى استقبال طه حسين ، فقد كان محمد متولى الشعراوى يعمل بمكة المكرمة أستاذا فى كلية الشريعة ضمن البعثة التعليمية المصرية هناك، وأناط به زملاؤه وأصدقائه من أعضاء البعثة أن يقدمهم لتكريم طه حسين ، وقد

طلبتُ من المرحوم الشيخ الشعراوي قبل أن يحدثني عن ذكرياته مع طه حسين في الأراضى المقدسة . أن يعود بذكرياته حينما سمع باسم طه حسين لأول مرة ، فقال^(١) "سمعت عنه وأنا طالب صغير لأنه كان مثلما يقولون "عميد الأدب العربي" ، وكنا مولعين بتتبع الأدباء، نقرأ لهم، لعلنا نستطيع تكوين همزة لغوية لأنفسنا، وأسوة لغوية في الأسلوب، فكان طه حسين من هذا النوع لتمييزه بالعرض الفاهم وسلاسة الأداء، فلم يكن يأتي بالمعاني المعقدة ليدخلها في آذان الناس، لكنه كان يترك المعاني حتى تختمر لديه ثم تخرج للناس يسيرة سهلة بشكل طبيعي، بعكس كتاب آخرين كانوا يتعجلون ظهور أفكارهم إلى الناس قبل أن تنتضج في عقولهم وفي نفوسهم فيأتى عرضها بشكل ليس بسيطاً ولا سهلاً، فكنا مثلاً نقرأ للعقاد الذى كان مشتركاً في المكتبات العالمية التى توافيه بأحدث كتبها قبل أن تصل إلى الناس، فتكون لديه أفكار جديدة لا ينتظر حتى يهضمها، فيذيعها على الناس فيكون فيها شئ من عسر الفهم.

أيضاً عاصرنا صادق الرافعى وكان أسلوبه جامداً ولكنه جزل سهل، أما طه حسين فكان سلس الأسلوب كالمفلوطى ، فاستهوانا أسلوبه.

وعندما كبرنا بعض الشئ، وشغلنا إلى جانب أسلوب طه بمواقفه من الأزهر وبعض قضايا الإسلام، ظهر عندنا بالنسبة له وجدانين اثنين، وجدان إعجاب بلغته وأسلوبه، وجدان آخر تكون لدينا بسبب كتابه فى الشعر الجاهلى، ولما كبرنا أكثر وجدنا طه حسين عالماً من أعلام الوفاء، وبلدنا كلها وفدية، فاجتمع مع حبنا لأسلوبه ، حيناً لوفديته، فصار له فى نفوسنا مزيج "مليخبط" لذلك عندما قدمنى المصريون للاحتفال بطه حسين فى مكة، أردت تحيته بقصيدة ، ودعوت الله أن يعيننى على أن أوفى طه حسين حقه فيما له، وأمسك "أذنه" فيما عليه"

وعندما عرضنا قصيدة الشعراوي عليه فى الترحيب بطه حسين طلب منى نسخة منها لولا أن القدر كان أسبق منى إليه، وهذه هى القصيدة التى تنشر هنا كاملة لأول مرة كما نقلناها عن الشيخ الشعراوي بخط يده.

بسم الله الرحمن الرحيم

حى وفد النهى وركب الرجاء وتنظر ياشرق بعث العلاء
شمر العرب أجمعون عن السا ق وهب زيا للبغيه البيضاء
يا ركاب المنى وصالك أضحى قاب قوسين من منبع الحباء
أخذ الغرب منك يا شرق ليلى وهى لا ترنجى بعذب النداء

(١) حديث للشعراوي مع المؤلف بمنزله بالهرم فى ١٠ إبريل ١٩٩٧.

وهى لو لم تكن سببا لآبت
كلما آنتست من الشرق صوتا
ومباني الأصوات دون المعاني
لا تلموموا ليلى فإن ذويها
اطمئنى نفس الغيور فهذى
زيدوا وحدة تغار على الم
نحن شعب موحد لا شعوب
جمعته الدنيا على لغة الضا
اطمئنى نفس الغيور فإننا
واحدى قد رأيت جامعة العر
رأت العلم أصل كل ارتباط
وحدت هذه الشعوب فهو ما
وإذا ما العقول كانت سواء
اطمئنى نفس الغيور وكونى
ياحدة الآمال بالله زيدوا
وثقوا بالئنى فإن زمام ال
هو طه فى خير كل قديم
وهو غربى كل فكر حلال
كرموا وكرموا العلم لما
فعلها مدار كل نهوض
يا عميد البيان أنت زعيم
وإذا القوس أعطيت من براها
لك فى العلم مبدأ طحسنى
يجعل العلم للرعية جمعا

فمن الغبن أن يوفر قوت
 لك أيد على المعلم في مصد
 وقرت مهنة المعلم حتى
 وهوان التعليم في أى شعب
 يا فريد الأسلوب قد صبغته من
 كلمات كأنهن الفوانى
 مشرقات ما انقطن إلا لظه
 كم قديم جلوته فتبدي
 لفت الناشئين للأدب الضخ
 بك عزت حكومة النقد حتى
 ومن النقد فاض كل بيان
 وجمال الإسلام في وعدك الح
 صور لا تكون في غير حق
 وثبات إلى العلالا وثبات
 هامش السيرة الحبيبة فيه
 فهو في الأذن معبدى خفيف
 وهو عن نعمة البيان زكاة
 ركب طه حياك في بلد اللد
 هي رمز لوحدة الناس في القصص
 وإذا العقل لم يعلل لشيء
 وإذا المعجزات أفتعن عقلا
 خير ما يعبد الإله به الغي
 ركب طه حيثك زمزم تسقى
 لك في حفرها حديث شهى

لجسوم والروح دون غذاء
 ر أراحست عنه عنيف العناء
 صيرتها رسالة الأنبياء
 أن يرى غارسوه كالأجراء
 نغم ساحر شجى الغناء
 يترقرن في شفيف الكساء
 صاغها الفن من حروف الضياء
 رائعا في تواضع الكبرياء
 م وجللى ملاحم اليبداء
 رهبتها صناعة الإنشاء
 ومن النقد غاض كل هراء
 ق تجلى فيه جلال الفداء
 خلدها مصارع الشهداء
 هازئ بالنيكال والإغراء
 تتغنى سمحة الإنباء
 وثقيل الميزان يوم الجزاء
 ولهذا أدركت سر النماء
 ه جلال للكعبة السماء
 د وربسى في مطلق الأنحاء
 فمن النص علة الأشياء
 حق ما مهدن دون امتزاء
 ب وفيه معارج الأتقياء
 كل ضيف لسه أروع ماء
 وهو مغنيك عن طويل الرشاء

ركب طه هنا مطالع طه
كل أرجائها جلالات ذكرى
والتحايا له صلاة عليه
قل لطفه قلوب شعب سعود
كل قلب فيه مباحج عرس
قل لطفه آذان شعب سعود
عشقهم بالعقول والعشق بالعقد
قل لطفه جميع شعوب سعود
سال بالبرق والبريد رجاء
فأجبههم فالمسلمون جميعا
وهموا آملون أن ينعموا منس
حسب طه إن استقل بيانا
قم فيشر في الغرب بالدعوة الح
حسب طه من دهره عن مولا
يا سيدي إن لي إليك رجاء
أنشروا العلم ما استطعتم سيلا
وأعدوا به لهم ما استطعتم
حين صار الحديد بأس البرايا
واجعلوا العلم للحياتين تنهل
فكما رفعت حياة فناء
كل علم بظاهر من حياة
ها هنا بعنة الكنانة للبي
هي في أهلها ومن وطن الرو
عنصراها من أزهرى المعاني

وانبثاق الشريعة السمحاء
لهدى الله خاتم الأنبياء
وسلام قد زكيا باقتداء
خفقت خفقة طروب الولاء
خلعت بشرها على الأرجاء
مرهفات للحن جد ظماء
ل يرى قصره على النبءاء
ترجمت عنه لفظة القراء
"المصريف" الصحيفة الغراء
في اشتياق لأسعد الأنبياء
ك بأثار عمرة بلقاء
أن يشيع القرآن في الأنحاء
ق دعاء لله أي دعاء
ه إذا فاز واحد باهتداء
في الذي قد حملت من أعباء
فيه لا تذل للأعداء
إن حق الحياة للأقوياء
لم يعد في الأسود أي غناء
من رحيقيه أمة الخنفاء
هكذا رفهوا حياة البقاء
فهو علم مهما سما لانتهاء
ت تؤدي ضريبة العلماء
ح نواه ما عد في الغرباء
قد تلاقى بجامعي السناء

إنها لا ترى لصبر نهوضا
 وهنا القلب إن يصير قويا
 وهنا نهضة يد الله فيها
 إن يفتها أبو سعود عطوفا
 رحم الله والدا راشديا
 وأدام الله آل سعود
 حسب الملك في الشعوب يجلي
 قدروا العلم قدره فعرفنا
 سدّد الله خطو فهد وأرسي
 فاسمُ يا علم ما استطعت سموا
 فبال الشيخ استقمت اتجاها
 خلفاء الإمام في الدعوة الحـ
 فينجد يسوس حزم وقور
 والثقافات حين يجرسها الديـ
 وهي للدين عدة تشرح الكو
 يا عميد البيان لا تحرم الأز
 لست أنس في العلم أيدي قوم
 سجلا لابن مانع وجنا جيش
 وإذا ما الجديد بان رفيعا
 وأناديك يا أمين وهذا بعض
 حسبه أن يظل في عمر الدهـ
 فأعينوا برأيكم وأشيروا
 فعلى رأسه مثقف عزب
 هو شيخ قد جمع الله فيه
 يلتقى فيه محدث وقديم

أو ترى العرب كلهم في ارتقاء
 نشط الجسم من غزير الدماء
 من كداء أساسها وحرءاء
 فسعود لها أعز بقضاء
 وتولى رعاية الأبناء
 سعداء في أمة سعداء
 فالرعايا صارت مرايا الرعاء
 في هسواه وزارة الأمراء
 عمد العلم أيما إرساء
 فالمرآقي من همّة الأكفاء
 صافيا من شوائب الأهواء
 ق وفيهم صرامة الرقباء
 وبأرض الحجاز عزم الفتاء
 ن لها عصمة من الأخطاء
 ن فتعنسوا لقدرة البنساء
 هر عوننا بصائب الآراء
 خدموه بهمة وذكاء
 ه جهودا سنية الآلاء
 فعلى أصل بنية القدماء
 ما يرتجي من الأمناء
 ر هدى القرآن خير وعاء
 وابعثوا منه باهر الأضواء
 لا يرجي له سوى السراء
 ما يريد الطموح من إرضاء
 في جلاليهما أعز التقاء

قد سألنا بالله فى بلد الله به فلبوا جلال هذا النداء
 كم سقيم من نبعته فاذكروه ذاك بر الأبيساء بالآبيساء
 واصرفوا الناس عن مثار جدال فى مزايا شكلية الأزياء
 فكأن النهوض لا يتربى بين حدى عمامة وقباء
 شغلوا بالإنساء والبحث أولى يا هواة العلا بما فى الإنساء
 وفد مصر منا إليها تحايا ورعات مقدسات الصفاء
 فاحملوها من جيرة الله نفحا يتهادى للشورة البيضاء
 وحى الله عصبية فزعتنا فدعتها للصبغة الحمراء
 يا ولاة الأمور حسبكم الله معينا على تمام البناء
 كان فى الاحتلال أعذار قوم فتولى لا عذر بعد الجلاء
 قل لليلى لا تأسى قد خطونا وعلى الله أمر ذاك اللقاء

٢٤ جمادى الأولى ١٣٧٤

محمد متولى الشعراوى

١٨ يناير ١٩٥٥

عضو بعثة الأزهر بالمملكة العربية السعودية

رد طه حسين

أما كيف كان صدى هذه القصيدة على طه حسين، فلدينا فى ذلك مصدران، الصحف
 السعودية آنذاك، والشيخ الشعراوى نفسه، أما الصحف السعودية فقد أوردت رد د. طه حسين
 على المختلفين به ومنهم الشعراوى وقصيدته، فقال موجهاً عتابه إلى^(١) "الزملاء المواطنين من
 المصريين فقد أكثروا واشتطوا وأسرفوا على أنفسهم وعلى الناس حتى ذكرونى بيتين قديمين أرجو
 ألا يصدقا عليهم:

أهى بنى تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذكان أولهم يا للرجال لشعر غير مسؤوم

"دعوا أخاكم هذا الضعيف وما قدم إليكم من خير قليل، واصنعوا خيراً مما صنع، وأخطر مما

(١) البلاد السعودية ٢٠ يناير ١٩٥٥.

صنع، وأريخوه من إطالة الثناء لأنها تخجله وتشعره بأنه يسمع ما ليس له الحق فيه، ومع ذلك فإن طه حسين يضيف "أكرر لهم شكرى وثنائى وتحيتى واعتذارى إذا لم استطع ولن أستطيع أن أرد إليهم بعض ما أنا مدين لهم به من الشكر، والأمر بينهم وبينى لا ينبغي أن يقف عند تعارض الثناء والشكر، فإنهم يعلمون أننى لا أرضى ذلك ولا أحبه".

"وليذكروا أنهم فى هذه البلاد يمثلون وطنهم ويمثلون حب وطنهم هذه البلاد، ويمثلون استجابة وطنهم للداعى العروبة كلما دعت، ويمثلون حرص تلك البلاد على أن لا تؤثر نفسها بشئ، وعلى أن لا تستعلى فى الأرض، وعلى أن لا تعيش وحيدة معزلة، وإنما هى تشعر بالعزة إن عز إخوانها، وتشعر بالثقافة والعلم إن تثقف إخوانها وتعلموا، تشعر بذلك مخلصة صادقة. شعرت به دائما منذ أقدم العصور، لم تقصر فى أداء واجبها هذا للإنسانية فى وقت من الأوقات، وهى لا تفعل هذا تفضلا ولا تطولا ولكنها تراها الحق كل الحق وتؤمن فيما بينها وبين نفسها بأنها لم توجد لتعيش لنفسها، وإنما وجدت لتعيش لخيراتها وإخوانها وللإنسانية".

"ويجب أن يقدروا كذلك أنهم فى هذه البلاد ليسوا رسل وطنهم وحده ولكنهم قبل كل شئ وفوق كل شئ رسل الإسلام الذى حملهم أمانة الخير فاحتملوها. ويجب عليهم أن يحملوها كراما. ويجب عليهم أن يؤدوا هذه الأمانة إلى أهلها، فالله يأمر الناس بأن يؤدوا الأمانات إلى أهلها".

ويقول الشيخ الشعراوى^(٢) "إن القصيدة أعجبت طه حسين وأعجبت كل الموجودين، وكان له تعليق على كل بيت فيها، حتى أنه قال "لو لم يكن فى حياتى من تكريم سوى هذه الأبيات لكفتنى".

من الشعراوى إلى طه بخط يده

ويعطينا الشيخ الشعراوى درسا إيمانيا بالغ الأهمية فى ضرورة ألا نحاسب المفكرين على بداياتهم وألا نجعل هذه البدايات سيفا مسلطا عليهم فى حياتهم وبعد مماتهم، لأنهم قد تجاوزها بما هو أكثر يقينا وإيمانا، ومنهم د. طه حسين، فيقول^(٣):

(٢) من حديثه للمؤلف.

(٣) من كتاب "الشعراوى الداعية المجدد" للمؤلف - دار الضياء ١٩٩٢.

"علينا ألا نأخذ الناس بما كانوا عليه في بدء حياتهم وإنما يجب أن نؤاخذهم بما انتهت عليه حياتهم. وأذكر أننا ونحن في بدايات حياتنا التعليمية كنا ندرس أدب وشعر أبي العلاء المعرى والمنتبى، فوجدنا بأشعارهما بعض الإلحاديات ، فزهدنا فى المعرى والمنتبى ، فمثلا يقول المعرى "تخطمنا حتى كأننا زجاج، ولكن لا يعاد لنا سبك". فالمعرى هنا ينكر يوم القيامة، وفي رأيه أن الزمن يفينا ولا يعاد لنا بعث؟ فلما ابتعدنا عن أصحاب هذا الشعر الإلحادى، جاء لنا ذات يوم صديق هو الشيخ "فهى عبد اللطيف"، وقال لى : لقد رأيت المعرى فى المنام هذه الليلة وهو غاضب منك لأنك جفوته" ! فقلت لصديقى : لابد أن نعيد معرفتنا بالمعرى، فوجدنا للرجل عذرا معنا وله حق أن يغضب منا، لأننا عندما رحنا نقرا شعره الذى قاله بعد ذلك وجدناه قد راجع نفسه وعاد يعترف بالبعث والقيامة ، فيقول:

زعم النجم والطبيب كلاهما: لا تحشر الأجساد. قلت إليكما إن صح قولكما فلسنت بخاسر، وإن صح قولى فالحسار عليكما. فما قاله المعرى فى بدايات حياته من إلحاديات (كان) نتيجة لما يعيشه من حالة الشك التى أوصلته فيما بعد إلى اليقين والإيمان الراسخ العميق.

وهكذا يتبين لنا أن آفة أصحاب الفكر أنهم يسجلون كل خاطر لهم ، والناس لا ينظرون للمناسبات والأوقات التى قيلت فيها هذه الخواطر والأفكار، ويففلون عما انتهت إليه الخواطر والأفكار فى النهاية.

لذلك فعميد الأدب العربى د. طه حسين وغيره، كالدكتور مصطفى محمود، بدأوا حياتهم الفكرية متشككين ثم انتهوا إلى الهدى واليقين ، ولهذا يجب ألا نحاسبهم ونؤاخذهم على أوليات خواطرهم وما كتبوه فى مرحلة الشك ، لأنهم بعد ذلك ثبت إيمانهم وكتبوا فى الإسلام وعنه كأفضل ما يكون، فقد انتهت حياتهم إلى التوبة والصلاح". وقد أكد الشيخ الشعراوى رأيه عندما طلبت منه أن يكتب بخط يده كلمات يختتم بها حديثه معى عن طه حسين، فكتب يقول:

وخير تكريم لطه أن أسأل الله النفع لكل من أخذ عنه وقرأ له حتى يتصل خير عطائه لكل أبناء العروبة إلى أن تقوم الساعة، رحمة وجزاء عما قدم للغة القرآن.

محمد الشعراوى

١٠/٤/١٩٩٧م



إصدارات أدبية
للمؤلف إبراهيم عبد العزيز
الكاتب الصحفي بمجلة الإذاعة والتلفزيون

- ١- رحلة في عقول مصرية - ١٩٩١ هيئة الكتاب.
- ٢- رسائل خاصة جدا - ١٩٩٢ كتاب اليوم.
- ٣- الملف الشخصي لتوفيق الحكيم - ١٩٩٢ دار المعارف.
- ٤- يحيى حقى .. ذكريات مطوية (مشترك مع نهى حقى) ١٩٩٣ دار سعاد الصباح.
- ٥- رسائل يحيى حقى إلى ابنته (مشترك مع نهى حقى) ١٩٩٦ هيئة الكتاب.
- ٦- أوراق مجهولة للدكتور طه حسين - ١٩٩٧ دار المعارف.
- ٧- أيام العمر .. رسائل خاصة بين طه حسين وتوفيق الحكيم - ١٩٩٧ هيئة الكتاب.
- ٨- أشعار توفيق الحكيم - ١٩٩٨ دار قباء.
- ٩- رسائل طه حسين - ١٩٩٩ ميريت للنشر والمعلومات.

تحت الطبع

*في براح الفكر للدكتور حسين فوزى (كتاب لم ينشر للسندباد).

نصوص مختارة من بعض الرسائل

مدى متواجبه المال مدير الجامعة العربية

اشرف بانه ارفع الى معاليكم انه طلابا من غير
كلية الادب في اقاموا مجالس اليوم من الكلية جماعات فاشتكوا
مجمعات المدرس واعانوا الاساتذة واعتدوا بالنزب عن الطلاب
واذوا اللواتي به به جيب انه ترفع عنه الاسفة الترتيبية
وانادوا بتسوية العميد وهمرا على نرفته . ونفرتوا به ذلك دونه
انه نفس الجامعة بحماية الكلية او ردهم فكل
ولم يصدر هذا الدوام ما اتير من لفظ عدوك كتابيه
مقرا من قسم اللغة الانجليزية .

معاليكم تلمذيه انه بلسه الكلية تدنظر في هذا
الامر وراى انه ليس فيما يدرك في الكلية لا يبرمج التعمير
الدينى اريزون الاسلام اربال من شتى الشى هلمم
وقد رفضت الكلية في ذلك الحكم تنويرا فباتوه وسبائهم
مراقتكم عليه وتفاستكم مع اساتذة الكلية .

على ان رأت اليوم صبه التقينا عند معالي الوزير انكم
تدبرتم رأيكم وقبلتم انه تنخر تراوة اللتايبه نظرا للظروفه .
وكنته انكم ان اول شىء فانت تيب العناية به هو حماية الكلية
من الدوام وصيانة المقدمه على وتعليه الاساتذة والطلاب
من اداء واجبه العلم .

لهذا كله ارجد انه تظفوا نرفنوا الى معالي الوزير
استتالته من ضلب العميد وانا اللبح مستعد لاداء واجبات
الاستاذ كل يوم بين الاساتذة والطلاب في كلية الادب
من مثل الدوام الاى من كل اليوم
وتظفوا بتقول تسمين واجبارك



١٩٤٩
١٠ مارس

من يتردد على
 الخبيث والخبثاء والذين هم في الجحيم والذين هم في النار
 انه يجدوا فيهم صفتهم من الرأفة والشفقة ما يتردد فيكم كما فينا وصوت وسعادة . ولعل
 أخلاقنا مغلقة واحول اليكم قريبا فقد انبأتموه انه انتم من اول بيوتكم مصر بهم ١٧
 الجارحة والله انه راضع ما شرفه اليه ليددعه طيبه يا ربس . انما انما نعت
 بالوكتديت مع زوجتي في سدة استأجرها وقد وجدنا والحمد لله قطعنا هذا
 الصفة السوادع وخبثا بنقل البرهونه وبسببنا الفاضلة الروثا فوه ربه
 لتسرفه في البرمه طيب والبرهونه الثاروت والسفاهوت الروثا
 وقد هذا سببا دوما واخطا . وهذا لظوم آخره العايفه الوثا .
 ويصح العايفه ثانيا من ايد جرح . وكما نجد والله .

لقد سدت قبرا انتم خلقت بيالك وسدت اقداركم كئيب اليه والخبث
 هذاه عيبك ونحكيت دلوك وخطاك وصوابك ولا ما كئيب ونكرت لك دهان
 زونا من هذه الوثا يستدعي انه شكره اليك واحما به كيم وسعده من انك
 احضت فكرتكم وكئيب اليه لوسلمتكم من حما لثقتكم على بعضه ما كئيب فوه خطاك
 لولا اننا قد سدت بهذا المفوض ام الشرح قد اذنت اليه خطبته منه الزمان الوثا
 ان سده الرهني المده . ونحن نعلم انكم ارجوا له النجاة المبرزة اخرج الناس من راسه
 بما لكم اذ ينشدكم واليه من اذ السماع المبرج والشعبه ولكه الذي بينه على هذه
 الصفا نحوكم بنوه نفوسنا على حب الخوف والمجد واستكراه المده والسراج
 فانظروا في اسباب هذه الفلانة كبر ما به الزمانه الملهة في الوثا

الذي يا سده حيت نماره ولوشه
 لأنه كنت لوشه نكثت مصعبا وانه لك لوشه المصعبا
 نكرت هذه اسبابا فرفب انما حيت اذا الفلانة وانا انك نكثت المصعبا
 والسلام عليكم ورحمة الله
 مصعبا لرازم
 ٨ أغسطس ١٩٢١ بالبريد
 مصعبا لرازم

وطلبوا منه عدليه باشا انه يكد دلهم موعدا
يلقا لهم فيه فابلغهم انه ستمد لقا بلتة شينج
البرامع وحده، وسفنا انه قال للشينج اننا
الذرية فو حكومة دستورية، تسيرها قوانينه
ولانتمى عليها ارادة الشينج.

لكم كوكب الشرحه بقى وحده يبدى وليه
فى الرد عم الكتاب بقلم مصطفى صلاحه الراضى
بذل حدثت بعدنا تطورات اخرى؟

ولتأرى يا سابعه تسفرى عمه الكتابة
الى البرائه فو هذه الزيا عمه مشورة شروت باشا
وهل جاء شروت باشا الى اوروبا؟ فقد كفته

أعلم قبل سفرى انه حديثه المجهى بحر م
فى اوانل الخطن

فواكس بعضه المصريين بل انه معونه
الفتنه منهم نساوا ورجالا للشينج بعينه
عمه صفراء وهؤلاء وكانته معنا اميرتاه اما
اهد الفاضلاب فو غيبته واما اللوغرى فشاب
الى حد ما ولكننا اقل ميمته، وقد مضت الى باريس
مدي قبل انه اتعرف اليها، كما كنا كتب علينا انه لا نرجع
مدي تلك العائنه الامة ما فخرنا، ولتذهب الى الامانه روضه
وسلام عليكم جميعا ونحيات زالكياتة ومدي حبه الازده

عزيزي حفيظة صاحب لطف الدكتور محمد حبيب
تمة مهارته كريمة لك وللسيد المرتد من يدك
الذي انما هو ان شاء الله وبعد فقد تلقيت رسالتك الطاهرة
بما انك تكونت لسيدي اكرم الدكتور مندور من تراخي كبار
الجماعة الوديعة في افضائية باسم وان اؤكد لك ان
لم اتداه لحظة واحدة عن تتبع هذه المسألة والاهتمام بها
وان كنت كتابت اقولت حقيقة الاستاذ محمد سليمان غلام
سيكون من مقدرة هفتات الجماعة عند نظر المعارف لقاره
وتدور ارض له تباينواعه تأدية واجههم نحو الدكتور مندور
هذا وان انتزعت هذه لفضله فاجيبه تمة تمتدجه
بإدائه الترتيب على ما تدبى يرعتك من مقالات القاصحة
بهداية لادنة اللغز ودقة الحفن وسرعة البديهة في تلتف
تمة الحقائق وتبصير الرأي لعام بما ورا الاستمار
وليس يجيد مع محمد مندور لفضله انه نرى له كل يوم
صحة انشغالات وتلك الايات البينات
صلى الله عليك وبارك فيك وسقك بما تحب وترضاه
وتقبل وان تحياتي المحذرة

بصفتك

١٩٤٦

محمد بن عبد الوهاب

سيدي الأستاذ

تحية واحدا ما ربيد
فوجدت في الجامعة لفضله لقائكم ولكني
أسف لعدم وجودكم وقد وصلني أمر
خطاب من الدكتور براده الذي اتفقت
على احياء حفلة مساء الجمعة بالقرية
وما كنت أدري أنه أحدا تكلم معي بشأنه
تأجيل تلك الحفلة إلا أنس من شهر
تكلمت بالثمنه رأيت أن أرسل اليك خطابي
لهذا التقلوا مبلغ اعراس مركزي مع تقديم
اسم مع جرات شهيته تلك الحفلة
التأدية فتفضلوا بقبولها كما هي
في الحفلة

بسمه

أهـم العزیز

أما إذا لم تشكك عنى ظهوره الحياة في صغر فانت تلومنى لله
 أعطأت في الكتابة اليك، وأما إذا شكك الله وجه النزل في السر
 أوله الليل والنوم منه هذا وذلك فانت تكلمت منه عهده إلى
 جهده وشكك منى أفضل إلى اجباره. وأنا قابل صلحك كمد
 الأصريرة ففقط سرها سعد بانه تكلمت كغيره أو بانه امر
 على خفا فله من سرنا سرنا. وإذا كنت لم أكتب الله فلا بد الأيام
 التي تضيئ في بابي إلى الأبد كانت صفحة بجانيل الأعمال وتبائن ما
 به اختلاف إلى السورج والكويل من نرس والاوليزة والكوس
 نرس نرس والأدبر والمعره وما تملك من كلكه من كلكه
 الإحتمال من الإعياء التي أقيمت للكويل من نرس. وكنت أترك
 زان لا في له أله أله الوقت للكتابة لك. أما الأبد وقد كنت
 من كلكه فما هو انه تتصل لك كتي حتى نقلو منه كتر تل
 ركه من اخذ انه تظل هذه الكت من غير جواب. ولست أطلب
 لكل كتاب هو يا وإنما أطلب هو لكل كتابه. وهذا الكتاب هو
 الثاني فقد كتبت لك من ستر في إيطاليا وأجبت انه
 تامله من ان ليس أقل منك عملا في يدى عملائى
 تريد انه تملك وتمت يريد ان يكتب للكويل وملاعت باريس منى
 ولست متفرها في الأقاليم أقل منى الغراء وما تترك على كل
 هذا فستطو ان تأخذ في الأسبوع نصف ساعة من عومده

أبراهيم ولسه
 ذلك أنا كنا ضد صرة المنزلة والمكة الذير بحسب الشئنة
 أريه كونا فذكرنا أساء تم افترنا. ورضى على ذلك وقت
 طرقت تم من الباشا صرائى ومن تحدث إلى مرصا فقطع عيشها
 تأملنا كزوجهى: لقد نيتى يا سبيك أمك المكة. تألت منى
 تال: محب. ولست أذكر لك ان سرت سعد انه بنى الجواب
 ولدتى: أجدى الله أحتسب الخالصة وأرجه. انه تتصل منى
 تحب انت وجهه تعرف ما استحل عليه من سب. وأطاع.

بسمه
 بريه تحية
 نجيب بة الرمال

طبريز الاصل

ديتاجو رسترايام . الله انه انهم من العيش في ارائل يوسيو وانه يتوجه مجيب
بها من الصنف حتى يتكلمه كمد من الميبي كنيا صيفا فيعتاد الطقس
والاصغر واللغز وديبياً عمدا اول العام غير متحول لكل هذه المشاهد .
فزال لي انه المحرم في هذا . اذا كانه لديه لي انه ابينه الاسباب فزي
بكل صراحة اني لداريد البناء كذا اكثر من آفر سيقبر وليس هناك
ان دايه انه اظن مسوية على ابعده صيفا دونه اي عمل ما دوت
سأعود متى بدأ العمل الي مصر . اليس هذا عدل وحقا . فاذا اردت
اسبابا الا اقتناعا اداريا فانه الاستاذ في منبجه الذي هبت منه
اجله اوله مريض قد اعتزل العمل في السربونه ولسه لا يقوى على اي
معمل ولا ابرز انه اطلبه منه مسامحة لانه كذا . تطهيراً للمرضه
نحب من لبعده مما اتانية كما اسلنته لك .

كله اس انه ادرك في الصنف فتفقدت مويلا مما ارصد
عنتا انه امتلك فيه فوك ياتري ستمسح لنا الظروف بذلك . ارصد ذلك
كما ارصدك انه تقبل مني احتراماً وافلاص وانه قبلخ السيدة الكريمة
عبي وودى وانه قبلخ كرميليه اخصيه قمتياتي لولم انه يسهل الله
السعادة والسعد اوله وانه يتنجح في امتحاناتها اشرفه نجاح واضنه ثانياً .

-لميفيك
الغلاصا

و خير تَكريم لطفه آمل ان الله
المنع لكل من اقد عنه وقراله منه بسهل
من عطاته لكل ابنا، العروب الى ان تقم
الساع، صفة و صفة عما قدم لله لتأدي
المشكورنا

١٠/٤/٥٥٧.٥٥٧

مصيف ساحل البرلس

BRULOS BEACH



تحریراتی ۱۰۰۰ / ۸۶ / ۱۱ / ۱۹۳۱

آری رسید بوند بسبیل

متم و تمیسات طیبه ، وصلتی رسالتك بعدتة ظلمت نفقت سه چه فرسای طغنت جوی کجاری
 الجفاف فی جمیع سناحیه وصلتی حمیه ازینا للعلماء التیك بعد ما حردت مسر و سبتك فی اخترتة فی
 لندی تو اعدنا علیهم ، لکلمه طارت مسی علی کول حتی جینی و بینه ایام علم السامی لولری سناحیه سحریه لولری
 تلقد حال سفری مع سره ابی اللبیر و وده سارعی بالرد ، و زاد ذلک لسانی العنوانه و سر
 فعدتة معه هذا التاخر کله ، و ان ذیل تدفینهم و کرم خلقهم ما یفعل فی و یندر حالتی
 و کرت اولی الیه بوند بسبیل امرای اختیار کردی سه کلامه - کما سینه - و ترکتی لرای ذلک ، و انا
 و هذا اجری غیر حرت سه لولری ، و لیسنه او لولری سه کسویه او کما سینه فعدتة قدر و لولری کرم
 لرتت سنجی و هذه السالک العرفیه فام اعدوا الهما ما دلک آر فیله ما سینه اجمارک فام فعمل ، و انما کلام
 کماله سه ضیاد و ضیالک در دریم ذلرها ، و لولری اری الولا غیرها اعناج ما ، و قد استکت کل
 السجانه ان لم تقف عند هذا ولم تلتفت بل

و ذکرته ایما حیره و انک سه اجدک تغلرفی ، فانا سهه اتم السعاده لبرینا التقلیدیا ظافر بالتم
 ما سینه علی سه جزاء ، و انه ولذة لدرسی و لولری - کما تعرف - لذة و سعاده کانت تلغی جزاء
 بل تری ، و لولری بما عودنا سه نبل و لولری خله ما یجی الولا نه بجزینا او فی الجزاء بل تری
 اتمی اتم تلور و لولری غیر اتم ما یلوه سه صم و طمانینه بال حتی تنال عطایه سه لولری
 سه سه بما تضطرب سه عمل عظیم ذلک لولری ، و انی ارسل الیدیه و انی لولری اطمین
 سه سلام سه سه بوند معلوم
 آسید الخیرکی

يُفْعِدُ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ . وَالذُّنَى لَا يُفْعِلُ إِلَّا
 عَمَامَةً يُسْعِبُ إِلَّا أَنْتُمْ مَعَهُ أُمَّةٌ . وَالذُّنَى
 يَجِدُ نَفْسَهُ الْقَرْمِيَّ مَا يَجْمَعُ مِنَ الْمَجْدِ لَأَنَّ
 ابْنِ أُمِّهِ . بِنِ لَدَى أَكْثَرِ أَيْمَانِ يَهْوُلُوا لِنَهْوِهِ
 وَالْعَمَامَةُ صُلَا أَنَا السُّلْمُ إِلَى السُّلْمِ .

وَقَدْ كُنْتُ ابْنِ أُمِّهِ الْكَرِيمِ أَوْثَرُ لَوْ اسْتَطَعْتُ أَنْ
 اسْتَأْتَفْتُ بِفِيهِ الْمَدِينَةَ لَوْلَا عَلَمِي بِأَنَّ ذَلِكَ يَفْعِدُ
 مَعَهُ مِبَالِسَ الْمَشَافِقَةِ . فَلَمَسْتُ إِذَا خَلَوْتُ
 سَعَى قَرَأْتُ هَذَا الْكُتَابَ وَصَوَّوهُ الْمَامُ بِيَعَهُ
 مَا فِي النَّفْسِ . وَإِذَا رَأَيْتُ تَفَضُّلاً أَنْ
 تَمَّصْتُ لِي سَاعَةً أَخْبَدْتُ لِي بِأَنَّ لِنَفْسِي نَفْسٌ
 هَذَا الْأَمْرُ مَا رَبَّ تَفَضُّلاً كَبِيراً
 دُرُومٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ مِنْهُ الْخَلْفِ
 مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حَمزة

منه الفرائد اهدت للوفد الحجريه
لابرادولاجيس اثنان وبتصانف
عنه وجود حصيده لانه تصيد الرقيم
منه الامم الاكبر ويسميه حصيد البراد
وقد ارضى هذا علماً الأثر عاده
مع كل حال قد اطلت عليه ولكن لم
صليت. وفي الختام تفصيل مني كل تحية
وكل محبة صادق
في ١٩٤٥

Staatliche Museen
ägyptische Abteilung
Berlin
Deutschland.

سیدی الاستاذ العظیم
 أقدم بعه وبتعبه والتعبه والتعبه وأدعوكم بكل عافية وسعادة
 جاء أستاذنا الكريم رأنا في غرات من فخرنا ان شاء الله ومقدمنا ومصادرتنا
 نفسى به من كتب الأبي ابراهيم على ، ومنه عز الشريف ، كتاب سیدی
 ردها ضعف بعه الألام وجهه بعه الغرات فأنشدت مع موبار :
 اذكرونا من ذكركم رب ذكركم قربت من ذكركم
 وليه الشكر العظيم مع هذه الذكرى .

وبه فانه ما سببوه مكره العام الماضي كانت صدقا ولكن عدت ام عام
 انقلب الاستاذ ام ما عا عليه فانقلب الصوره كذبا وقد سرى امر خسرنا يعرف
 در بخت الاستاذ به الصديقين . وفي كلمة الأرباب هذا العام أخبار وأخبار وما
 معنا أنه نرسن بالآيات الأبرار نذب بل يؤدولوم " وستعلم حبه تقدم أتي لا
 أردت لأرسن .

ضانه حينا نرسه الاجازة ولا أزان ناصبا ، دا قصر ما رجوه انه انظر
 بأسيو حبه قبل به در الاستاذ فادع ام انه نغفرني بها .
 ثم أختتم بتعازر التهنه والتسليم وتقديم أذو الشكر .

المخلص
 عبدالصاحب خان

١٩٢١

بسم الله الرحمن الرحيم
أنا رسول الله وأتينا على أتم استعداد للخدمة التي صدرت إذا كانت لخدمة
نبي على أنه أقول كلمة الحق في سبيل رجل أئمة به له بما لا قبل
في بوقائه وأمره دليل على ذلك هو أن لم ألقه بالكلية أن من
أرسلت مقالة الجريدة أيا كانت من غير دليل أو غير ما
وعندنا لا من هي كلمة الأديان ومنه محمد صالح ومنذ يومه أريدت
لنفس الجريدة مقالة أخرى عنه استغلال الجاهل أو ترويت
في نشر الحوادث بخاصة ولا ربه بصحاح الحق تدعى في آياته
والكلمة وترى من غيركم

وقد أيا من يرب ذنوبه بقدره وأخطا بوجهه
حتى به ~~صلى~~ يشاء الذي لنا لأستفترجه من هذا
المرحلة الحسية ولكنه لا تأسؤا لا تحزنوا من قولكم الكلمة
لنا كذا على منه وثنا من رزقنا فغدا يرويه ونسب ذنوبه
فانصر على ضميرهم فليدعوا حق يأتى اليوم الذي نستطيع أنه نعمل
فيه لتبنيت دعائهم العدل والحرية وعندئذ نضع على أعينهم قورا مستنة
لا انفكاك لها إلا أن نرسل إليهم في الاعتماد على احدنا أي التوبة
فان تاراهنا لا لانزال في مستقبل العمر ولا نزال صرنا غير مسوع فكون
يا أي يوم يرضع فيه بالحقه وأذ ذاك نشرنا لكم من فضل
ونتم ما بدأتم من عمل صالح لتزوي بعينه ما هو واجب علينا
لكم وهو يا أيديا لا أوداه بغير الصبر على محنتكم ولا على
لستم تعلم المحيون لها تزلت بنا منه صروفنا وعلينا من يهينكم لم الجب
واللغز مستقام الام وحيتته من مذور

تأويتُ بالتلفونِ ثلثَ مراتٍ لأطلبُ موعداً للزيارة
لعلني أن الدارَ مزدهرةً دائماً بالزائرين وأنا ابتعدُ عن الأزدحامِ
ولكن التلفونَ طبعاً مشغولٌ لأنَّ تليفونَ العميدِ عميدِ

التلفوناتِ
كم أنا سعيدةٌ بزيارةٍ وبدونِ زيارةٍ! أرجو أن
يعودَ لطفني بكم قريباً إلى الجامعةِ "ليستقرَ الحقُّ في رهايمه"
على نحوِ تفسيرِ كاهنِ أوتريشِي

مع التهنئةِ بعيدِ الفطرِ المباركِ

«مخ»

المصنف لهذا التصريح من جميع الجوانب مع اقتلاع نزع عائل . ثم عاد يفسر الوزراء . إسم
 وعقله من تصريحه بما يأتي : " أنه سوقفه من لم يتقدم ربيد ولكنه سميكونه في الغالب مما نزل
 لسوقفه انما هو " ثم فسره في اثنين بما يأتي : " قدمت بيلة " في الغالب معناه انطلق الصريح
 ومعناها الصريح أنه مما نزل لسوقفنا لسوقفه انما ليست ضربة لوزن ولا هو من جهة كسوف هو من
 أن كانت تصير عليل بالضر من قريب أو بعيد . ذلك ما أردت بتصريحى هذا . أردت أن
 أكبر الظن وأوسع الحدود المنتظرة أنه تتقدم صلواتنا وصلواته انما هو في انما من وقت تشابه
 جيل من السلك . ثم من الكلام على غير محله أنه يفسر في القول بما أنه تسليم بجمعية
 سوقف من لسوقفه انما هو في شأنه أو في أي شأنه سواء . وهو معنى أنه تنق من
 سوقفنا مما نزل لسوقفه انما هو تنق من سوقفه لتابع للتبويب ! وهو سنانى ببيان الجائز
 التي استعملت في تصحيحه — واستعملت بقية بيلة في الغالب — هو تارة أنه تكرر الالفاظ
 تأتمت على أساس المرافقة بينه وبينه تابع ومسبق " وأقول أنه يكون هذا
 التصديق من شأنه تهمة الخواطر والرسوقنا . ولابد أنك تعلم من سياسة الدولة
 التي أهتمت في فرنسا أنه الحرب وشبكة الموضع في الحبس — وفيه من الالفاظ ليعلم الالفاظ

ماذا يكونه نصيب من من نصيب الحرب ..
 ولكنه دعنا من أماديث بعض من أماديث المنزه نكا . وكنا في الزمعة حبيبا .
 وأتمت كتابي بجزء . أنه تبليغ سلامي لكم له ولا جبريت وكلود وأريد
 أنه تكرر جميعا في أتم حمة ..
 ثم لا ينس فريد وهو يقرأ هذا الكتاب . أنه بجمته في تحسبه فوط . وأنا
 من جهتي لو أن أسأك هل يشرب السجاء مع البشعة . فلا أصدقها إلا جرب . فأشير
 أنه يقبل سلامي وأنه ينكر . في هذا الموضع من يهدى الى حل له . فيغيره . به . عند جبره
 الأمر
 وفنا ما تقبل تباين اللغة . مع . جانا أنه أراك من جبرك الأمر مستنا
 بالعافية ربعة ليعقل ؟

عبد الزمعة السعدي

A. Badawi
Mullerweber Str. 3. B. / Nicola
Berlin N. W. 87

سیدک واستاذی

لا عجیب یرى فی بد العجائب . ویرثه أمم العجائب
لا شیء علی النقیض . تنفس فیاً طبیعة الاشياء
" وجزاء الحسن ان نساء " ولنا علی العزم نخدم
وانت خادم الخلف حیثا كنت وکنفا كنت
جزاؤن علی الله الخیر .

تجبة بحمل الشوق فمن تلمذتم المتعلم الخیر من
احمد بدوی

احمد بدوی

Almunt
Badawi

GRAND HOTEL D'ORIENT

KHAOUAM

Damas. le

1903
السنه في ١٤٢٥ هـ

بني كثر في الدور

سلام عليكم ورحمة الله
 وصلنا بحمد الله الى دمشق وقد كان زيارتنا من جبرية الى دمشق
 هذه المصوبات في هذه المدة منينا وكثير الضباب معتم يستطعم كراتي
 انديري على بعد من وانسي عينا لباد وحنه في شقق الكبرية وبنينا تم
 بنينا نردوه اراقت سيات في اعمار ولاحت وجرع في ثمة رمالا
 ففنا جينا از قننا انا احدى سا انا عضا وقبلا انا الجردون
 في كذا من ثم حمدنا كذا على ان لا لم يعم لم لنا وانا بجاعة من دشم
 ففنا عينا لدمه السى وقمر الصاب وقلنا المصاب مننا الى يستغنى
 ففنا ففنا نورا ان في بعض الوقت في بعض المذرة في بعضنا في كل
 مع لانه - سنقوم فدا الله شا. الى بنينا وبنينا في ١٤٠٥ كيوه و
 الى بنينا . وكل اعضا. كرجلة يشده من اول - شيدك ليس
 للرجلة وليس في امالا - وثانيا - ثوديك لنا على الحلة ويخون
 بنينا لاج اجازة حية وبعثت
 الجبرية

هذا الكتاب

لقد كان رجلا عظيما مضينا في شخصيته، وفي إبداعاته ككاتب متعدد المواهب، وفي ترجمته لأدب الإغريق، ومؤلفاته الأدبية والعلمية، فمن ذا الذي يستطيع أن يجمع بين الفن والعلم ويجيد فيهما كما فعل طه حسين إلا أن يكون رجلا عظيما.

وهذا الكتاب لإبراهيم عبد العزيز الذي وضع فيه بين أيدينا وثائق وأوراق ومراسلات طه حسين مع نجوم عصره في الأدب والفن والسياسة والقانون وغيرها من مجالات الحياة، هو كتاب يساهم بشكل كبير في إضاءة شخصية طه حسين وتقريبها إلينا في جميع صورها الإنسانية والنفسية، ويجعلنا نعيش مع رجل ملأ عصره ولا يزال يثير الجدل بعد رحيله، فنراه في حالات القوة وحالات الضعف، ونشاهده في حالات التوافق وحالات التناقض، وكل ذلك وغيره مما تكشفه رسائله ورسائل الآخرين إليه، مما يجعلنا نحبه أحيانا، ونغضب منه أحيانا أخرى، نقترّب منه بعض الوقت، ونبتعد عنه بعض الوقت، ولكننا في كل الأحوال نعجب بطه حسين ونعجب له، ونحبه ونقدره باعتباره رمزا من أبرز رموز النهضة الأدبية والفكرية في القرن العشرين.

نجيب محفوظ



ميريت

للنشر والمعلومات